سلسلة زاد الخطباء

الجزء الثالث

تفسير القرآن

حُقوق الطبع مَحفوظة لِلمُؤلف

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م

سلسلة زاد الخطباء

الجزء الثالث

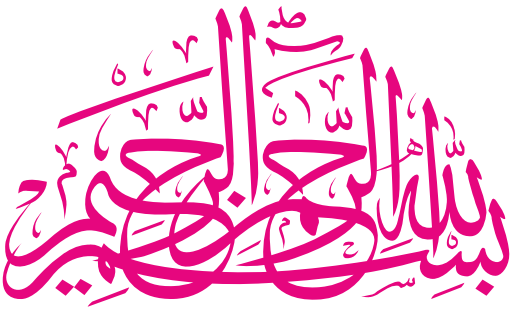
تفسير القرآن

كتبه الشيخ الفاضل

حسين بن محمود الحطيبي

مكتبة صلاح الدين

مدينة عدن


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذا الجزء الثالث من كتابي: «**سلسلة زاد الخطباء**»، وهو بعنوان «**تفسير القرآن**».

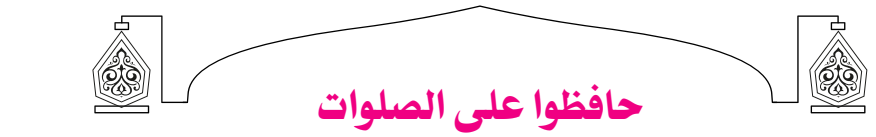
وهو عبارة عن خطب جمع خطبتها ثم رغب إلي كثير من طلاب العلم وغيرهم أن تفرغ ليستفيدوا منها فقمت بذلك، وقد طبع الجزء الأول والثاني والرابع، وهذا هو الجزء الثالث، وكذلك الجزء الخامس يعد للطبع ونسأل الله التوفيق والاخلاص، -وكما هو معلوم- هي خطب مرتجلة فقد يعتريها النقص أو عدم حصر الأدلة في الموضوع ولكن لأني لكثرة الشواغل لا أستطيع تحريرها كتابيًّا وفضلت إخراجها للفائدة علىٰ ما تيسر والله المستعان.

وكتبه:

أبو معاذ حسين الحطيبي اليافعي اليماني

في دار الحديث بصلاح الدين بـ«مدينة عدن» حرسها الله

ظهر يوم الخميس ٣ربيع أول ١٤٤٤للهجرة النبوية



حافظوا على الصلوات

الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا مزيدًا إلىٰ يوم الدين.

ثم أما بعد:

أيها الإخوة الكرام، نحمد الله ﷻ الذي أعاننا وإياكم علىٰ أداء هذه الفريضة العظيمة التي أمر الله ﷻ بالمحافظة عليها، فضيَّعها كثير من الناس، قال الله ﷻ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقد ثبت في «صحيح الإمام مسلم» من حديث علي بن أبي طالب ﷺ: «أن الصلاة الوسطىٰ هي صلاة العصر»(١).

هذه الفريضة التي لا يبالي بها كثير من المصلين، ولا أقول: من الناس، ولكن: من المصلين، فربما تراهم يصلون صلاة الظهر، ويصلون صلاة المغرب، ويصلون صلاة العشاء، ولكنهم يضيعون صلاة العصر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال النبي ﷺ كما في «الصحيحين» عن أبي موسىٰ الأشعري: «**من صلىٰ البردين، دخل الجنة**»(٢)، والبردان: هما صلاة الفجر، وصلاة العصر، فجعل

---

(١) أخرجه مسلم (٦٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥).

ثواب فاعلهما أنه من أهل الجنة بإذن الله ﷻ؛ لأنه يجاهد نفسه في وقتين النفس تميل إلىٰ الراحة والدعة، ففي وقت صلاة الفجر نفسه تميل إلىٰ النوم، وربما سهر الليل، فلم يتمكن من النوم إلا قبيل الفجر، وأما صلاة العصر فإنه منشغل بأعماله، وذاك ربما ينام بعد الظهر، فلا يقوم عند صلاة العصر، وآخرون مشغولون باللهو واللعب وأكل القات، وغير ذلك من التُّرَّهات، فلهذا كان المحافظ علىٰ صلاة العصر وصلاة الفجر ثوابه الجنة، «**من صلىٰ البردين دخل الجنة**».

يا أيها الناس، ما أشد غفلة كثير من المسلمين، ألم يقل الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]؟

لِمَ بُنيت هذه المساجد إلا لذكر الله، ولطاعة الله، ولأداء فرائض الله، والله ﷻ قد فرض علىٰ العباد طاعته، وأوجب عليهم أداء هذه الأركان، وهذه الفرائض العظام، وهذه الواجبات التي منها الصلوات، فليست مفروضة في وقت دون وقت، ولا في زمن دون زمن، قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١]، ومفهوم الآية: أنهم إن أعرضوا عن إقامة الصلاة، ومنعوا الزكوات، فليسوا بإخوان لنا في دين الله ﷻ، كيف يكون ذلك والنبي ﷺ يقول كما عند الترمذي عن بريدة: «**العَهدُ الَّذي بيننا وبينهم الصَّلاةُ، فمَن تركَها فَقد كَفرَ**»(١)؟ ماذا يكون جواب ذلك المُخزِّن الذي يسمع النداء لصلاة العصر وهو جالس يأكل من تلك الشجرة؟ أو

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» من حديث بريدة الأسلمي.

ذاك الذي يجلس في عمله، وهو يسمع المنادي ينادي: حي علىٰ الصلاة، حي علىٰ الفلاح. ثم يقبل علىٰ أعماله وترهاته ودنياه؟ كيف يكون جوابه بين يدي الله ﷻ، وقد ضيع الصلوات، وفرط في الجماعات؟ قال الله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣]، فصلاة الجماعة في بيوت الله ﷻ فرضٌ فرضه الله، وواجب أوجبه الله؛ ولهذا فإن نبينا ﷺ يقول: «**لقد هممت أن آمر رجلًا، فيصلي بالناس، ثم أنطلق بقوم معي معهم حزم من حطب إلىٰ قوم يتخلفون عن صلاة الجماعة، فأحرِّق عليهم بيوتهم بالنار**»(١)؛ لشدة هذا المنكر، وعظم هذه الجريمة، يحرِّق البيوت بمن فيها؛ لتعلم أن التخلف عن صلاة الجماعة جريمة عظيمة، ومنكر جسيم، يُخشىٰ علىٰ صاحبه أن يُعاقب في الدنيا قبل الآخرة.

لم يأذن الله ﷻ لنبيه ﷺ أن يترك صلاة الجماعة وهو في مواجهة الأعداء، وفي ساحات الوغىٰ، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢]، إلىٰ آخر تلك الكيفية التي علَّم الله ﷻ نبيَّه أن يصلِّيها وهو في مواجهة الأعداء، لتعلم أنه لا يجوز للعبد أن يتخلف عن صلاة الجماعة، وأن يفرِّط فيها من أجل هذه الدنيا الفانية، التي سيُعاقب عليها ويُحاسب إن كانت تصدُّه عن دين الله ﷻ.

جاء في «صحيح البخاري» و«مسند الإمام أحمد» من حديث بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من ترك صلاة العصر، حبط عمله**»(٢)، وفي رواية الإمام أحمد:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤)، ومسلم (٦٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٣).

«متعمدًا»[(١)]، «**من ترك صلاة العصر متعمدًا، حبط عمله**»، قال بعض أهل العلم: يحبط أعمال ذلك اليوم. وهذه عقوبة عظيمة، تذهب عليه صلاة الفجر، وصلاة الظهر، وصلاة المغرب، وصلاة العشاء، يذهب عليه قراءته للقرآن، يذهب عليه تسبيحه وتحميده، تذهب عليه صدقته، يذهب عليه أمره بالمعروف، ونهيه عنه المنكر، أعماله تذهب. وقال بعض أهل العلم: بل تحبط أعماله كلها، وهذه أعظم، وهذه أشد، من ترك الفرض متعمدًا فرضًا واحدًا، «**من ترك صلاة العصر متعمدًا، فقد حبط عمله**»، لم يقل: ناسيًا، ولا نائمًا، ولا معذورًا مريضًا، أو نحو ذلك، ولكنه تركه متعمدًا، يسمع النداء بالصلاة، ثم لا يجيب، هذه عقوبته، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٧]، قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣]، أعطاه الله ﷻ الصحة والسلامة والعافية والسمع والبصر وسائر النعم، فلم يُجب نداء الله ﷻ، فيُعاقب في عرصات القيامة، يُطلب منه أن يركع لله ويسجد، فيصير ظهره طبقًا واحدًا، كما جاء في البخاري من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ[(٢)].

يا أيها المسلمون، إن مثل هذه المساجد التي تكثر في مدننا وقرانا وحاراتنا- لَهِيَ حجة علينا يوم القيامة، يوم أن ترىٰ المساجد الكثيرة، وما أكثر الذين يسكنون حولها، والذين يقدرون علىٰ الصلاة فيها، ومع ذلك لا تجد منهم إلا العدد اليسير، لكن اذهب إلىٰ ملاعب الكرة، وأماكن اللهو، والسواحل، وغير ذلك من أماكن التخزين والبلايا والرزايا والشوارع والجولات والأسواق والمحلات، لرأيت

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٠٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٩).

الأعداد الكثيرة التي تتزاحم علىٰ معصية الله ﷻ، فإن هذا يؤذن بعقوبةٍ من الله ﷻ.

قال النبي ﷺ: «**مثل القائم في حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا في سفينة، فكان بعضهم أعلاها، وكان بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مرُّوا علىٰ من فوقهم، فقالوا: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خرقًا، فلم نؤذ من فوقنا، فلو أنَّهم أخذوا علىٰ أيديهم نجوا ونجوا جميعًا، ولو أنهم تركوهم وما أرادوا، هلكوا وهلكوا جميعًا**»(١)، إنه لا يجوز السكوت عن مثل هذا المنكر، بل يجب الأمر بالمعروف وتحذير المسلمين من مغبة هذا المنكر يومَ أن تُهجر بيوت الله ﷻ، ومع ذلك تجد كثيرًا من هؤلاء الذين لا يعرفون للمساجد أبوابها، إلا ربما في يوم الجمعة، أو في الأوقات التي لا يكون عندهم فيها أعمال وأشغال، وإذا بهم يتحدثون عن الإسلام، وعن تحرير بيت المقدس، وعن الإيمان، وأحدهم ربما يتبجَّح أنه من الصالحين، وأيُّ صلاح وهو لم يركع لربه، ولم يخضع لخالقه، ولم يسجد للذي فطره، وقد ترك ركنًا من أركان الإسلام العظيم؟

قال النبي ﷺ، كما في حديث أبي أمامة وفيروز الديلمي: «**لتنقضن عرىٰ الإسلام عروة عروة، كلما انتقضت عروة، تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضًا الحكم، وآخرهن نقضًا الصلاة**»(٢)، الذي يترك الصلاة، ماذا بقي معه من دينه؟ آخر ما ينقضه المسلم هو الصلاة، سيكون مساويًا ومشابهًا لليهود والنصارىٰ والوثنيين، لا يكفيه ما كُتب في هويته أن ديانته مسلم وهو لا يصلي لله ﷻ، ترك ركنًا من أركان الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٥٩٠)، وابن حبان (٦٧١٥) وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٥٠٧٥).

إنك لتعجب علىٰ عقول بعض الناس يترك ركنًا من أركان الإسلام من أجل أنه مشغول بأكل شجرة تأكلها الأغنام والأبقار وسائر الحيوانات، يأكل شجرة ويترك ركنًا من أركان الإسلام، فكيف يُنتظر من هذا أن ينصر الله به الدين؟ كيف ينتظر من هذا أن ينفع الله به الإسلام؟ كيف يُنتظر من هذا أن يربي أبناءه التربية الطيبة، التربية الصالحة، التربية الإيمانية؟ إذا كان قد تسلط عليه الشيطان، فجعله يُحبس في زاوية من الزوايا، فيترك ركنًا من أركان الإسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإذا قيل له: يا عبد الله، اتق الله، وحافظ علىٰ الصلاة. قال: إنكم جئتم بدين جديد. سبحان الله، هل الصلاة في أوقاتها وأركانها وواجباتها من الدين الجديد؟ هل هي مما جاء به رسول الله ﷺ؟ أم من أين هذا الركن؟

فيا أيها المسلمون، علينا أن نتقي الله ﷻ، وأن ينصح بعضنا بعضًا، الرجل ينصح أهله، وينصح أبناءه، وينصح جيرانه، قال النبي ﷺ: «**مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**»(١)، مُرْ أهلك ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، هذا من أعظم المنكرات التي لا يجوز السكوت عنها، فلننته عن المنكر، ولنأمر بالمعروف، ولنتعاون علىٰ الخير، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

ما حجة ذلك الذي يصلي في بيته كما تصلي النساء؟ ليس له عذر، صلاة الفريضة في البيوت ليست إلا للنساء، كما جاء عن النبي ﷺ، وإنما يصلي المرء في بيته النوافل، كما قال ﷺ: «**أفضل صلاة المرء في بيته، إلا المكتوبة**»(٢)، فالذي ما

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٩٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٥٨٦٨) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣١)، ومسلم (٧٨١) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

عنده عذر، ولا مرض، ولا شيء من ذلك، من الذي أذن له أن يصلي في بيته؟ أو في دكانه؟ أو في مكان عمله؟ وقد بُنيت المساجد، وأكثر الناس من بنائها، وأوسعوها، وصار الوصول إليها ميَّسرًا في كل مكان، ولو كنت في قرية من القرىٰ، أو بادية من البوادي، لوجدت الجماعة تُقام، فاتقوا الله عبادَ الله، فاتقوا الله عبادَ الله، فإن الحساب شديد، وإن الوقوف بين يدي الله ﷻ عظيم، وهو سائلنا عن الصغير والكبير، وعن النقير والقطمير، وعن الأعمال والأموال والصحة والفراغ، «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به**»(١)، «**ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرىٰ إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرىٰ إلا ما قدم، وينظر تلقاء وجهه، فلا يرىٰ إلا النار، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**»(٢)، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لما يحبُّه ويرضاه، وأن يجنبنا ما يأباه ويسخطه ولا يرضاه، إنه علىٰ كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وبارك الله فيكم.



---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٤٦)، من حديث أبي برزة الأسلمي.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا إلىٰ يوم الدين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس عبادَ الله، نحمد المولىٰ ﷻ علىٰ نعمه الكثيرة التي يولينا إياها، والتي يسديها إلينا في السر والعلن، والليل والنهار، والسفر والحضر، ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ﴾ [يونس: ٢٢]، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٣، ٥٤] نعمٌ كثيرة تتوالىٰ علىٰ العباد، ولكنها أيضًا ترافقها نقم، وتوازيها ابتلاءات وتمحيصات تمر بالعباد؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا

﴿تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، حتىٰ الخير قد يكون فتنةً علىٰ صاحبه، ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]، فكيف بالشر الذي يُعلم ويُفهم؟ فإنه ابتلاء للعباد وتمحيص لهم في هذه الحياة الدنيا، وكلما تأخر الزمان من زمن النبوة والخلافة الراشدة، كلما زادت الابتلاءات، وعظمت الفتن، وكثر الشر، وقل الخير، كما قال النبي ﷺ: «**لا يأتي زمان إلا والذي بعده شرٌّ منه**»(١)، مهما تضجَّر الناس من حالهم، ومما يعيشون فيه من الفتن، فإنه ما أن يمر عام إلا وتمنىٰ الناس العام الذي قبله، وذكروه بالخير والمسرَّات؛ لما يعاينونه من الفتن والنقمات، «**لا يأتي زمان إلا والذي بعده شرٌّ منه**»، وهذا نشاهده عَيانًا، ونلاحظه بجلاء ووضوح، أن الفتن تزيد في أوساط الأمة، والشر يعظم، ودعاة الباطل ينتشرون، والسعيد من نجا من الفتن، وتجنَّبها، وتجنَّب أهلها، إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، ولَمَن ابتُلي فصبر فوهىٰ.

أهل اليمن، لو أردنا أن ننظر إلىٰ الفارق بين ما كانوا عليه في الألفين وما هم عليه اليوم في ألفين وواحد وعشرين، لرأيت الفرق كبيرًا، ولرأيت الفتن قد هجمت علىٰ أهل اليمن في هذه الفترة القصيرة، وازداد الشر في أوساطهم، وعظم، ومن أعظم الشرور التي ابتلىٰ الله بها أهل اليمن في هذه الحقبة، في نحو عشرين سنة، أو أقل من ذلك- لهي فتنة الرافضة، التي لا يمسي أهل اليمن إلا وهم يتحدثون عنها، ولا يصبحون إلا وهم يتحدثون عنها، ولا ينامون إلا وهم يذكرونها، ولا يأكلون ولا يشربون ولا يظعنون ولا يقيمون إلا وقد شغلت أذهانَهم وعقولَهم، وأذهبت كثيرًا من أموالهم، وكانت سببًا في ذهاب كثير من أرواحهم، هذه الفتنة التي راح ضحيتها الآلاف، منذ بدايتها وظهورها إلىٰ يومنا هذا، والأرواح تُزهق من الرجال،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٦٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

ومن النساء، ومن كبار السن، وصغارهم، من المقاتلين ومن غير المقاتلين، بل من الأبرياء والضعفاء، لو حُصر المقتولون علىٰ يد الرافضة، أو كان السبب في قتلهم فتنة الرافضة- لاندهش الإنسان من ذلك العدد الكبير، كان أهل اليمن في نعمة، كان أهل اليمن في نعمة علىٰ ما عندهم من شظف العيش، وقلة ذات اليد، وذهاب كثير من الأمن، وحصول كثير من المعاصي والمنكرات والمخالفات، ولكنهم كانوا في نعمة مقابل ما وصلوا إليه في هذه الأزمان، وفي هذه الأيام.

يا أيها الناس، من قرأ تاريخ الرافضة منذ أن وطئت أقدامهم بلاد اليمن في أيامهم الأولىٰ- يعلم علم اليقين أنه لا حياة للرافضة إلا بسفك الدماء، لا حياة للرافضة إلا بخوض المعارك والحروب وإشعالها، لا حياة للرافضة إلا في أوساط الفوضىٰ، ونشر الرعب في المجتمعات، لا حياة للرافضة إلا في نهب الأموال، والسطو علىٰ الممتلكات، لا حياة للرافضة إلا في الصراع علىٰ الملك والإمارة، ربما يتصارعون فيما بينهم بعد أن يصل الملك إلىٰ أيديهم، من قرأ التاريخ علم أنه لا حياة للرافضة إلا في مجتمع يعجُّ بالفتن والمنكرات والفواحش وشرب المسكرات وتعاطي المخدرات والوقوع في كثير من المنكرات، فهذا دأبهم وهذا تاريخهم لمن قرأ التاريخ.

قد يقول قائل: هذه فتنة، فلماذا لا نُعرض عنها؟ لماذا نقاتل الرافضة؟ لماذا يُقاتَل الحوثيون في اليمن؟

والجواب واسع جدًّا، فالحجج كثيرة، والأدلة عديدة، والأسباب متراكمة، التي الواحد منها يكون حجة واضحة جلية في وجوب قتالهم ودفع شرهم وبغيهم علىٰ الأمة، فكيف وقد اجتمع عندهم الشر كله، الذي يجب علىٰ من كان في هذا جانبه أن يُقاتَل، وأن يُضرَب بيد من حديد، وأن يُبعَد عن أهل الإسلام، وأن يُهان؛

حتىٰ يترك ما هو عليه من الباطل.

يا أيها الناس، ليست القضية قضية الملك، كما يظن بعض الجاهلين، ولا قضية الأسعار والبيع والشراء، ليست القضية قضية الدنيا، ليست القضية قضية الأموال، وإن كان الرافضة يسعَوْن إلىٰ ذلك سعيًا حثيثًا، لكن قتال هذه الفرقة المارقة الكافرة الباغية الظالمة المجرمة المعتدية؛ لأنها اعتدت علىٰ الله ﷻ وعلىٰ رسوله وعلىٰ كتابه وعلىٰ أصحاب نبيه ﷺ، وعلىٰ أهل الإسلام والإيمان عمومًا، ألم يقل النبي ﷺ، كما في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة، قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أن يأخذ مالي، أو يريد أخذ مالي؟ قال: «**فلا تعطه مالك**». قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «**قاتله**». قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «**أنت في الجنة**». قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «**هو في النار**»(١). إذا كان الذي يريد أخذ المال مع أنه بإمكانك أن تعوض هذا المال، وتتنازل عنه؛ لتسلم لك نفسك، ومع ذلك إن دافعت عن مالك، فأنت مأجور، فكيف والرافضة يريدون سلب كل شيء، يريدون سلب العقيدة أولًا، يريدون سلب الأخلاق، يريدون سلب المروءة، يريدون سلب الكرامة، يريدون سلب العفة، يريدون سلب المال والروح والدم والعرض، يريدون سلب كل شيء، أفلا يُقاتلَون؟ قال نبينا ﷺ: «**من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد**»(٢)، وأعظمها القتال لأجل الدين والعقيدة التي لا حياة لأهل الإيمان إلا بها، والله لو ملكت الدنيا بأجمعها، وصار عندك من

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٧٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٤٥) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه.

الخزائن ما يوازي خزائن قارون، وقد سُلبَت عقيدتك، وقد ذهب دينك- فإن ذلك لن ينفعك يوم القيامة، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، مع أنه مُجرَّب وماثلٌ للعَيان، أن الرافضة لا يعطون الناس دنيا، بل منهم يسلبون، ومن أيديهم يأخذون، فهم يعتقدون أن الملك فيهم، وإليهم، وأنهم أحق بالمال، وأن غيرهم إنما خُلِقوا للخدمة والإهانة والمذلة والعبودية لهم.

يا أيها الناس، الحوثيون يُقاتلَون؛ لأنهم يطعنون في الله ﷻ، فالله ﷻ اختار نبيه محمدًا ﷺ نبيًّا ورسولًا، واختار له أصحابه من المهاجرين والأنصار أمراء ووزراء ومعاونين وأصحاب، وزكَّاهم من فوق سبع سموات، واختار له نساءً عفيفات صالحات شريفات، فأبىٰ الرافضة ذلك، ورفضوا هذا الحكم، وطعنوا فيما أراد الله ﷻ، فطعنوا في القرآن، وطعنوا في عِرض النبي ﷺ، وطعنوا في أصحابه الكرام، فهذا طعن في الله، واعتراض علىٰ الله، أيُّ كفر أعظمُ من هذا الكفر؟ خرج النبي ﷺ في غزوة تبوك، ولما كان في طريقه قال بعض المنافقين: ما رأينا أكذب من قرَّائنا هؤلاء- أي: قرَّاء الصحابة- ولا أرغب بطونًا، ولا أجبن عند اللقاء. فذهب بعض الصحابة يشتكون إلىٰ النبي ﷺ، فنزل القرآن في تلك اللحظة مبيِّنًا خطورة هذه الأقوال، وكُفْرَ أصحابها، قال الله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٥] أي: لماذا قلتم هذه المقالة؟ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥] كنَّا نمزح، حتىٰ قال بعضهم: يا رسول الله، والله ما كنا نقول ذلك الحديث، إلا لنقطع به عناء الطريق، ما كنا نعتقد ذلك في قلوبنا، إنما كنا نمزح ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

الصحابة حملة الدين، الصحابة اختارهم رب العالمين، الصحابة زكَّاهم الله

في القرآن العظيم، الصحابة أُمناء هذه المِلَّة، الصحابة أهل الجنة، فطعنكم فيهم هو طعن في الله، وفي دين الله، وفي رسول الله، وفي آيات الله، ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] حتىٰ وهم يعتذرون، ومع ذلك يقول الله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦].

وتعال إلىٰ الرافضة، والحوثيين علىٰ الخصوص في بلاد اليمن، ما أكثر استهزاءهم بأصحاب النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ما أكثر سخريتَهم وطعنَهم، يقول خطيبهم في بعض المساجد، يقول: لو كان الدين- دين الإسلام- هو ما عليه معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وأبو هريرة، وكانوا يمثلون دين الإسلام، فأنا بريء من هذا الدين. نعم، أنت بريء من هذا الدين، وحاشا أن تكون من أهل هذا الدين؛ لأنك لا تدين بهذا الدين، وإنما عندك دين الفرس، فهم إنما يتخذون آل بيت النبوة غطاءً وستارًا، وإلا فإنهم يسعون إلىٰ إعادة ملك فارس الذي قال فيه النبي ﷺ: «**إذا هلك كسرىٰ، فلا كسرىٰ بعده**»(١)، وقد ذكر ذلك بعض أتباعهم، وبعض من يُشار إليه بالبنان، وهو عبد الله المحدوب، يقول: إن عبد الملك الحوثي يسعىٰ لإعادة ملك فارس. كما في كتاب الشيعة في صعدة.

هكذا يطعنون في أصحاب رسول الله ﷺ، أفلا يُقاتلون، أفلا يُقاتلون؟ كعب بن الأشرف كان يطعن في رسول الله، وفي أصحاب رسول الله، فيقول نبينا: «**من لكعب بن الأشرف؟ فقد آذىٰ الله ورسوله**»(٢)، فأرسل إليه سرية عليها جماعة من

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٢٧)، ومسلم (٢٩١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥١٠)، ومسلم (١٨٠١) من حديث جابر رضي الله عنه.

أصحابه محمد بن مسلمة وأبو نائلة، فقتلوا كعب بن الأشرف، ودخلوا إليه إلىٰ داره وحصنه، وقتلوه؛ لأنه آذىٰ الله ورسوله.

كيف لا يُقاتَل الرافضة وهم يطعنون في القرآن العظيم؟ يقول بعض قاداتهم وساداتهم، رجل يقال له: أبو عواضة، وهو من المفكرين والمؤلفين المعاصرين، مِن تلاميذ حسين بدر الدين الحوثي ومِن زملائه، يقول: لما عُزل القرآن عن قرنائه- لأنهم يعتقدون أن القرآن لا يُحفظ ولا يُفسر ولا يُطبق ولا يُفهم، إلا من قرناء القرآن، ومن هم قرناؤه؟ يقولون: علي بن أبي طالب ونسله، ويمتد إلىٰ هذا الزمن، وقرين القرآن في هذا الزمن هو عبد الملك الحوثي، فلا نستطيع أن نفهم القرآن إلا علىٰ فهم عبد الملك، ولا نستطيع أن ندرس القرآن إلا علىٰ طريقة حسين بدر الدين الحوثي- قال: لما قُدِّم القرآن وعُزل من أقرانه، أي وقد جاء به وبتفسيره أهل العلم غير من يريد الرافضة، قال: قُدِّم القرآن مُبتذلًا، كتابًا مُبتذلًا، ليس مجرد كتاب ناقص؛ لأنهم يعتقدون أنه ناقص، ومُحرَّف، قال: بل كتابًا مبتذلًا، فصار يستدل منه الظالمون لظلمهم، والمفسدون لإفسادهم، والمجرمون لإجرامهم. قبَّحك الله وأخزاك، القرآن لم ينزل إلا لنصرة الحق، ولهذا يقول شيخ الإسلام ﷺ كما نقل عنه تلميذه ابن القيم في حادي الأرواح، يقول شيخ الإسلام: ما استدل مبطل بآية من القرآن علىٰ باطله، إلا وكان فيها دليلًا للرد عليه، فإن القرآن لم ينزل لنصرة الباطل، وإنما نزل لنصرة الحق، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]. قال: صار القرآن عمىٰ. هكذا يقول هذا الرافضي الذي يكتب المناهج للمدارس، والذي تُقرر كتبه وملازمه علىٰ المناطق التي سيطر عليها الرافضة، يقول: صار القرآن عمىٰ، لا يُنتفَع به. بل قال: إنه قُدِّم الله ﷻ عن طريق القرآن، قُدِّم وأنه أسوأ من الشيطان. أيُّ

سخرية أعظم من هذه السخرية؟ وأيُّ طعن أعظم من هذا الطعن؟ يقول عصام العماد وهو من ساداتهم، وهو يتحدث عن قضية قتل الحسين بن علي بن أبي طالب، وأنه حين خرج للقتال إنما خرج بأمرٍ من النبي ﷺ، قال: فإذا قال قائل: من الذي قتل الحسين؟ فلم يقتله السنة، ولا الشيعة، قتله رسول الله. قال: فهو الذي أمره بالخروج، فالقاتل للحسين هو محمد بن عبد الله. فانظروا إلىٰ هذه الجرأة، وإلىٰ هذه السخرية، وإلىٰ هذا الطعن. ويقول عبد الملك الحوثي: لم يكن النبي ﷺ مجرد رجل عادي يذهب إلىٰ المسجد ويرجع ويقرأ الأذكار ويصلي، بل إنه كان رجلًا محاربًا، ومشاكسًا، وصاحب مشاكل، ومقاتلًا، فليس رجلًا عاديًّا كما يظن الناس. هذه الكلمة زندقة، يقال: كان رسول الله ﷺ صاحب مشاكل.

يا أيها الناس، يُقاتل الرافضة؛ لأنهم يطعنون في ديننا في أصوله، يطعنون في كتاب الله ﷻ، بل يعتقدون أن القرآن ناقصٌ ومحرفٌ، يقول سيدهم وبئس السيد سيدهم، فيما يسميه هدي القرآن، أو دروس من القرآن الكريم، كُتب ونُقل من أشرطته في ملازم، هذه الملازم لا تدري أولها من آخرها، لا تدري ما هو الذي يريده المتكلم فيها من كثرة الخبط والخلط والترداد والتكرار، إلا أنها مليئة بالزور والخنا، والكفر والزندقة، أتدرون يا عباد الله، هذه الملازم عند الحوثيين أعظم من القرآن، هذه الملازم أعظم من صحيح البخاري، هذه الملازم أعظم من كل كتب السنة، يقول في بعض دروس القرآن فيما يسميه دروس القرآن، يقول: فَرْقٌ بين من أخذ القرآن مشافهة، فإن جبريل كان يلقي القرآن علىٰ النبي ﷺ وعلي يسمع، فلما نام النبي ﷺ وأخذه النوم، وإذا بجبريل يلقي القرآن علىٰ علي، ففَرْقٌ بين من أخذ القرآن مشافهة، وبين من ذهب يُجمِّعُه من هنا وهناك، تارة يجدون في عظم، وتارة في خرقة، وتارة في سعفة، وتارة في حجرة، وتارة يقولو: السورة الفلانية عند فلان،

والآية الفلانية عند فلان، والسورة الفلانية نسيها فلان. وهو يسخر من تجميع أبي بكر وجمعه للقرآن التي أعدها أهل العلم من أعظم الحسنات لأبي بكر الصديق ﷺ حين جمع القرآن، قال: ولكن الله- انظر إلىٰ هذا الثعلب المكار- ولكن الله حفظ القرآن، فقد حصل له هزَّات- يعني كأنه يقول تلاعب به الصحابة، وجعلوا يبحثون عنه في القراطيس والأوراق، والألواح والجلود- ولكن الله حفظ هذا القرآن، فقد حصل له هزات، لكن الله حفظه حتىٰ من الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ. قبَّحك الله يا أيها الفاجر، الذي تملأ فمك بالشَّمَّة وبالقاذورات، ثم تتطاول علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ. قال: حَفظَه حتىٰ من الذين كانوا في زمنه. حفظ الله القرآن حتىٰ من الصحابة، فإنهم يشكلون خطرًا علىٰ القرآن بعد موت رسول الله ﷺ.

إذًا القضية ليست قضية دنيا، ولا ملك، إذا سمعت أهل السنة يقولون: جهاد الحوثيين فرض وواجب ودين وعقيدة؛ لما عندهم من مثل هذه الرزايا والبلايا والكفريات التي يريدون أن يقرروها علىٰ أهل اليمن، وأن يضعوها مكان الكتاب والسنة في مساجدهم في مدارسهم في منابرهم في محاكمهم في كل شئونهم، يريدون أن يقرروا علىٰ أهل اليمن مثل هذه الخزعبلات، ويقول هذا الرجل الفاجر لا ﷺ، يقول: ما يسميه بعضهم بالنسخ، وأنت تعلم أن الناسخ والمنسوخ كلاه أدلته من القرآن والسنة: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ [البقرة: ١٠٦] قال: هذا الذي يسمونه بالنسخ، إنما هو ضربٌ لبعض الآيات ببعض، وهو عبارة عن اجتهادات من أصحابها، أي ليس في القرآن نسخ، ليس في القرآن نسخ، إذًا لماذا نقاتل الحوثيين؛ لأنهم يطعنون في كلام رب العالمين، بل ويطعنون في رسوله الأمين، يعتقدون ما يعتقده الرافضة، وليسوا إلا تلاميذ لهم، وأتباع ينعقون

بأقوالهم. الرافضة يقولون: ذَكَرُ النبي ﷺ لا بد أن يدخل النار، لماذا؟ قالوا: لأنه جامع بعض النساء الزانيات. ويعنون عائشة وبعض أزواج النبي ﷺ، ألا نغار علىٰ نبينا؟ الخميني يعدونه من أهل الجنة، بل الذي يفتح لأصحابه أبواب الجنة، ورسول الله لا بد أن يدخل عضو منه النار؟ أبو لؤلؤة المجوسي يطوفون حول قبره، ويعظمونه، ويمجدونه، ورسول الله أزواجه زانيات واقعات في الفواحش؟ قبَّحهم الله، أفلا يغار المسلمون علىٰ نبيهم، وعلىٰ أزواج نبيهم، وأن يدافعوا عن دينهم؟

كان في زمن النبي ﷺ رجل أعمىٰ، وكانت له امرأة تقع في النبي ﷺ وتسبُّه، فكان زوجها ينهاها فلا تنتهي، يزجرها، ينصحها، وإذا بها تكرِّر السب، وربما يكون أهون وأدنىٰ من هذا الذي سمعتموه، وفي ليلة من الليالي وقعت في النبي ﷺ، وهي امرأة حبلىٰ، فقام هذا الرجل الأعمىٰ؛ غيرةً علىٰ رسول الله، وأخذ المعول، وقام إليها، ووضعه في بطنها، واتكأ عليها حتىٰ قتلها؛ غيرةً علىٰ رسول الله ﷺ.

فنقول لأولئك الذين يبيعون دينهم، ويبيعون بلدانهم، ويبيعون أعراضهم للحوثي بالمال، أو لأجل المناصب: أين الغيرة علىٰ رسول الله، وعلىٰ عرض رسول الله، وعلىٰ أصحاب رسول الله، وعلىٰ كتاب الله ﷻ؟ ففرَّ الرجل، وكأنه اختبأ، فعلم النبي ﷺ بشأن المرأة، وجدوها مقتولة، فلما صلىٰ الفجر، قام النبي ﷺ قال: «**ألا رجل مسلم لي عليه حق قتل هذه المرأة أن يقول: أنا؟**»، فتلكأ الرجل، ولم يتكلم، فناشدهم النبي ﷺ مرة أخرىٰ، فقام الرجل الأعمىٰ، وقال: أنا صاحبها يا رسول الله. ثم ذهب إلىٰ النبي ﷺ ترتعد قدماه، فلما وصل بين يديه قال له: يا رسول الله، إنها زوجتي أو امرأتي، وهي تُسمعني فيك ما أكره، وأنهاها فلا

تنتهي، وقد كانت في الليل تسبُّك، أو تقع فيك، فنهيتها، فلم تنته، فقمت إلىٰ معول، ووضعته في بطنها، حتىٰ قتلتها. فماذا قال النبي ﷺ؟ قال رافعًا صوته في المسجد: «**ألا اشهدوا أن دمها هدر**»(١)؛ لأنها تسبُّ النبي ﷺ.

فالرافضة دماؤهم هدر؛ لأنهم زنادقة مرتدون، ولأنهم يطعنون في رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ويطعنون في صحابته الكرام، لا يُلبِّسون علىٰ الناس، الرافضة عمومًا واقعون في الكفر، لكن الحوثيون أهل اليمن واقعون فيه كذلك؛ لأن منهم من يقول: نحن لا نسب الصحابة، ولا نطعن في القرآن، ولا نقول من ذلك شيئًا. وهو موجود في كتبهم، وبأصواتهم، وبأقلامهم.

أَوَما سمعتم قبل أيام بذلك الشاعر الجرموزي الصنعاني الذي أخرج قصيدة طويلة، وفيها الطعن في أم المؤمنين عائشة، واتهامها بالفاحشة؟ وهو يُعتبر من شعراء الحوثيين.

ألم يقل حسين بدر الدين الحوثي، وهو يتكلم عن عمر الفاروق، قال: عمر الفاروق، وما أدراك ما الفاروق؟ هو الذي فرق بين علي والأمة، وبين علي والقرآن، فجعل عليًّا في جهة والأمة في جهة أخرىٰ، كل بلية وكل ظلم وكل شر حصل للأمة فإن السبب الأول هو عمر بن الخطاب؟ هكذا يقول، أتدرون لماذا؟ أتدرون لِمَ هذه الحرقة علىٰ عمر؟ لأن عمر هو الذي فتح بلاد فارس، وهو الذي أهان الفرس، وهو الذي كسر إيوان كسرىٰ، وهو الذي أرغم أنوفهم بالتراب، ففي زمنه فُتحت بلاد فارس، فُتحت تلك البلاد، وانهارت تلك المملكة، ولهذا فإنهم يكرهونه أشد الكراهية.

---

(١) أخرجه النسائي في «سننه» (٤٠٧٠)، وأبو داود (٤٣٦١) وصححه الألباني في «الإرواء» (٥/ ٩٢).

وهكذا يكرهون أبا هريرة رضي الله عنه؛ لأنه روىٰ من الأحاديث الكنز العظيم والثروة المباركة التي فيها بيان باطلهم، والتي فيها بيان شرهم، والتي فيها بيان ما عندهم من الزور والخنا، ولهذا أبو هريرة يبغضونه أشد البغض، لا يبغضونه لشخصه، ولا لجسده، لكنهم يبغضونه؛ لما يحمل، الرافضة لا يبغضون الصحابة لذواتهم، يبغضونهم؛ لما يحملون من الدين، فإنهم هم الذين بلغوا عن سيد المرسلين، ولهذا قال نبينا ليلة بدر وهو يدعو الله ويرفع يديه حتىٰ سقط رداؤه: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة**- أي: الصحابة- **لا تُعبَدْ في الأرض**»(١)، إذا هلك الصحابة ليلة بدر ولم يبق من يقول: لا إله إلا الله. من أين يأتينا الدين؟ وكيف يصل إلينا الإسلام؟ فإنه وصل عن طريقهم، ولهذا أراد الرافضة أن يطعنوا في الصحابة؛ للطعن في الإسلام.

يقول الحوثي مشرف محافظة ذمار حاليًّا، وهو يتحدث عن أبي هريرة، يقول: أتعرفون أبا هريرة ويقول: أتعرفون أبو هريرة، -والصواب: أتعرفون أبا هريرة-، ذلك المحدث -هكذا يقول- ذلك المحدث الذي روىٰ عن النبي كثيرًا من الأحاديث، ولم يرَ النبي ﷺ. سبحان الله، أبو هريرة ما رأىٰ النبي ﷺ، انظر إلىٰ هذا الكذب؛ حتىٰ يصدقه الناس، فيقولون: هذا الرجل يكذب علىٰ رسول الله، ما دام أنه لم يره.

أبو هريرة أسلم عام خيبر في العام السابع، وشهد معركة خيبر، وصل فيها بعد انتهاء المعركة، وأسهم له النبي ﷺ، ولازم النبيَّ من ساعته إلىٰ أن توفي رسول الله ﷺ، قال: كنت ألزم رسول الله علىٰ شِبْعِ بطني، كان إخواني من المهاجرين

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

يشغلهم الصفق بالأسواق، وإخواني من الأنصار يشغلهم العمل في مزارعهم، وكنت أصحب رسول الله علىٰ ملء بطني، قال: وكنت أربط الحجر علىٰ بطني من الجوع. يبقىٰ في المسجد، يلازم النبي، يحفظ كل ما يسمع من الأحاديث، ثم يأتي هذا الخبيث، ويقول: لم يلق النبي، ولم يره، ولم يسمع منه. قال: وكان يُغمىٰ عليَّ من شدة الجوع. أبو هريرة ما حصل علىٰ هذا الكنز إلا بعد تعب يا أيها الرافضة الأرجاس الأنجاس، قال: فيأتي الأعرابي، ويطأ علىٰ رقبتي ويظن أني مجنون، ووالله ما بي جنون، ما بي إلا الجوع، ما بي جنون. يقول ﷺ: «**من يَبسِطُ رداءه؟ فأقول مقالتي فيرفع رداءه فلا ينسَ شيئًا**». قال أبو هريرة: فبسطت ردائي، فقال النبي ﷺ مقالته، ثم رفعته، فلم أنس شيئًا سمعته من النبي ﷺ(١).

الأمة الإسلامية تفخر بأبي هريرة، الذي روىٰ أكثر من خمسة آلاف حديث، عن النبي ﷺ، أما الرافضة فإنهم يُكفِّرونه، يسخرون منه، يستهزءون به، يطعنون فيه، لماذا؟ لما رواه، لما يحمل من الأحاديث التي تبيِّن عوارَهم وباطلَهم وشرَّهم، إذًا فهم يقصدون ديننا في كل ما يقولون، يريدون عقيدتنا في كل ما يفعلون، ولهذا فإن قتالهم من الواجبات، وخصوصًا وقد بغوا علىٰ أهل اليمن، وفعلوا الأفاعيل، سفكوا الدماء، وانتهكوا الأعراض، وهدَّموا البنيان، وأرملوا النساء، ويتَّموا الأطفال، وأوصلوا البلاد اليمنية إلىٰ ما وصلت إليه من تسلُّط الأعداء، والعبث بمُقدَّرات البلد، وأخذ ثرواتها، وتسلط اليهود والنصارىٰ عليها، يذهب أعداء الإسلام، فيصنعون ما يشاءون في البلاد اليمنية، ليس هناك من يعترضهم؛ لأن الرافضة قد عبثوا باليمن، فلا دولة تحمي مواطنيها، وتتفاوض مع

---

(١) أخرجه البخاري (١١٩)، ومسلم (٢٤٩٢) بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أعدائها، ولا قوة بأيدي أهل اليمن، بل صار أهل اليمن في فقر وشدة لا يعلمها إلا الله، يسلبون علىٰ الناس عقيدتهم، بل ويسلبون دنياهم، فينبغي أن يتفطَّن كلُّ عاقل ممن يظن أن الحوثي إذا جاء إلىٰ بلده سينقص سعر الدولار، لا والله، بل ربما يزيده، أَوَما سمعتهم قديمًا كانوا يتحدثون باسم الجرعة، ويرددون الصراخ والعويل بأنهم ما دخلوا صنعاء إلا من أجل الجرعة، وبعد أن تمكنوا من صنعاء، أعطوا أهلها عشرات الجرع، ولا زالوا يتجرعون إلىٰ يومنا هذا، لا زالوا يتجرعون، قال بعض إخواننا: كان الناس في شوارع صنعاء إذا ارتفع قيمة أجرة الباص عشرة ريالات، تجد بعض الناس في السيارة يلعنون علي عبد الله صالح، هذا يسبُّه، وهذا يقول: لماذا ارتفعت الأجرة؟ أنا لا أقول هذا دفاعًا عن الرجل، ولكن بعد أن وصل الحوثيون، وفعلوا ما فعلوا من الجرائم العظام، لا يستطيع الراكب في السيارة أن يهمس إلىٰ جانبه أن ابنته أخذها الحوثيون، بل بعضهم لمَّا علموا أن بناتهم صرن حبالىٰ من الزنا، يقال لهم: هل عندك بنت عند الحوثي في البحث الجنائي في المكان الفلاني؟ يقول: ما عندي بنت بهذا الاسم. مِنَ العار، ما عندي بنت، فيرمي تلك المسكينة التي قد أُخذت، وانتُهِك عرضها، وذُهب بشرفها، لا يستطيع أن يعترف أن له بنتًا في السجن؛ لأنه قد يُعاقب من التهم التي أُلقيت عليها، وأنها مع العدوان، وأنها فعلت وفعلت وفعلت، ولهذا إذا أُدخل أحدهم السجن في الغالب لا يُسأل عنه، يخافون حتىٰ السؤال عن المسجون، قال بعضهم لمن جاء من صنعاء: هل عندكم مظاهرات مثل ما عندنا في عدن والمُكلَّا قال: مظاهرات. لا يستطيع الراكب في الباص أن يتحدث مع من بجانبه عن بعض ما يفعله الحوثيون؛ خوفًا أن يكون جاسوسًا وعميلًا مع الحوثيين، أوصلوا الناس إلىٰ شرٍّ مستطير، وصلوا «صنعاء»، فجعلوا يغازلون أهل عدن، وأهل الجنوب،

يقولون في إعلامهم: القضية الجنوبية ما أُعطيت حقَّها، أهل الجنوب مظلومون. فماذا صنع الحوثيون حين وصلوا إلىٰ «عدن»؟ هل أعطوا أهل عدن حقوقهم؟ أم ساموهم سوء العذاب حتىٰ هجَّروا أكثرَ أهل «عدن»؟ استمر الناس في الخروج والهروب من أول ما دخل الحوثي إلىٰ آخر يوم والناس في قوافل مستمرة وطوابير متعددة، يفرُّون إلىٰ الريف والقرىٰ والمحافظات الأخرىٰ، تاركين بيوتهم وأموالهم وعتادهم وكلَّ ما يملكون، فضلًا عمن هُدِّمَت بيوتهم ومنازلهم، ومن قُتلوا القتل الجماعي بتلك الصواريخ التي كانوا يطلقونها علىٰ الشوارع والتَّجمُّعات، بل لم يتركوا أهل التَّوَّاهي يوم أن أرادوا الفرار بقواربهم إلىٰ «البريقا»، بل جعلوا يضربونهم وهم في البحر، يريدون إغراقهم؛ لتعلم عبد الله أن الحوثيين ما نزلوا بلدًا إلا وازداد البلاء فيها، والشرُّ فيها، وعمَّ وطمَّ، وقل الخير فيها، يخفضون الأصوات، ويكبتون الحريات، ويمنعون نشر العقائد الصحيحات، تُغيَّرُ المساجد، وتُعطل المنابر، وتُغلَّق المصاحف، ويُسكَت الشرفاء، ويُمنَع الخطباء، ثم يصعد المنابرَ أراذلُ الناس، وأشدهم شرًّا ووقاحة وسوء أخلاق، بل ربما يصعد المنابر من لا دين له، لا دين له، ولا حياء عنده، ينظرون في القرية والبلدة إلىٰ أرذل الناس وأسفلهم ممن كان لا يُعرف إلا بالشر والخنا، فيقولون له: أنت المشرف علىٰ هذه البلدة، أنت المشرف علىٰ أهل هذه البلدة. قال بعض أهل صنعاء: كان في بعض المناطق في صنعاء يسكن فيها بعض أهل الشر والخنا، وكان هناك بيت فيه امرأة تفعل الأفاعيل من نشر الزنا واللواط والمخدرات وغير ذلك، فلما اشتد شرُّها وعظُم خطرُ هذه المرأة ومن معها، قام أهل الحي وأخذوها وقبضوا عليها وخرَّبوا بيتَها، وأوصلوها إلىٰ الأمن، وأُخرجت مطرودة، وذهبت إلىٰ مكان آخر، وقُضي علىٰ ذلك الشر، فلما وصل الحوثيون صنعاء، ذهبت إليهم، فجاءوا بها وكأنها قائد

معسكر، وأوصلوها إلىٰ ذلك الحي، وجعلت تُعدِّد عليهم أهل الحي من الذين قاموا بإيقاف منكرها، فعوقبوا أشدَّ العقاب، وأمروهم ببناء البيت، بل وإعطائها التعويضات من الأموال التي خسرتها، فهم لا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن منكر، بل يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف، في بعض بلاد الحُدَيْدة في مسجد قد جلست فيه أشهرًا يعتبر من مساجد السنة ومعاقلها، لمَّا أخذه الحوثيون يقول لي بعض أهل ذلك المسجد، وهو مسجد يمتلئ بأهل السنة، فيه مكتبة جميلة طيبة، يخطب فيه حفاظ القرآن وطلاب العلم والدعاة إلىٰ الله، قال: فلما جاء الحوثيون في أول جمعة يريدون المسجد والخطبة، قالوا: جاءوا لنا برجل من أهل البلدة نعرفه ونعرف أباه وأمه، ونعرف أخلاقه، رجل كلُّ شر إذا تصورته وجدته فيه، لا تجد صفةً ذميمةً تخرج عن هذا الشخص، فهو يجمع الشر كله، من أسافل الناس وأراذلهم، وإذا به يأتي يوم الجمعة ومعه الأوراق، ماذا تريد يا فلان؟ قال: أريد أن أخطب الجمعة، أنا مُكلَّف من مشرف هذه البلدة. قالوا له: يا فلان، أَوَ عندك غير هذا؟ حاولوا معه، راجعوه، هذا لا يصلح، الناس سيخرجون، إذا رأوك علىٰ المنبر مجرد رؤية، قال: لا، عندي خطبة علىٰ العدوان، لا بد أن ألقي هذه الخطبة.

يا أيها الناس، البلدان التي يصل إليها الحوثي هكذا تكون منابر المساجد إن لم تُغلَّق، وتكون مكانًا لقضاء الحاجة، ولعلكم رأيتم بعض مساجد تهامة، التي حُرِّرَت قريبًا، وإخواننا يصورون فيها المزابل، والبول، والقذىٰ، والقوارير، وسائر القمائم في بيت الله ﷻ.

إن لم تُغلَّق مساجدنا، فإنه سيرتقي منابرها أمثال هؤلاء الأصناف الذين لا تسمع منهم: قال الله، ولا قال رسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه سلم، أفلا

يُقاتَل هؤلاء القوم؟ أفلا يكون جهادهم من أعظم الجهاد؟

المسلمون في عقر دار النصارىٰ، وفي عقر دار اليهود في أوربا وأمريكا- يُترك لهم بعض الحريات، فلا يُعتدىٰ علىٰ مساجدهم، وإن كانوا يُمنَعون من كثير من الشعائر الظاهرة، لكنه لا يُعتدىٰ عليهم بهذه الوحشية.

يقول لي بعض إخواننا من أهل البيضاء، وكان يقيم في مسجد صغير يؤم الناس فيه، ويعينه بعض إخوانه، قال: تأخرت في صلاة المغرب، فصلىٰ بالناس من ينوبني، قال: وكان قد جاء حوثي فصلىٰ معنا، فقرأ الإمام ببعض السور القصيرة، وأسرَّ بالبسملة كما هو المعتاد والسنة، فلما انتهىٰ من صلاته قال: من هذا؟ من هذا الذي صلىٰ بنا؟ لماذا لا تجهرُ بالبسملة؟ فأراد أن يناقشه، وأن يبين له أنها سنة، قال: الجهر من ديننا، لا بد أن تجهر، لو علمت مرة أخرىٰ أنك أسررت، قرَّحْتُ رأسك. سبحان الله، لأنه يسر بالبسملة يُقرِّح رأسه، فهم ليس عندهم حرمة لدماء المسلمين، هذا من عقيدتهم، اقرأوا ما ذكره الشوكاني وما ذكره الصنعاني عن شيعة اليمن ورافضة اليمن، أنهم يعتقدون من لم يكن رافضيًّا، فإن دمه حلال، وعرضه مباح، وماله مباح، ولمَّا كانت الدولة القاسمية في البلاد اليمنية، أهانت أهل اليمن الأسفل أيَّما إهانة، ما يسمونهم بالشوافع، فاستباحوا أموالهم ودماءهم، خرَّبوا بيوتهم ومزارعهم، ومرت عليهم ويلات تلو الويلات، لماذا؟ لأنهم ليسوا برافضة، وهكذا نحن اليوم عبادَ الله، ما لم يكن رافضيًّا، فإنه مستهدف، وإن كان أهل السنة في رأس القائمة، لكن لتعلم يا من يسيل لعابه لما يُمدُّه به الحوثيون، ويا من يطمع أن يحصل علىٰ منصب عندهم، أنك ما لم تكن رافضيًّا، فإنهم سيقتلونك اليوم أو غدًا، أو بعد غد، وإن أبقَوْك، فأنت خادم من الخدم الذي يوفر لهم ما يريدون، ويطبِّق لهم ما يتمنَّوْن، فإنهم لا عهد لهم ولا ذمة، وأشد الناس وأعظم الناس

يبدءون به- هو من باع دينه وأرضه وعرضه لهم، فلا يأتمنونه، لا يأتمنونه، وإنما مجرد الوصول إلىٰ المأرب والحصول علىٰ المقصد، يتخلصون معه من أول ما يتخلصون به من الناس، وما حصل لعلي عفَّاش لهو مثال واضح لمن كان له قلب، أو ألقىٰ السمع وهو شهيد، فقد أعطاهم البلاد، وسلَّم لهم العتاد، وفعل ما لم يفعله كثير ممن أعان الرافضة علىٰ مرِّ العصور، ولكنه سرعان ما اختلف معهم، فقضوا عليه، فلم يقدروا له حرمة، ولم يذكروا له جميلًا ولا عهدًا ولا موثقًا، بل لم يؤخِّروه حتىٰ يرسلوه إلىٰ المحاكم، فيحكمون عليه بالإعدام، كما صنعوا بصدَّام، بل باشروه بالقتال وهم يرددون الصرخة والهتافات أنهم ثأروا لسيدهم حسين بدر الدين الحوثي.

هؤلاء أقوام بلغوا في العنصرية مبلغًا لا يستطيع أن يعيش معهم أحد علىٰ وجه الأرض، بل لا يستطيع أحد أن يعيش معهم، وهو من أتباعهم، ما لم يكن قنديلًا من تلك السلالة ممن ينتسبون إلىٰ أهل بيت النبوة، فهم لا يبالون بأحد، ولو كان من أتباعهم، ولهذا انظر إلىٰ جبهاتهم ومواقع القتال، يتركون القتلىٰ تأكلهم الكلاب، إن لم يكونوا من أولئك القناديل، بل لا يسألون عن الأسرىٰ إذا قيل: إنهم من أبناء القبائل، فإلىٰ متىٰ يبقىٰ أهل اليمن في هذا السبات، وفي هذا الرقاد؟

يا أيها الناس، لماذا يُقاتَل الحوثيون؟ لماذا يُقاتَل الرافضة في اليمن؟ لأمور كثيرة لا تُعد ولا تُحصَر، ولكن أختم هذا المجلس بأمر مهم، ترىٰ بعض قبائل الإسلام لو قُتل منهم قتيل، هذه القبيلة قتلت قتيلًا من قبيلة أخرىٰ، أو هذه الأسرة قتلت قتيلًا من أسرة أخرىٰ، لربما لم تهدأ لهم نفوسهم، ولم يقر قرارهم، حتىٰ يأخذوا بثأرهم، وربما يصبرون عشر سنوات، عشرين سنة، وهم يحملون الحقد علىٰ تلك القبيلة، وربما كان القتل علىٰ شبر من الأرض، أو علىٰ سيارة، أو علىٰ

كلام تافه، وعلىٰ أخذ ورد، وعلىٰ أمور لا تستحق هذا كله، لكنهم لا يتنازلون عن القتل، أفلا نكون عبادَ الله وقد قُتل من إخواننا وآبائنا وأبنائنا وأحبابنا سُفكت دماؤهم في كل جبل، وفي كل وادٍ، وفي كل محافظة، وفي كل مدينة، سيول من الدماء، من دماء أهل اليمن الأذكياء، من حفظة القرآن، من الأبرياء، من القبائل الشرفاء من المسئولين المظلومين، من أهل اليمن الميمون، أفنسكت عن دماء هؤلاء؟ أفنتغاضىٰ عما حصل لهم من هذه الجرائم العظيمة؟ أين الدفاع عن النفس؟ أين الدفاع عن العرض؟ أين الدفاع عن الدماء؟ أين الانتقام لأصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم؟ أين ما ذكر الله ﷻ أن تُشفىٰ قلوب المؤمنين بكبت الكافرين وسحقهم؟ لماذا ننسىٰ هذا التاريخ المظلم لأهل هذه البلدة، وقد عايشتم حرب الرافضة؟ كان أحدكم لا يستطيع أن يخرج إلىٰ ملعب الكرة، لا يستطيع أن يذهب إلىٰ السوق آمنًا، لا يستطيع أن يتحرك يمنةً ويسرةً، من رفع رأسه قَنصُوه، ماذا عندهم؟ ما عند هؤلاء القوم حتىٰ يأتي صاحب جبل مَرَّان فيقتل أهل هذه البلدة، ويحرق الأخضر واليابس، ويُهدِّم البنيان، ويفعل الأفاعيل؟ أين الغيرة؟ أين الحمية الإسلامية للدفاع عن دين الله ﷻ؟ والله لو تسلط الحوثيون لكنا في حال لا يعلمه إلا الله، وأي حياة سيعيشها المؤمن إلا إذا تخلىٰ عن دينه وكفر بالله ﷻ وصار رافضيًّا، وإلا أي حياة يعيشها إن خرج من داره لا يأمن أن يرجع إليه، إن ذهب أن يصلي في المسجد فربما يُقتل، إن قرأ القرآن قيل له: أنت داعشي، وإن خرج أو دخل يُسلَب من سلاحه.

يا أيها الناس، أَوَما سمعنا، أَوَما شاهدنا ما يحصل لأبناء المحافظات التي سيطر عليها الرافضة؟ أنحن في مأمن؟ تذهب بعض بناتهم إلىٰ مصير مجهول، يؤتىٰ إلىٰ بيت أحدهم فتؤخذ ابنته نصف الليل، أو تُسحب امرأتُه من علىٰ فراشه،

لا يدري إلىٰ أين يذهبون بها، وبعد سنة أو سنتين تُخرج من ذلك السجن بعد أن صارت حُبلىٰ من الزنا، أي حياة سيعيشها أهل اليمن إذا تسلط الرافضة علىٰ البلاد اليمنية؟ يُقتل أشرافهم، تذهب القبائل قبيلة قبيلة، يذهب أهل الدين، تُعطّل المساجد، يرجع اليمن كأنها «طهران»، تُعمَّر القبور، وتُهدَّم المساجد، ويُعطَّل التوحيد، وربما ينطلق الناس إلىٰ «النجف» و«العراق»؛ لزيارة تلك القبور، وربما يذهبون إلىٰ «كاشان» الإيرانية؛ للطواف حول أبي لؤلؤة المجوسي، وربما بنوا لنا في صنعاء الكعبة اليمانية، لا تستبعدوا هذا، لا تستبعد هذا عبدَ الله، فإن أعداء الإسلام هم من دفع بالحوثي، وأعده، وأمده، وأعانه في كل ضائقة، وفي كل معركة، وفي كل حرب، ولهذا انظروا لمَّا تقدم إخواننا في جبال «حيس» و«شمير»، بدأت الأوامر من الأمم المتحدة بالتَّوقُّف، أين هذه الأمم المتحدة والحوثي علىٰ مشارف «مأرب»؟ أين هذه الأمم المتحدة حين دخلوا «بَيْحان»؟ أين الأمم المتحدة يوم أن سحقوا «حاشد» و«بكيل» و«صنعاء» و«خَوْلان» و«ذمار» و«إب» أين مجلس الأمن وهم يرون الأبرياء يُقتلَون؟ لتعلم أن هذه مؤامرة من أعداء الإسلام، فعلىٰ أهل اليمن أن يقوموا قومة رجل واحد.

يا أيها الناس، ألا تدرون أن الصليب الأحمر ومنظمات التنصير وأطباء بلا حدود، وغيرها من تلك المنظمات، أنها هي التي تنقل الصواريخ من محافظة إلىٰ محافظة، في قواطرهم وتِرِلَّاتهم، يجعلون عليها من الشعارات الصليب الأحمر؛ حتىٰ لا يُضرب بالطيران، وهم ينقلون للحوثي كل ما يريد من مكان إلىٰ مكان؟ فهم أعداء الله ﷻ، احترقت قلوبهم علىٰ اليمن؛ لما يرون فيها من السنة، لما يرون فيها من الإسلام، لما يرون فيها من العلم، لما يرون فيها من هذا الخير، الذي لا يوجد في دولة علىٰ وجه الأرض، فهم لا يريدون هذا أبدًا، ولهذا استغلوا الرافضة،

فركبوا ظهورهم، ومَنُّوهم بملك اليمن، وهيهات هيات، فأهل اليمن علىٰ مر التاريخ عاشوا أحرارًا، وسيكونون كذلك، وقد بين نبينا ﷺ أن أهل اليمن هم إمداد أهل الإسلام، هم إمداد الجيوش الإسلامية علىٰ مر التاريخ، هم أنصار دين الله ﷻ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾ [المائدة: ٥٤] إلىٰ آخر الآية، قال رسول الله: «**هم قوم من اليمن**»(١)، وقال في أبي موسىٰ: «**هم قومُ أبي موسىٰ، هم هذا وقومه**»(٢)، فأهل اليمن بيَّن النبي ﷺ أنهم أنصار دين الله إلىٰ قيام الساعة، فهيهات هيهات أن يُخفض التوحيد، وأن يُرفع الشرك، وأن يتسلَّط أعداء الإسلام، وإنما هو تمحيص وابتلاء، وقد بلغ الرافضة أعلىٰ المراتب من الإجرام والطغيان، وحقٌّ علىٰ الله أن لا يرتفع شيء في الدنيا، إلا وضعه، فالفرج قريب بإذن الله ﷻ، كلما اشتد الكرب وعظم، كلما جاء الفرج.

عظمت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

ألم يقل نبينا ﷺ: «**يخرج من عدن أبين اثنا عشر ألفًا ينصرون الله ورسوله، هم خير من بيني وبينهم**»(٣)؟ ألم يقل النبي ﷺ: «**إني لأجد نَفَسَ الرحمن من قبل اليمن**»(٤)؟ أي ما يحصل من التنفيس في الجهاد في سبيل الله ﷻ، وفي إمداد

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٣٩٢) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٧/ ١١٠٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) «تفسير الطبري» ط. هجر (٨/ ٥٢٢).

(٣) أخرجه أحمد (٣٠٧٩)، وأبو يعلىٰ (٢٤١٥) وصححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه علىٰ «المسند».

(٤) أخرجه أحمد (١٠٩٧٨)، والحديث في «السلسلة الصحيحة» (٣٣٦٧).

جيوش أهل الإسلام.

فما علينا معاشرَ المؤمنين إلا أن نتدارك أنفسنا، وأن نجمع كلمتنا، وأن نوحد صفوفنا، والله ما دخل الحوثي بلدًا إلا بتفرق أهلها، وشراء بعض المنافقين منها، وإلا فإنه لا يستطيع بقوته وعتاده وعدته المواجهة في مواقع النزال وفي أماكن القتال، وسلوا ألوية العمالقة: كيف يجدون الحوثيين؟ بل سلوا أهل السنة: كيف وجدوا الرافضة في جبل البرَّاقة والمشرحة، وفي جبل القصبة، وفي الفحلوين، وفي جبل الشافعي، وفي بلاد وائلة؟ وأينما كانوا في سائر الجبهات، فإن الله ﷻ يقول في كتابه: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١]، يحملون العقيدة الفاسدة، يحملون الشرك بالله ﷻ، يحملون الخنا والزنا، والمتعة واللِّواط، فكيف يكون لهم النصر؟ ونحن أهل التوحيد والعقيدة، ونحن ندافع عن دمائنا، وعن أعراضنا، وعن بلداننا، وعن عقيدتنا، وعن كتاب ربنا، ولكنه التمحيص والابتلاء، فعلينا أن نُجمِع الأمر رجالًا ونساءً، محكومين وحاكمين، وسائر الأحزاب والفرق، من لم يكن رافضيًّا، فليعلم أنه مستهدف، فلا يجوز له أن يتخاذل، ولا أن يتراجع، ولا أن يكون موطنًا للضعف والخلل من خلاله يدخل الرافضة الحوثيون، بل كل يقف صفًّا واحدًا وأمة واحدة، بذلك يحصل النصر والتمكين والعز بإذن الله ﷻ، ويكون ذلك كسرًا لأنوفهم وإرغامًا لها، للرافضة ولمن وكلهم وأعانهم وأمدَّهم، فإن الله ناصرٌ دينه ومتمٌّ كلمته ومؤيدٌ أولياءه، ألم يقل الله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ الْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ

﴿يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٨، ٣٩].

الأسباب كثيرة، ولكن ما ذُكر فيه كفاية، وكما سمعت في أول المحاضرة: لو جاء من يريد أن يخرجك من دارك، لوجب عليك أن تقاتله، كلٌّ بحسبه، كما جاء في الأدلة المطهرة من الكتاب والسنة، فكيف بمن جاء يريد أن يسلب عقيدتك ثم يسلب مالك ثم ينتهك عرضك، ثم يأخذ روحك، ثم يجعلك في خبر كان؟ فهو أولىٰ بأن يُقاتَل، وأولىٰ بأن يُجاهَد، وإن حصل ما حصل والنصر من عند الله ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

نسأل الله ﷻ بمنه وجوده وكرمه وإحسانه أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضىٰ، وأن يجمع كلمة أهل الإسلام علىٰ الحق المبين، وعلىٰ كتاب الله العظيم، وعلىٰ سنة نبيه الأمين، إنه علىٰ كل شيء قدير، اللهم عليك بالرافضة الحوثيين، اللهم مزِّقهم كل ممزق، اللهم عجِّل بزوالهم، اللهم عجِّل بزوالهم.

لا تفتروا من الدعاء عباد الله، كم من كبير في السن قتل أولاده الحوثيون وهو في أمس الحاجة إليهم، يرفع يديه في الثلث الأخير من الليل، يدعو عليهم، كم من يتيم، كم من أرملة، كم من جريح في المستشفيات، كم من مريض في بيته يئنُّ، يدعو الله ﷻ بصدق، فرب دعوة تَنكُب هؤلاء المجرمين، وما ذلك علىٰ الله بعزيز، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وبارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرًا، والمعذرة إن كنا أطلنا عليكم.



ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عبادَ الله، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ [البقرة: ١٢٠]، هذا الخطاب من الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ، وهو خطاب لسائر الأمة المحمدية، وبيان من الله ﷻ لما يُكنُّه أعداء

الإسلام من اليهود والنصارىٰ من العداوة الشديدة والمكر الكُبَّار، وأنهم يسعون ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا، في زحزحة أهل الإسلام عن دينهم وعقيدتهم، وإبعادهم عن الفضائل العظيمة التي جاءت في كتاب الله ﷻ، وفي سنة رسوله ﷺ، وأنه مهما حصل من أهل الإسلام، فلن يرضىٰ أعداء الله ﷻ إلا أن نكون تبعًا لهم ظاهرًا وباطنًا، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، ولن يكون الاتباع لتلك الملة إلا بالتخلي عن الإسلام الصحيح، والبعد عن الشريعة المحمدية التي رضيها الله ﷻ لهذه الأمة، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

ثم قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠] الذي بعث به رسوله ﷺ الهدىٰ العلم الخير الكنز، فإذا ترك العبد هذا، واتبع أهواء الأعداء، فقد وقع في خطر عظيم، وهوىٰ في مكان سحيق، ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾، وكيف يرضىٰ العاقل لنفسه أن يترك العلم النافع والحقائق الصحيحة والهدىٰ والبرهان، ثم يتتبع الآراء والأهواء؟ ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، هنا تنزل عقوبة الله ﷻ، عاجلًا وآجلًا لمن ترك الخير الذي هو عليه، وتتبَّع الشر الذي هم عليه.

أيها المؤمنون عبادَ الله، لقد ذكر الله ﷻ لنا حقد اليهود والنصارىٰ علىٰ مر التاريخ، في كتاب الله ﷻ، وفي سنة رسوله ﷺ، ولقد شاهدنا لمن قرأ التاريخ والسير أفعالهم القبيحة ومكرهم وكيدهم وأذيتهم، ولكن كثيرًا من الناس لا يعلمون، فتجدهم يحسنون الظن بأعداء الله سواء كان من اليهود، أو من النصارىٰ، أو من المجوس الصفويين، أو من سائر أهل الأوثان والشرك والإلحاد والكفر، قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ

أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥]، هم لا يريدون لنا خيرًا، حسيًّا، ولا معنويًّا، دنيويًّا، ولا أخرويًّا، وإنما يريدون منَّا أن نكون أذنابًا لهم وأتباعًا في الشر والرذائل والقبائح، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وهكذا يقول الله ﷻ عنهم، وعن المنافقين: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ ﴾ [النساء: ٨٩].

أعداء الإسلام من اليهود والنصارىٰ هم قتلة الأنبياء، ومبدلو الآيات والأحكام الشرعية، كما ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم، فكيف يُنتظر منهم خير، أو يُرجىٰ منهم نفع؟ قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧]، فهم قتلة الأنبياء، ولهذا قال الله لهذه الأمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

أعداء الإسلام يحسدون هذه الأمة علىٰ كل خير يصل إليهم حسيًّا أو معنويًّا، ومن أعظم الخير هذا الدين، هذا الإسلام، هذا التوحيد، ولهذا قال الله ﷻ عنهم: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ٥٤، ٥٥].

قال القرطبي عند هذه الآية: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: يحسدون محمدًا ﷺ؛ لِمَا آتاه الله ﷻ من الوحي والإسلام والإيمان، ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ

مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾؛ ولهذا اشتدت عداوتهم، وعظم مكرهم، وكبر كيدهم علىٰ مر العصور والتاريخ، وكلما فشلوا في مؤامرة سعوا إلىٰ غيرها، أَوَ ما سمعت الله ﷻ يقول في كتابه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦]، أموالهم كلها ينفقونها للصد عن سبيل الله، وأهل الإسلام أحدهم ليس مستعدًّا أن ينفق زكاة ماله للدعوة إلىٰ الإسلام، ونصرة الحق، وأحدهم ليس مستعدًّا أن ينفق شيئًا من عمره لخدمة دين الله ﷻ، أعداء الإسلام ينفقون أموالهم كلها للصد عن سبيل الله ﷻ وتوطيد الكفر، ومحاربة الإسلام، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾.

يسعون في كل عصر ومصر للتسلط والسيطرة علىٰ العالم، دائمًا وأبدًا، هذا دأبهم، وهذه طريقتهم، ولهذا فإن من أعظم ما نجح به أعداء الإسلام في هذا العصر وفي هذا الزمن لهو تفكيكهم، وتمزيقهم، وضرب بعضهم ببعض، فأوردوا لنا، وصدَّروا إلىٰ بلادنا ما يُسمَّىٰ بالربيع العربي، الذي صار جحيمًا علىٰ بلاد أهل الإسلام، ففُكِّكَت الدول، وضُربت الجيوش، وضعفت دول أهل الإسلام دولة دولة، وما هذا إلا مخطط من أعداء الإسلام، وينبغي أن نتذكر هذه الآية: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾ [البقرة: ١٢٠]، إنما صنعوا ذلك؛ ليتسنَّىٰ لهم السيطرة، وليتسنَّىٰ لهم التسلط؛ حتىٰ لا يبقىٰ في طريقهم أحد يملك قوة وحزمًا ووحدة، ويملك شجاعة وسلاحًا، ففككوا دول الإسلام دولة دولة، وسلموها دولة دولة لأعداء الله ﷻ من الرافضة المجوس الصفويين، الذين لا

يرقبون في مؤمن إلًّا، ولا ذمة، فهذه بلاد العراق قد سُلِّمت لهم علىٰ طبق من ذهب، وهذه لبنان، وهذه سوريا، وهم يسعون إلىٰ تسليم بلاد الإسلام لأعداء الله ﷻ، الذين لا فرق بينهم وبين اليهود والنصارىٰ شيء، بل إنهم أعظم منهم كفرًا، وأشد منهم زندقة، وفي هذه الآونة الأخيرة يسعون للقضاء علىٰ بلاد الجزيرة العربية، ابتداءً ببلاد اليمن، ومرورًا ببلاد الحرمين التي فيها مقدَّسات أهل الإسلام، والتي فيها قبلتهم، والتي فيها مهبط الوحي، والتي بُعث فيها محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، فسعوا سعيًا حثيثًا؛ لتسليم بلاد اليمن لأيدي الرافضة اللئام، الزنادقة المجرمين، الذين لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، ولمَّا كُسر أبناء المجوس وأحفادهم في بلاد عدن وما حولها، وانكسروا، ورجعوا مذءومين مدحورين- لم ييأس أعداء الإسلام، بل سعوا إلىٰ انتشالهم، والوقوف في صفوفهم، ومناصرتهم في المحافل الدُّوَلية، بل إنهم سعوا لتخريب هذه البلاد وتضييعها، كل ذلك؛ ليتسنَّىٰ لهم السيطرة علىٰ ما بقي من بلاد أهل الإسلام، وكثير من الناس لا يعلمون، وكثير من الناس ينتظرون من دول الكفر أمريكا وغيرها، ينتظرون منها خيرًا، والله ﷻ قد بيَّن لنا أنه لا خير من أعدائه وأعداء رسله وأعداء دينه، ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٠٥]، حتىٰ بركات السماء لو استطاعوا أن يمنعوها عنا، لمنعوها، حتىٰ خيرات الأرض لو استطاعوا أن يسلبوها، لسلبوها، فأين عقولنا؟ وربنا يبيِّن لنا بأوضح البيان وأجلىٰ الكلام أن هؤلاء أعداؤه وأعداء دينه، لا يجوز لنا أن نركن إليهم، ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم، أما بعد:

إن ما نلاحظه ونشاهده في بلادنا من الفوضىٰ العارمة، وسفك دماء الأبرياء، تارة في خطباء المساجد، وتارة في الرموز والقادات، وتارة في العقلاء والشيوخ وغيرهم، إن هذا لمخطط صهيوني بمعاونة إيرانية مجوسية بأيدي من باع ذمته ودينه وعقيدته، طاعة لأعداء الإسلام؛ لتخريب هذه البلد الطيب؛ ليتسلط أعداء الله ﷻ، بحجة أنها بلد ملئت بالإرهاب؛ ليسيطروا علىٰ مينائها، ويكون باب المندب في أيديهم، ويأخذون ثرواتها، ويحاربون أهل الإسلام فيها.

إن ما تعيشه هذه البلاد من الدعوة المباركة والخير الموجود من العلم النافع والعمل الصالح والدعوة إلىٰ سنة رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم- قَضَّ مضاجع اليهود والنصارىٰ والمجوس، ولهذا يركِّزون علىٰ هذه البلد؛ لإشاعة الفوضىٰ فيها وتخريبها؛ لتكون بغداد الثانية، أو سوريا الملتهبة؛ ليسهل عليهم دخولها، والسيطرة عليها، ولكننا عباد الله نعلم أن مكرهم يبور، وأن الله ﷻ يقول: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥- ١٧]، ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، كلما أبرموا مؤامرة، فشَّلها الله، كما قال الله ﷻ في كتابه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ

﴿إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

إنه ينبغي لنا عباد الله ألا تزيدنا هذه المؤامرات إلا ثباتًا علىٰ دين الله ﷻ، وقوة في الإيمان والعقيدة، وصبرًا علىٰ طاعة الله، وتماسكًا، وأخوةً، وترابطًا، وإيمانًا بالله ﷻ، وتعاونًا علىٰ البر والتقوىٰ، إن هذه البلاد الطيبة تمر بمرحلة عظيمة، وبمرحلة شائكة، يجب علىٰ أهلها أن يتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ، وأن يعتصموا بحبل الله جميعًا، وأن يتمسكوا بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ، وأن ينبذوا الفرقة والخلاف، وينبذوا البدع والشقاق، ويبتعدوا عن الشرك والخرافات، ويبتعدوا عن المعاصي والسيئات، فوالله ما نؤتىٰ إلا من ذنوبنا وسيئاتنا وبدعنا، أَوَ ما سمعت الله يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠]، أين التعاون علىٰ البر والتقوىٰ؟ أين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أين قول الحق؟ أين النصيحة؟ أين التحذير من الشر؟ ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]، فإننا في زمن كثر الشر وأهله، وقل أهل الخير فيه، فيجب علينا أن نتناصر، وأن نتضافر، وأن نتعاون، وأن نعلم أن من يسعىٰ إلىٰ إثارة الفوضىٰ، أو زعزعة الأمن، أو قتل الأبرياء وغيرهم، أنه معول بيد اليهود والنصارىٰ والرافضة، وغيرهم من أعداء الإسلام، فما هكذا الإصلاح، ولا هكذا الإسلام، ولا هكذا التعاون، ولا هكذا الأخوة، ولا هكذا أمرنا الله ﷻ.

نسأل الله ﷻ بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن يدفع عنا وعنكم الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم من أرادنا وبلدنا بسوء، فاجعل كيده في نحره، واجعل الدائرة عليه، يا قوي، يا متين، إنك علىٰ كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين.

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، عبادَ الله، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

أهل الإيمان والحق يقاتلون؛ من أجل الله ﷻ، وإعلاء كلمته، ونصرة دينه،

وإقامة شعائره، وأهل الباطل يقاتلون في سبيل الشيطان؛ لإقامة الشرك والوثنية، والإلحاد، والخروج عن ملة الإسلام.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، إن ما يدور في هذه الأيام من الحرب بين أهل السنة والإيمان وبين أهل الرفض والتشيع والكفر والزندقة، إنها حرب بين الإسلام والكفر، إنها حرب بين التوحيد والشرك، إنها حرب بين الحق والباطل، وقد صبر أهل السنة كثيرًا، وتحملوا كثيرًا، وتغاضوا كثيرًا، وتناسوا كثيرًا، ولكنَّ أعداء الله ﷻ من حفدة المجوس وعبَّاد الأصنام وأعداء الإسلام- أبوا إلا أن يقحموا أهل الإيمان في هذه المعركة التي ظهر فيها الحق من الباطل، وظهر فيها أنصار الحق من أنصار الباطل، وظهر فيها المؤمنون من المنافقين، فإن فيما يدور في هذه الأيام إما مؤمن يناصر أهل الإيمان بنفسه وماله ولسانه وقوله، وإما مناصر لأعداء الإسلام سواء كان بنفسه أو كان بماله.

إن أهل السنة والجماعة قد شُوِّهت سمعتهم، وقد أوذوا كثيرًا من قبل المبتدعة والحزبيين وأهل الأهواء، بل وأعداء الإسلام ووسائل الإعلام، وغير ذلك، وهم تُكال عليهم التُّهم، ليلًا ونهارًا، وهم صابرون، كثير من الناس يعرض عن دعوتهم مع ما فيها من الخير للمجتمعات، هذه الدعوة المباركة التي لها ما يقارب أربعين سنة في بلد الإيمان والحكمة، التي ما عرف الناس منها شرًّا، ولا تلقَّوا منها ضرًّا، منذ أن جددها ذلك الإمام مقبل بن هادي الوادعي، ولم يعرض عنها، ولم يحاربها، ولم يقف في طريقها إلا الحاقدون، إلا المنافقون، إلا أعداء الدين، أو من في قلبه مرض، أو من لُبِّس عليه، وها هي تحاك هذه المؤامرة داخليًّا وخارجيًّا؛ للقضاء علىٰ أهل السنة في ذلك المكان العظيم، الذي يحوي حفظة القرآن والسنة، والذي يحمل العلماء وطلاب العلم والدعاة إلىٰ الله ﷻ.

وإننا لنعجب عبادَ الله، إننا لنعجب أن تروج شائعات الرافضة، وإعلامهم الكاذب، فيروج علىٰ فئة من الناس، فيقبلون كلامهم، ويسمعون هجومهم، مع علم المسلمين بتاريخ الرافضة، وما عندهم من العقائد الفاسدة، والعقائد الكاسدة، إن الرافضة يا عباد الله لا يريدون فلانًا ولا فلانًا، وإنما يريدون المسلمين عمومًا، يريدون من يقول: لا إله إلا الله. فهذا قائد ثورتهم الذي صُنع في باريس، والذي أنشأه أعداء الإسلام، وهو الخُمينيُّ لا رحمه الله، يطعن في أنبياء الله ورسله، ويقول بأن الأولياء سيُكملون المهمة التي عجز عنها الأنبياء، ويقول أيضًا في كتابه الحكومة الإسلامية، يقول: إن الأولياء لكلامهم أعظم من القرآن. إذا كان هذا مؤسس دولتهم، وهذا عميلهم، وهذا الذي يمجدونه ويعظمونه في كل بلاد، وفي بلادنا اليمنية يعظمونه غاية التعظيم، يقول هذا الكلام: إن أئمتنا إن لهم كلامًا أعظم من القرآن. فماذا ننتظر من هؤلاء عبادَ الله؟

إن الرافضة شرهم مستطير، وضررهم خطير، وانتشارهم سريع هنا وهناك، إن الرافضة يا أيها المسلمون لا يريدون صعدة ولا جبالها، ولا صنعاء ولا حجارها، ولا ذمار وما فيها، وإنما يريدون البلاد الإسلامية بأكملها، وفي بلاد اليمن يريدون ميناء عدن، يريدون ميناء الحُدَيدة، يريدون أرض المسيلة، يريدون مالًا، يريدون أماكن البترول وأماكن الثروات؛ لينقضوا علىٰ الأم الإسلامية، ولهذا فإنهم يغازلون بعض آبائنا وبعض إخواننا في صحافاتهم وفي إذاعاتهم وفي قنواتهم أنهم لا يريدون أهل الجنوب، والعياذ بالله، من الذي يُقتل في دار الحديث بدماج؟ إنهم أبناؤكم، إنهم أعراضكم، إنهم إخوانكم، من الذين يُقتلون في أرض كتاف؟ إنهم أبناؤكم يا أهل عدن، ويا أهل يافع، ويا أهل أبين، ويا أهل حضرموت، هبوا لنداء الجهاد، هبوا لنداء الجهاد؛ لرفع هذه الراية، لكسر هذا العدو الصائل الذي يريد البلاد

بأكملها، فأفٍّ لأصحاب السياسات الذين يريدون المناصب والدنيا علىٰ حساب العقيدة، علىٰ حساب الدين، علىٰ حساب القِيَم، علىٰ حساب الأخلاق، علىٰ حساب الشرف، علىٰ حساب الكرامة، يريدون الدنيا ولو في الطعن في دين الله ﷻ.

إن في هذه الحرب ظهر أعداء الحق، إما أن تكون مناصرًا للحق، أو تكون مخاذلًا له، ظهر في هذه الحرب من أعداء السنة؟ من أعداء الدين؟ من أعداء الملة؟ إما أن تكون مناصرًا للرافضة المجرمين، وإما أن تكون مناصرًا لأهل الحق وأهل السنة، أهل السنة قد بذلوا أنفسهم وأموالهم وأوقاتهم؛ لنصرة دين الله ﷻ، والله ناصرهم، قال الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]، وهو القائل سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣] ولو تكالب الأعداء، وهذا الحاصل في أيامنا، تكالب من اليهود والنصارىٰ، تكالب من أمريكا دمرها الله، وإيران دمرها الله، وهكذا بالأعداء في الداخل من الرافضة، ومن يناصرهم، ومن يؤيدهم، ومن يتعاون معهم، والله ناصرٌ دينَه، فسنة رسول الله ﷺ تتحطم عندها جيوش الإلحاد، ولهذا فقد حاول الرافضة مرارًا خلال هذا الشهر والعشرة الأيام، مرارًا أن يقذفوا أهل السنة بأشد ما يجدون عندهم من الصواريخ والدبابات، وغيرها من القاذفات، ولكن الله بالمرصاد، نصر أولياءه، ودحر أعداءه، والنصر من الله، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

قام قبائل اليمن الشرفاء وأهل السنة النبلاء من هنا وهناك، يهبون لنصرة

إخوانهم؛ لاستنقاذ أعراضهم، لإخراج أطفالهم من ذلك الدمار، والإبادة الجماعية، وإذا بأفواهٍ أسكتها الله تقول بأن هذه حرب سياسية، الدفاع عن الدين حرب سياسية، الدفاع عن العرض حرب سياسية، الدفاع عن الدماء حرب سياسية، أين العقول يا عباد الله؟ فهب يا عبد الله لنصرة دين الله ﷻ، إن دماء أهل السنة لا تذهب هدرًا، إن دماء أهل السنة التي تُسفك من قبل الرافضة ومن شاركهم، فإن من عاونهم أو أيدهم فهو مشارك في تلك الدماء، وسيلقىٰ الله ﷻ بذلك، والله ناصر دينه، وأهل السنة وطنوا أنفسهم إما شهداء وإما منصورون، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

النصر آتٍ آتٍ بإذن الله ﷻ، ولكنه الابتلاء والامتحان، ولكنه الابتلاء والاختبار، تخلَّىٰ القريب والبعيد، حتىٰ دولتنا وفقها الله، تخلَّت عن رعاياها، تخلت عن أبنائها، وهكذا القوات المسلحة، وهكذا غيرهم، ولكن لنا الله، فهو ناصر عباده، ومؤيدٌ أولياءه، فهو الذي يقول للشيء: كن. فيكون. وهو الذي يدحر الأعداء، وهو الذي يحب الأولياء، وهو الذي ينصر عباده، فهو القائل في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩]، فنصرُ اللهِ ﷻ لمن سلك دينه، وسلك سبيله، وعمل بشرعه، وصبر علىٰ اللآواء والشدات، وصبر علىٰ البلاء، وصبر علىٰ الامتحان، فالله ﷻ يقول: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣].

الخطبة الثانية

الحمد لله، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحبُّ ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فلنبشر إخواننا جميعًا الحاضرين والسامعين بأن الله ﷻ قد نصر عباده، وقد أيد أولياءه، فهم يوم بعد يوم وأعداء الله ﷻ في ضعف وخَوَر، إن قُتِل من أهل السنة رجلان قُتل من أولئك الأعداء عشرة، وهكذا تؤخذ جبالهم، وتُسحَب قواتهم مع ما يملكون من القوة، ومع ما عندهم من الدعم، ومع ما عندهم من التأييد الإعلامي الداخلي والخارجي، ولكنهم مقهورون بإذن الله ﷻ، وإننا وإن وتألمنا علىٰ إخواننا، فإنهم في خير عظيم، واللهِ لقد سبقونا بالخير، فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩- ١٧١] اختارهم الله، اتخذهم الله، اصطفاهم الله، وإنما نحزن علىٰ أنفسنا، أين نحن من نصرة دين الله ﷻ؟ أين نحن من نصرة سنة رسول الله ﷺ؟ نحن نسمع إخواننا يتألمون، والقذائف علىٰ رءوسهم ليلًا ونهارًا، أبناؤنا إخواننا أعراضنا، ونحن لا زلنا ساكتين، ولا زلنا متقاعسين، أما أولئك فقد فازوا واللهِ، فازوا، فإن الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ

بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة: ٥٢] هنيئًا والله لمن قدَّم نفسه من أجل الله ﷻ، ليس من أجل فلان ولا فلان، ومن نصرَ دين الله ﷻ، جزاه الله خيرًا، أيًّا كان، من نصر دين الله، وتعاون مع أهل السنة، فجزاه الله خيرًا، ومن اعترض ذلك، فلا جزاه الله خيرًا، ولا لقَّاه خيرًا، ولا رأىٰ خيرًا، الذي يصدُّ عن سبيل الله ﷻ.

أهل السنة وهم في هذه المضايق، وفي أشد المواقف، وإذا بهم يُتهمون أنهم في تنظيم القاعدة، أو أن تنظيم القاعدة هو الذي يساعدهم، أو هو الذي سينقذهم، ونحن واللهِ نبرأ من هذه الأفعال، ومن هذه الأقوال، من الذي بيَّن أقوال تنظيم القاعدة وطريقهم المنحرف وعقيدتهم الفاسدة إلا أهل السنة حينما نام كثير من المسئولين، حين نام كثير من الوجهاء، حين نام كثير من العقلاء؟ فبيَّن أهل السنة هذه الطريقة العوجاء، فليس لنا إلا الله، لا تنظيم قاعدة، ولا غيره، بل نحن برآء من أفعالهم، ومن طريقتهم، ولكن هذا من تتمة المؤامرة، من تتمة المؤامرة، فقد ثبت أن تنظيم القاعدة لهم علاقة بإيران، أي بعضهم له علاقة بإيران، فهذا من تتمة المؤامرة، فاصبروا يا أهل السنة، فإن النصر حليفكم، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، أهل السنة رفعوا هذه الراية وصرخوا بها صراخًا من علىٰ منابرهم، وفي مساجدهم، وفي جبهاتهم، ما تسلَّلوا لواذًا، ولهذا يطمئن الجواسيس الذين ينقلون الأخبار هنا وهناك، خذها مباشرة من علىٰ المنابر، فأهل السنة يعلنون ذلك صراحة، لا يخافون في الله لومة لائم، سواء كان الحوثي وراءه إيران، أو كانت وراءه أمريكا دمرها الله ﷻ؛ لأنهم في مرضاة الله، وفي نصرة دين الله، من عاش منهم عاش سعيدًا، ومن مات منهم مات شهيدًا حميدًا، وهنيئًا لمن كان هذا حاله، فإن أقوامًا

تُسفك دماءهم من أجل المناصب، ومن أجل الكراسي، وفي الساحات والشوارع والطرق، بغير فائدة تذهب هباء منثورًا، وربما أصحابها يتحملون الأوزار، وأما من قُتل في سبيل الله ﷻ فهنيئًا له، من قُتل في سبيل الله ﷻ، فهنيئًا له، فإياك يا أيها المسلم أن تنطلي عليك الدعايات، أو أن تُنفَق عندك الشعارات، أو أن تقبل ما يقال في الجرائد والصحف والمجلات، أو في القنوات الفضائية، فإن ذلك كله من الحرب علىٰ الإسلام وأهله، والله محق الحق ومبطل الباطل، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، الله ناصر دينه، ومؤيد عباده، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩] فنعتصم بالله ﷻ، ونثق به سبحانه، ونتوكل عليه، وندعوه آناء الليل وأطراف النهار أن ينصر إخواننا في جبهات القتال.

اللهم انصر عبادك الموحدين في كل مكان، اللهم انصر عبادك المستضعفين في بلاد سوريا، اللهم انصر عبادك الموحدين في دار الحديث بـ«دماج» وفي «كتاف» وفي «حرض».. وفي غيرها من الجبهات، اللهم كن لهم معينًا ونصيرًا، اللهم ثبت أقدامهم، اللهم سدد رميهم، اللهم اربط علىٰ قلوبنا، اللهم عليك بالرافضة الحوثيين، اللهم مزق أشلاءهم، اللهم أَفشِل مؤامراتهم، اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تغادر منهم أحدًا، اللهم عليك بهم، فإنهم لا يعجزونك، اللهم عليك بهم وبمن أيدهم وتعاون معهم، يا قوي يا متين، والحمد لله رب العالمين.

وما كان لمؤمن أَن يقتل مؤمنا إلا خطأ

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالىٰ[١]: هذا يدلُّ علىٰ أن قتل النفس المؤمنة ذنب عظيم، ولهذا فإن الله ﷻ قَرَنَه بالشرك به ﷻ في غير ما آية، قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] الآية، وقال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥١]، إلىٰ أن قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥١].

قتل النفس المؤمنة كبيرة من كبائر الذنوب، وجُرمٌ عظيم؛ ولهذا فإن الله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ﴾ [النساء: ٩٢]، فالمؤمن لا يمكن أن يتجرأ علىٰ قتل المؤمن عمدًا إلا إذا ذهب إيمانه، أو ضعف إيمانه ضعفًا شديدًا، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ﴾، وهذا يدلُّ علىٰ حرمة المؤمن المسلم، وعلىٰ عظم التعدي علىٰ دمه.

وفي هذه الآية الكريمة التي سمعتموها، ذَكَرَ الله ﷻ خمس عقوبات لم تُجمع في آية واحدة لذنب من الذنوب، إلا لهذا الذنب، وهو سفك دماء المؤمنين، وفي هذه الآية يقول: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣]، ومن هنا حصل الخلاف بين أهل العلم: هل الذي يقتل النفس المؤمنة له توبة؟ أم أنه لا توبة له ويخلد في النار؟

فالذي عليه جماهير السلف وأهل العلم أن هذه الآية مبيَّنة بقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ١١٦]، فما كان دون الشرك فهو تحت مشيئة الله ﷻ، وأما التخليد في هذه الآية فمعناه المكوث الطويل،

---

(١) «تفسير ابن كثير»، ت: السلامة (٢/ ٣٧٦).

أو أن هذا يُحمل علىٰ من كان مستحلًّا للقتل، ومن استحل ما حرَّم الله ﷻ كفر، فإن مات علىٰ ذلك كان من أهل النار الخالدين فيها، أو أن هذا جزاؤه ويستحق ذلك ما لم يكن هناك مانع، والتوحيد أعظم مانع من الخلود في النار، ومع ذلك فهو في خطر عظيم، فقد كان عبد الله بن عباس يقول بأن القاتل لا توبة له، وأن هذه الآية هي من آخر ما أُنزل، ثم تراجع عن هذا القول كما صح عنه في «الأدب المفرد»(١).

أيها المسلمون عبادَ الله، عقوبات القتلة عظيمة، وجزاؤهم شديد في الدنيا والآخرة، والحديث عن هذا يطول، ولكننا أردنا في هذا المقام أن نذكر ما في هذه الآية، وما كان من بابها، مما يناله المجرمون الذين يسفكون الدماء المحرمة في الدار الآخرة، فإن جزاءهم عظيم، والوعيد لهم شديد؛ ولهذا قال نبينا ﷺ كما في «الصحيحين»، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**أول ما يُقضَىٰ بين الناس في الدماء**»(٢)، أول المظالم التي يقتصُّ لأصحابها في عرصات القيامة الدماء، قبل الأموال، وقبل الأعراض، وقبل الممتلكات، يُبدأ بهذه المظلمة، ولهذا فقد جاء عند الإمام النسائي وغيره من حديث عبد الله بن مسعود، ومن حديث ابن عباس، وجاء نحوه عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي المقتول يوم القيامة متعلِّقًا بقاتله**- وفي رواية: **ورأسه في يده- تَشخُب أوداجُه دمًا، فيقول: يا ربِّ، سَل هذا فيم قتلني؟ فيقال له: فيم قتلته؟ قال: فيقول: قتلته؛ لتكون العزة لك. قال: فإنها لي. ويأتي الآخر متعلِّقًا بقاتله فيقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني؟ فيقول: فيم قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لفلان. فيقول الله ﷻ: إنها ليست لفلان، إنها لي. فيبوء بإثمه وإثمه**-

---

(١) «الأدب المفرد» بأحكام الألباني، ت: الزهيري (ص٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨).

وفي رواية: **فيُهوَىٰ به في نار جهنم سبعين خريفًا**»(١).

الموقف شديد، تصوروا هذا الموقف عبادَ الله، يأتي بقاتله يسوقه إلىٰ الله؛ ليأخذ حقه منه يوم القيامة، لماذا قتلته؟ قال: من أجل المسؤول الفلاني، والحاكم الفلاني، والتاجر الفلاني، والظالم المجرم الفلاني. من أجل كذا وكذا من الدنيا، من أجل المال، سل هذا فيم قتلني؟ قال: فيقول: قتلته لتكون العزة لفلان. فيبوء بإثمه وإثمه. ذنب عظيم، وجُرم جسيم، يؤخذ لهؤلاء المظلومين من القتلة يوم القيامة.

وهكذا معاشرَ المؤمنين، ممَّا يدلُّ علىٰ جرم هذا الذنب وعقوبة فاعله ما قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩]، انظر إلىٰ هذه العقوبات لمن جمع بين الشرك بالله ﷻ، وهو أعظم الذنوب، مع قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، يقول نبينا ﷺ، كما عند الترمذي، عن معاوية رضي الله عنه، وجاء عن أبي الدرداء: «**كلُّ ذنب عسىٰ الله أن يغفره، إلا الرجل يقتل المؤمن متعمدًا، والرجل يموت كافرًا**»، «**كل ذنب عسىٰ الله أن يغفره، إلا الرجل يقتل المؤمن متعمدًا**»(٢)، وهكذا يقول نبيُّنا ﷺ: «**من قتل مؤمنًا، فاغتبطَ به**»، كما في حديث عبادة بن الصامت عند أبي داود والطبراني، أي: فرح بقتله؛ لأجل شيء من أمور الدنيا، بغير حق، «**من قتل مؤمنًا فاغتبط بقتله، إلا لم يرح رائحة الجنة**»(٣)، إذًا فالعقوبة عظيمة، وهكذا يقول

---

(١) أخرجه النسائي في «سننه» (٣٩٩٧)، والطبراني في «الكبير» (١٠٠٧٥) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٤٨).

(٢) أخرجه النسائي (٣٩٨٤) واللفظ له، وأحمد (١٦٩٠٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٧٠)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢/ ٢٦٦)، وصححه الألباني في صحيح «الترغيب والترهيب» (٢٤٥٠).

نبيُّنا ﷺ كما جاء في حديث أبي بكرة وأبي هريرة وابن عباس وآخرين: «**لو اجتمع أهل السماوات والأرض علىٰ قتل رجل مسلم، لأكبَّهم الله في النار**»، الذي يجترئ علىٰ سفك الدماء المحرمة، ألا يخشىٰ من هذا الوعيد العظيم؟ وإن سلم في الدنيا، فإنه لن يسلم في الآخرة، «**لو اجتمع أهل السماوات والأرض علىٰ قتل رجل مسلم، لأكبَّهم الله في نار جهنم**»(١).

وفي الآية المتقدمة: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣]، ومن الذي يقوىٰ علىٰ جهنم ولو لم يُخلَّد فيها؟ من الذي يقوىٰ عليها ساعة بل دقيقة بل ثانية؟ ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، هذا يدلُّك علىٰ حرمة المسلم، وعلىٰ عظم هذه الجريمة، يترتَّب علىٰ قتله هذه العقوبات الخمسة: جزاؤه جهنم يُخلَّد فيها، يغضب الله عليه، يلعنه، أي: يطرده من رحمته سبحانه، ويُعدُّ له عذابًا عظيمًا، ربما يُحرَم من الجنة، ويكون من سكان النار، جاء من حديث أبي سعيد الخدري عند الترمذي، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» أن النبي ﷺ قال: «**يخرج عنق من النار فيقول: وُكِّلْتُ بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبمن دعا مع الله إلهًا آخر، ومن قتل مؤمنًا مُتعمدًا**»، قال: «**فينطوي عليهم فيهوي بهم في نار جهنم**»(٢)، هذا العنق الذي يخرج من النار ينطوي علىٰ هؤلاء الثلاثة، وجاء في حديث أبي هريرة: «**وبالمُصوِّرين**»، قال: «**فينطوي عليهم فيهوي بهم في نار جهنم**»، روىٰ الإمام البخاري من حديث عبد الله بن عمرو، وجاء عن غيره أن

---

(١) أخرجه الترمذي (١٣٩٨) وصححه الألباني في صحيح «الترغيب والترهيب» (٢٤٤٢).

(٢) أخرجه أحمد (٨٤٣٠)، الترمذي (٢٥٧٤) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠٥١).

النبي ﷺ قال: «**من قتل معاهدًا في كنهه، إلا لم يُرِحْ رائحة الجنة، وإن ريحها من مسيرة أربعين عامًا**»(١)، الذي يقتل كافرًا، لكنه مُعاهَد، دخل بلاد الإسلام بعهد من الوالي، فيقتله من يقتله، لا يريح رائحة الجنة، فكيف بمن يقتل مؤمنًا؟ فكيف بمن يقتل موحدًا؟ فكيف بمن يقتل من يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وليس عنده ما يوجب قتله؟ ولا يحق أيضًا قتله، كيف يكون عاقبته؟ وكيف يكون جرمه؟ وما هي عقوبته؟ «**من قتل معاهدًا في كنهه، إلا لم يرح رائحة الجنة**»(٢).

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩١٤).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون، هذه الجريمة علىٰ شدَّة التحذير منها في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ، وبيان عقوبة فاعلها، يذكرها أهل العلم في كتب الكبائر، فيجعلونها بعد الشرك بالله ﷻ، ويُحذِّر منها النبي ﷺ، ومع ذلك تنتشر في أوساط هذه الأمة، وكلما تأخر الزمان كلما زاد اجتراء المسلمين علىٰ ارتكاب هذه الجريمة، ولهذا جاء في حديث عوف بن مالك عند أحمد وغيره أن النبي ﷺ قال: «**أخاف عليكم ستًّا**»، وذكر من هذه الستِّ قال: «**كثرة الشُّرَط، وبيع الحُكم، وقطيعة الرحم، واستخفافًا بالدم**»[(١)]، فها نحن في زمن استُخفَّ فيه بالدماء المحرمة، فتُسفك في كل مكان لأتفه الأسباب وأضعف الحجج، إما لأجل دنيا فانية، أو لأجل شبهة واهية، أو لأجل مُلكٍ أو سلطان، أو سياسة، أو طاعة لأعداء الإسلام، تُسفك الدماء هنا وهناك، ولقد قال نبينا ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليأتين علىٰ الناس زمان**- وفي رواية: **يوم**- **لا يدري القاتل فيم قَتل، ولا يدري المقتول فيم قُتل**»[(٢)]؛ لكثرة الفتن، لا يدري القاتل لماذا

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٩٧٠)، الطبراني في «الكبير» (١٠٥) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٠٨).

قتل؟ إنما يُعطىٰ المال ويُستأجر فيسفك الدماء، وهو لا يدري لماذا قتل المقتول، والمقتول كذلك ربما لا يدري لماذا قُتل؛ لكثرة الفتن.

يا أيها الناس، فلنحذر من هذه الجريمة، التي تفشَّت، ولنتق الله ﷻ، ولنحذر أشد الحذر، ألا وإن من أعظم القتل ما يصنعه بعض الجاهلين، فيقتلون أنفسهم وغيرهم، وهم الذين ينتحرون، نعم ينتحرون، وقد أخبر النبي ﷺ أن «**من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في بطنه يَجاءُ بها في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تحسَّىٰ سمًّا، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا فيها مخلدًا، ومن تردَّىٰ من جبل، فهو يتردىٰ في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**»(١)، كما في «الصحيحين» عن أبي هريرة وعن جندب بن عبد الله .رضي الله عنهما

وجاء عن آخرين، بل إن من هؤلاء من ربما لا يقتل إلا نفسه، فيكون منتحرًا، مرتكبًا لهذه الجريمة، يضرُّ نفسه قبل أن يضرَّ الآخرين، وربما يضرُّ الأبرياء والآمنين، فيقتل من الرجال ويقتل من النساء؛ كل ذلك طاعة لأعداء الإسلام، أو أخذًا بشبه أهل البدع والأهواء التي قد وضعوها في أذهانهم، وغرسوها في عقولهم؛ ولهذا يجب علىٰ أهل الإسلام أن يتفقدوا شبابهم، وأن يتفقدوا أبناءهم قبل أن ينخرطوا في مثل هذه الأفكار الضالة، والأفكار المنحرفة، التي تؤدي إلىٰ إهلاك الحرث والنسل، فربما يكون ذلك المسكين الذي لم يعِ كثيرًا من أدلَّة الشريعة يظن أنه مجاهد في سبيل الله ﷻ، وأنه بقتل نفسه يصير إلىٰ الجنة مباشرة، وما علم المسكين أنه قتل نفسه، وربما قتل غيره، ولقي الله ﷻ بهذه الجريمة، وبهذه الكبيرة، ولو كان هذا الطريق صحيحًا لكان أولئك القادة الذين يغررون بالأطفال والجاهلين من أول المنتحرين والمقتتلين، ولكنهم يضحكون علىٰ المغفَّلين،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧٨) ومسلم (١٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الذين لم يتفقهوا في الدين، فالحذرَ الحذرَ يا عباد الله، وهكذا أرباب السياسة وأصحاب الملك الذين يستعملون هذه الطريقة البشعة والجريمة الشنعاء في تصفية خصومهم وقتل مناوئيهم ممن هم من أهل الإسلام، فإن هذا لا يجوز يا عباد الله، فالدماء محرمة، والموعد شديد، يقول نبينا ﷺ، كما في الصحيحين وهو يودع هذه الأمة في حجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»(١).

يا أيها الناس، من أراد الجهاد الشرعي، الجهاد الحقيقي، فهو جهاد الرافضة المجوس، الذين يُدنِّسون الأخلاق، ويخربون العقائد، ويفسدون العبادات، وينتهكون المحرمات، فذلك هو الجهاد الشرعي الذي لا غبار عليه، وأما قتل الآمنين وترويعهم وسفك دمائهم والتفخيخ فيهم وغير ذلك - فليس من دين الله ﷻ، فليحذر المسلم أن يسلك سبيل النار وهو لا يشعر، وعليه أن يرجع إلىٰ أهل العلم، فيسألهم عن دينه، قال الله ﷻ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، تريد الجهاد الشرعي الحقيقي؟ فتلك ميادينه، وتلك مواقعه، جهاد لأعداء الإسلام، وجهاد لأعداء الله ﷻ، لا غبار عليه، إن مُتَّ مُتَّ شهيدًا بإذن الله جل علا، وإن عشت عشت سعيدًا مُعززًا مُكرمًا وأنت مطمئن البال، فإياك والشبهات، والعقائد الفاسدات، والطرق الملتويات، التي يسلكها أهل البدع والأهواء.

نسأل الله ﷻ بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن يجنبنا وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

ضعف البشرية وحاجتهم إلى الله

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، عبادَ الله، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر: ١٥، ١٦]، يبيِّن الله ﷻ في هذه الآية الكريمة ضعفَ العباد، وحاجتَهم إلىٰ الله ﷻ في حركاتهم وسكناتهم، وأنهم لا يملكون دفع ضر، ولا جلب نفع، بل هم فقراء إلىٰ

الله، وأن الله ﷻ هو الغني في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله الغنىٰ المطلق، وأنه ﷻ حميد في أفعاله وشرعه وقضائه وقدره، وأنه ﷻ لا يحتاج إلىٰ عبادات العباد، فإنه إن شاء أذهبهم وأتىٰ بغيرهم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: ١٥- ١٧]، فالأمر عليه يسير ﷻ يخفض من يشاء، ويرفع من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويكرم من يشاء، ويهين من يشاء، ويُهلك من يشاء، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

وقد بيَّن الله ﷻ في كتابه الكريم في عشرات الآيات حالَ هذا الإنسان، وأنه ضعيف جدًّا يحتاج إلىٰ رحمة الله، وإلىٰ حفظ الله، وإلىٰ كلايته، قال الله ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦- ٢٨] خُلق الإنسان ضعيفًا، ضعيفًا في جسده وجسمه، ضعيفًا في عقله وتدبيره، ضعيفًا في تسيير أموره، ضعيفًا في عقله ومعرفته.

﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] ضعيفًا في أصل خلقته، قال الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧، ٧٩]، ويقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]، ويقول الله ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ

﴿ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨-٦١]، ويقول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

إذًا؛ فالله ﷻ يبيِّن لنا ضعفنا وفقرنا، وحاجتنا إليه ﷻ، ولكن كثيرًا من العباد لا يعلمون، فلا يخضعون إليه إلا عند البلايا إن كانوا من العقلاء، أو عند الأسقام والأمراض، كما أخبر الله ﷻ، ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١]، وهذا هو العاقل من العباد، ويقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] فإذا جاءت النعماء، وحصل الرخاء، وتحصَّل المرء علىٰ شيء من المال والدنيا، بارز الله ﷻ بالطغيان والمحاربة، ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧]، ويقول الله ﷻ: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ [المدثر: ١١-١٤] إلىٰ آخر الآيات، توعُّد من الله ﷻ لمن كان هذا حاله يوم أن أكرمه الله ﷻ فأعرض عنه.

يضرب الله ﷻ لنا مثلًا في كتابه الكريم لمن أشرك بالله ﷻ غيره، وعبد الأشجار والأحجار والأصنام، وبيَّن ﷻ ذهاب العقول وسخافتَها وضعفها وعدم رجوعها إلىٰ الله ﷻ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]، ثم قال سبحانه: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤]، يبيِّن سخافةَ هؤلاء الذين أشركوا بالله ﷻ، فعبدوا الأصنام والأشجار والأحجار، يا أيها العابدون لغير الله ﷻ، لو أن أصنامكم كلها اجتمعت، وجاء هذا الذباب، فسلب منها شيئًا، فإنها لا تستطيع أن

تدافع عن نفسها، وقبل ذلك لو أرادت أن تخلق ذبابًا، لما استطاعت أن تخلقه، بل أعظم من هذا لو جاء هذا الذباب الذي هو من أضعف المخلوقات، وسلب من هذه الآلهة شيئًا، لم تستطع أن ترده، ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ ضعف الذباب والأصنام التي تُعبد من دون الله، أو ضعف العابدون والمعبودون، هذا مثلٌ ضربه الله ﷻ لمن يعقل من بني آدم، كيف يبتعدون عن الله ﷻ، يعبد غير الله، يعبد شيئًا يتضرع إليه، وهذا الذي يعبده لا يستطيع أن يقاوم الذباب، لا يستطيع أن يقاوم هذا الحيوان الصغير، هذه الحشرة الضعيفة.

يا أيها الناس، لو نظرنا إلىٰ ما يحلُّ بالعالم في هذه الأيام، وكيف حالهم مع الله ﷻ، هذا الفيروس الصغير الذي لا يُرىٰ إلا بأجهزة من الأجهزة المتطوِّرة، كيف أوقف العالم كله علىٰ قدميه، هذا الفيروس الصغير الذي هو أصغر من الذباب بمراحل عديدة- أصاب العالم كله بالهلع والفزع والخوف، هذا الفيروس الصغير أوقف حركة العالم بريًّا وبحريًّا وجويًّا إلا الشيء اليسير، أين عظماء الأرض؟ أين ما تُسمىٰ بالدول العظمىٰ وما عندها من الأموال والصناعات والتكنولوجيا وغير ذلك؟ أين أولئك الذين يرون أنهم قد حكموا الأرض كلها، وأن الأمور كلها في قبضتهم؟ فيروس صغير أوقف كثيرًا من الأعمال والرجال، فيروس صغير جعل أضخم مستشفيات العالم لا تجد من المعدات الطبية الكافية لتعالج مرضاها، فيروس صغير لم يجدوا له علاجًا، ولم يجدوا له سبيلًا لإيقافه، هذا الفيروس الذي وصل إلىٰ قصور الأمراء والرؤساء والزعماء والملوك، لم يقف عند الفقراء، ولا في أماكن القاذورات، وإنما وصل إلىٰ تلك القصور الشامخة، وإلىٰ تلك المباني الضخمة، فدخل فيها، وأصاب أهلها، أين العباد؟ ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾.

قال الله ﷻ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، يا أيها الناس، علىٰ مدار عشرات السنين أنهار من الدماء تُسال ممن يقول: لا إله إلا الله. سواء كان في أوربا، في بلاد صربيا، أو غيرها، أو في بلاد أهل الإسلام في فلسطين والشام، أو في بلاد اليمن، أو في شرق آسيا، أو في إفريقيا، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢]، ظهر الطغيان من اليهود والنصارىٰ عبدة الصلبان، بل وأعرض كثير من أهل الإسلام عن عبادة الله ﷻ، فحلَّ بهم ما حل بهم، فلهذا عليهم أن يرجعوا إلىٰ الله، وأن يعترفوا بضعفهم وفقرهم.

روىٰ الإمام البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إنه كان حقًّا علىٰ الله ألا يرتفع شيء في الدنيا إلا وضعه**»(١)، لا بد من الاعتراف الله ﷻ وقوته وقدرته، لو نظرت إلىٰ الكفار في هذه الأيام يعيشون في ذعر، ليس عندهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، ليس عندهم لعلهم يتوبون، ولهذا لا يجوز لأهل الإسلام أن يقلدوهم فيما لا فائدة فيه من الأسباب التي ليست أسبابًا شرعية، ولا أسبابًا طبيعية، وإنما هي تقليد لأعداء البشرية، علىٰ أهل الإسلام أن يعودوا إلىٰ الله، وأن يتوبوا إلىٰ الله، وأن يعلموا أن هذا كله بسبب الذنوب والسيئات، ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠]، وفي الآية الأولىٰ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الروم: ٤١].

(١) أخرجه البخاري (٢٨٧٢) من حديث أنس ﷺ.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحبُّ ربنا، ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

في الآية الأولىٰ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ تنبيه من الله ﷻ لمن كان عاقلًا، لمن يعلم العواقب لما يحصل في الأرض من الذنوب والسيئات، وأن الله ﷻ يعاقب من يشاء، ويُنبِّه من يشاء، ويبتلي من يشاء، والعقلاء هم الذين يرجعون إلىٰ الله ﷻ في السراء والضراء.

يا أيها الناس، لا بد أن نعترف بضعفنا وعجزنا وفقرنا إلىٰ ربنا ﷻ، إن الله ﷻ ذكر لنا في كتابه أن الذين لا يعظِّمون الله حق تعظيمه هم الذين كفروا به وأشركوا به وتركوا عبادته، أما أهل الإسلام فإنهم يرجعون إلىٰ الله ﷻ في السراء والضراء، والشدة والرخاء، قال النبي ﷺ: «**تعرَّف إلىٰ الله في الرخاء يعرفْك في الشدة**»(١)، يعني: في سائر أحوالهم وهم يرجعون إلىٰ الله ﷻ، لتكون لنا عبرة، الدُّول التي تُسمَّىٰ بالدول العظمىٰ، زعماؤها يستنجدون ويستغيثون ويصيحون ويئنُّون، فإذا كان الأمر كذلك، ألا نرجع إلىٰ الله ﷻ؟ قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

جاء حبر من أحبار اليهود إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا محمد، أتزعم أن الله يضع

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٢٨٠٣).

السماوات علىٰ أصبع، والأرضين علىٰ أصبع، والماء والثرىٰ علىٰ أصبع، والشجر علىٰ أصبع، وباقي الخلائق أو سائر الخلائق علىٰ أصبع؟ فضحك النبي ﷺ تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

أَوَمَا تقرأ تلك الآية التي هي أعظم آية في كتاب الله ﷻ، التي يقول الله فيها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إذا كان هذا هو الكرسي، فكيف بالعرش؟ فما هو إلا كالحلقة بالنسبة للعرش، كيف بالعرش الذي قال ﷺ: «**سبحان الله عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**»(١)؟ هكذا يقول ﷺ، الذي هو أعظم المخلوقات، وأعلىٰ المخلوقات، وأول المخلوقات، إذا كان المرء يتفكر في آيات الله الكونية ومخلوقاته العجيبة، فإن ذلك يحمله علىٰ تعظيم الله، وعلىٰ إجلال الله، وعلىٰ الخوف من الله، وعلىٰ الرجوع إلىٰ الله ﷻ.

إذًا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: ١٥ - ١٧]، فليس للعالم كله مفر إلا بالرجوع إلىٰ الله، ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

يا أيها الناس، إذا كان العالم كله انزعج هذا الانزعاج، وتوقف هذا التوقف، وتضرر هذا الضرر من فيروس صغير يصيب الجهاز التنفسي، فيقضي علىٰ من

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٦) من حديث جويرية رضي الله عنها.

شاء الله ﷻ من العباد، كيف إذا أرسل الله ﷻ الزلازل والصواعق؟ كيف إذا خسف الله ﷻ بأهل الأرض؟ كيف إذا جاءت الفيضانات وطغت البحار والأنهار؟ كيف يكون حال العباد؟ إذا كان حال العالم كله بما يملكون من الأمور المادية صار حالهم إلىٰ هذا الوضع المزري بسبب هذا الفيروس، الذي يقول المتخصصون فيه: لا يموت من أربابه إلا نحو عشرين بالمائة. كيف إذا نزلت عقوبة الله ﷻ العامة بالعباد بسبب الذنوب، والبعد عن طاعة الله ﷻ؟ كيف يكون حالهم؟ فالرجوعَ الرجوعَ إلىٰ الله ﷻ، والإنابةَ الإنابةَ، والتضرعَ التضرعَ إليه ﷻ أن يصلح قلوبنا جميعًا، وأن يعيدنا إليه جميعًا حكامًا ومحكومين، وأن يصلحنا ظاهرًا وباطنًا، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم اصرف عنا وعن بلادنا الفتن والأوبئة، إنك علىٰ كل شيء قدير، وهكذا عن سائر بلاد المسلمين، يا قوي، يا متين، والحمد لله رب العالمين.



وتعاونوا على البر والتقوى

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، عبادَ الله، يقول الله تعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

يقول الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله: «هذه الآية اشتملت علىٰ مصالح العباد الدنيوية والأخروية، اشتملت علىٰ مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، فقد بيَّنت

الحقوق فيما بينهم، فيما بين بعضهم لبعض، وفيما بينهم وبين الله ﷻ»[(١)].

وقد شرح الإمام ابن القيم هذه الآية في رسالة مستقلة، وهي «الرسالة التبوكيَّة»، وشاهدنا في هذه الخطبة إن شاء الله تعالىٰ هو الجزء الأول من هذه الآية: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾.

والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ قال أهل العلم: هو أن يظاهر المسلم أخاه المسلم، فيعينه علىٰ فعل الخيرات لطاعة الله تعالىٰ، وتجنيبه أو ويتجنب معصية الله ﷻ، يعينه علىٰ فعل الخيرات وترك المنكرات، هذا هو التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، الذي أمر الله ﷻ به، والذي حث عليه نبينا ﷺ في سنته، والذي سار عليه صحابته الكرام السادة الأعلام، والتابعون لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أيها المؤمنون، عبادَ الله، المتعاونون علىٰ البر والتقوىٰ أولهم وعلىٰ رأسهم قادة الأمم وقدوتهم، وهم أنبياء الله ﷻ ورسله، وهكذا الصالحون من أصحاب محمد ﷺ، وهكذا من سار علىٰ نهجهم واقتفىٰ أثرهم، ولهذا نذكر أمثلة للمتعاونين علىٰ البر والتقوىٰ، ونماذج للتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، ومن ذلك:

ما قام به خليل الله إبراهيم، إمام الحنفاء، عليه السلام، لمَّا ترك زوجته وولده في أرض مكة، في واد غير ذي زرع، وكان يتعاهدهم بين الحين والآخر، جاء في «صحيح البخاري» من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أنه لمَّا جاء من الأرض المقدسة، وكان إسماعيل قد بلغ، وصار في سن الشباب، قال له إبراهيم عليه السلام: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر. فقال له إسماعيل: افعل ما أمرك ربك. فقال له: وهل تعينني؟ قال: نعم، أعينك. قال: إن الله أمرني أن أبني له بيتًا في هذا المكان. وأشار إلىٰ أَكَمَةٍ عالية علىٰ ما

---

(١) «الرسالة التبوكية -زاد المهاجر إلىٰ ربه-»، ت: غازي (ص٦).

حولها، قال إسماعيل: نعم. قال: فقام إبراهيم وإسماعيل لرفع قواعد البيت، فكان إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني، فلما ارتفع البناء، جاء له بتلك الحجر التي تُسمَّىٰ بمقام إبراهيم، فصعد عليها، فجعل يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧](١).

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨]، فبيت الله المعظم الكعبة المشرفة إنما قامت وبُنيت علىٰ أساس التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

ولمَّا هاجر النبي ﷺ المدينة، ووصل إليها، وأراد تأسيس المسجد، وبدأ في بنائه عليه السلام، جاء الأنصار ومن كان من المهاجرين موجودًا من هنا وهناك، فجعلوا يتعاونون، ويحملون اللبن علىٰ ظهورهم، فذاك يحمل لبنة، وذاك يحمل لبنتين، وذاك يحمل ثلاثًا، والنبي ﷺ يرتجز، ويقول: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة**»(٢)، ويقول: «**هذا الحِمال لا حِمال خيبر، هذا أبرُّ ربنا وأطهر**»(٣)، فأُقيم ذلك المسجد الذي هو المسجد النبوي الذي الصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه من المساجد.

ولما هجم المشركون في غزوة الأحزاب، وأحاطوا بالمدينة من كل جهة، أمر النبي ﷺ بحفر الخندق، جاء في الصحيح من حديث البراء أن النبي ﷺ كان

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٣٤)، ومسلم (١٨٠٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٠٦) من حديث سراقة بن مالك رضي الله عنه.

يحمل الحجارة حتىٰ اغبرَّ بطنه، فجعل يقول:

«والله لـــولا الله مـــا اهتـــدينا ولا تصـــــدقنا ولا صـــــلينا

فـــأنزلن ســـكينة علينـــا وثبـــت الأقـــدام إن لاقينـــا

إن الألـــىٰ بغـــوا علينـــا إذا أرادوا فتنـــة أبينـــا»(١)

وجعل يرفع صوته، ويقول: «**أبينا أبينا**»(٢)، والصحابة يرددون وهم يحفرون ذلك الخندق الذي صار بإذن الله ﷻ سببًا لنجاة أهل المدينة، وبقاء ثلة الإسلام، ودحر أعداء الله ﷻ. قام ذلك كله علىٰ التعاون علىٰ البر والتقوىٰ.

ولو نظرت إلىٰ الصحابة، إلىٰ المهاجرين والأنصار، لرأيت شيئًا عظيمًا يفوق الخيال من التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، فإنه لمَّا قدم المهاجرون المدينة، آخىٰ النبي ﷺ بينهم وبين الأنصار، آخىٰ بينهم وبين الأنصار، فأرادوا أن يقتسموا مزارعهم، فيعطونهم نصفها، فأبىٰ المهاجرون، فقال الأنصار: تكفونا المؤنة، وتشركونا في الثمر.

جاء في «صحيح البخاري» من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: «آخىٰ النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فآخىٰ بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع: يا عبد الرحمن، هذا مالي، فلك شطره، ولي زوجتان اختر إحداهما أنزل لك عنها، فإذا انتهت عدتها تزوجتها. فقال عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني علىٰ السوق. ثم ذهب واتجر حتىٰ اجتمع له مال كثير، رضي الله تعالىٰ عنه(٣).

الشاهد منه ما كان عليه المهاجرون والأنصار من التعاون والتآخي والترابط.

وهكذا غيرهم من الصحابة، فهاهم الأشعريون كما جاء في «الصحيحين» من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٣٧)، ومسلم (١٨٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٤٩).

حديث أبي موسىٰ قال: قال النبي ﷺ: «**إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو**- أي: انتهىٰ زادهم، وفَنِيَ ما عندهم- **أو قل طعام عيالهم في المدينة، اجتمعوا ما جمعوا ما عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بإناء بينهم بالسوية، فهم مني، وأنا منهم**»(١)، هكذا التعاون علىٰ طاعة الله ﷻ.

بل نساء الصحابة رضي الله عنهن، لهن أيضًا أمثلة عظيمة في هذا المقام، جاء في الصحيح من حديث أم عطية قالت رضي الله عنها: كنا نخرج فنداوي الكلمىٰ ونسقي الجرحىٰ(٢).

وفي حديث أنس أيضًا في «الصحيح» أن نساء الصحابة ربما خرج بعضهن في الغزوات لمداواة الجرحىٰ، وسقي الجرحىٰ والمرضىٰ(٣)، هذا كله من التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، رجالًا ونساءً.

أيها المؤمنون، عبادَ الله، التعاون علىٰ البر والتقوىٰ في كل مجالات الحياة، وفي كل الأعمال، وفي كل الأقوال، وفي كل ما يأتي المؤمن ويذر، ولهذا نذكر أمثلة للتعاون علىٰ البر والتقوىٰ الذي ينبغي للمؤمن أن يكون عليه:

فمن ذلك عبادَ الله: التعاون مع الوالي، التعاون مع ولي أمر المسلمين علىٰ الخير وعلىٰ الطاعة وعلىٰ إقامة دين الله ﷻ، فقد جاء عند أبي داود والنسائي من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «**من ولَّاه الله من أمر المسلمين شيئًا، فأراد به خيرًا، جعل له وزير صدق، إن نسي ذكَّره، وإن ذكر أعانه**»(٤)، وزير الصدق،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٨٦)، ومسلم (٢٥٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٨١٢).

(٣) أخرج مسلم (١٨١٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا؛ فيَسقين الماء ويُداوين الجرحىٰ».

(٤) أخرجه النسائي في «سننه» (٤٢٠٤)، وأبو داود (٢٩٣٢) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٢).

وبطانة الصلاح إذا كانت بجانب الوالي تذكِّره الخير، وتدفعه إليه، وتمنعه من الشر، وتحجزه عنه.

ومن ذلك عبادَ الله: التعاون مع المظلوم في دفع الظلم عنه، ومع الظالم في كفِّ شره، فقد روىٰ البخاري عن أنس، ومسلم عن جابر قال ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**». قالوا: يا رسول الله، ننصره إذا كان مظلومًا، فكيف ننصره إذا كان ظالمًا؟ قال: «**تمنعه، أو تحجزه عن الظلم**»(١).

ومن ذلك أيضًا: التعاون علىٰ البر والتقوىٰ في نشر رسالة الإسلام، والدعوة إلىٰ الله ﷻ، وتعليم الأمة، فإن النبي ﷺ أرسل معاذ بن جبل إلىٰ اليمن، وأرسل أبا موسىٰ الأشعري رضي الله عنهما كما في الصحيحين، فقال لهما: «**بَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»(٢)، فالتعاون علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلىٰ الله ﷻ - من أعظم أنواع التعاون.

وهكذا عبادَ الله، التعاون مع المعسرين، والتعاون مع المحاويج، بشتىٰ أنواع التعاون، فقد قال ﷺ: «**من سرَّه أن ينجيه الله ﷻ من كُرَب يوم القيامة، فليُنفِّس عن معسر، أو يضع له**»(٣). رواه مسلم من حديث أبي قتادة. وفي الصحيح من حديث سلمة بن الأكوع قال ﷺ: «**من ضحَّىٰ، فلا يصبحن بعد ثالثة وفي بيته شيء**». أي: من اللحم، يوزعه علىٰ من احتاج إلىٰ ذلك، قال: فلما كان من العام المقبل قالوا: يا رسول الله، أنصنع كما صنعنا في العام الذي مضىٰ؟ فقال ﷺ: «**إنما كان ذلك**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٥٢) عن أنس رضي الله عنه، ونحوه في مسلم (٢٥٨٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٥٦٣).

العام فيه حاجة، فأردت أن تعينوا فيه، فكلوا وادخروا وائتجروا»[(١)]، كل هذا التعاون من النبي ﷺ يأمر به ويحث به، وهكذا في الصحيحين من حديث أبي ذر أنه لقي المعرور بن سويد، في الرَّبَذة، وعليه حلة، وعلىٰ غلامه مثلها، فقال له أبو ذر: إني سابت رجلًا فعيرته بأمه، فقال النبي ﷺ: «**أعيَّرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية، إنما هم إخوانكم وخَوَلُكم، جعلهم الله تحت أيديكم، قال: فأطعموهم مما تطعمون، وألبسوهم مما تلبسون، قال: ولا تغلبوهم علىٰ العمل، فإن كلفتموهم فأعينوهم**»[(٢)]. أو كما قال ﷺ. حتىٰ مع هذا الغلام، حتىٰ مع هذا الخادم، فإنه ينبغي أن يُتعاون معه علىٰ البر والتقوىٰ، وهكذا في كل مجالات الحياة.



(١) أخرجه البخاري (٥٥٦٩)، ومسلم (١٩٧٤) بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحبُّ ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

من التعاون أيضًا: التعاون مع المجاهدين في سبيل الله ﷻ، فإن الله أمر بذلك، وحث عليه نبيُّنا، ففي الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني ﷺ، قال ﷺ: «**من جهز غازيًا في سبيل الله، فقد غزىٰ، ومن خلف غازيًا في أهله بخير، فقد غزىٰ**»(١)، فانظر إلىٰ هذا التعاون العظيم، وإلىٰ هذا الثواب الجزيل، الذي يناوله هذا المتعاون في حضرة الغازي وفي غيابه.

أيها المؤمنون، عبادَ الله، التعاون علىٰ البر والتقوىٰ أمر أوجبه الله ﷻ شرعًا، وضرورة اجتماعية يحتاج إليها البشر، فمن لم يتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، فسيتعاون علىٰ الإثم والعدوان، التعاون علىٰ البر والتقوىٰ قوة لأمة الإسلام أمام أعدائها، ووحدة لصفها في كل ما أمر الله به، والابتعاد عما نهىٰ الله ﷻ عنه، ولهذا جاء في الصحيحين من حديث أبي موسىٰ الأشعري ﷺ قال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضًا**»(٢)، وشبَّك النبي ﷺ بين أصابعه، «**كالبنيان أو كالبنان يشدُّ بعضه بعضًا**» وشبَّك النبي ﷺ بين أصابعه. وفي الصحيحين عن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (١٨٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

النعمان بن بشير، قال ﷺ: «**مثلُ المؤمنين في توادِّهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكىٰ منه عضو، تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ**»(١).

إن التعاون علىٰ البر والتقوىٰ ثماره عظيمة عاجلة وآجلة، ولو كان في شيء يسير، ولو كان مع زوجتك، أو الزوجة مع زوجها، أو الجار مع جاره، أو القريب مع قريبه، قالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ في خدمة أهله، فإذا أُقيمت الصلاة، خرج إلىٰ الصلاة. رواه البخاري. وجاء عنها أنه كان يخصِف نعله، ويخيط ثوبه. وهكذا جاء عنه ﷺ في حديث أبي هريرة قال: «**رحم الله امرءًا قام من الليل فصلىٰ، وأيقظ زوجته، فإن قامت، وإلا نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن قام، وإلا نضحت في وجهه الماء**»(٢)، تعاوُن علىٰ البر والتقوىٰ، تعاوُن علىٰ إقامة طاعة الله ﷻ، جاء عند الترمذي من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: لما أنزل الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فقلنا: لو نعلم أيَّ المال أحب لاتخذناه. فقال النبي ﷺ: «**لسانًا ذاكرًا، وقلبًا شاكرًا، وامرأة مؤمنة**»، قال: «**تعين زوجها علىٰ إيمانه**» «**وامرأة مؤمنة تعين زوجها علىٰ إيمانه**»(٣).

كم ينال من الثمار العظيمة التعاون علىٰ البر والتقوىٰ أحب الأعمال إلىٰ الله،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٢) أخرجه أبو داود (١٣٠٨)، وابن ماجه (١٣٣٦) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٩٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٩٤)، وابن ماجه (١٨٥٦) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٥٥).

أو من أحب الأعمال إلىٰ الله، فقد روىٰ الإمام الطبراني وابن عساكر من حديث عبد الله بن عمر أن رجلًا قال: يا رسول الله، أيُّ الناس أحب إلىٰ الله تعالىٰ؟ وأيُّ الأعمال أحب إلىٰ الله تعالىٰ؟ قال: «**أحب الناس إلىٰ الله أنفعهم للناس**» التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، «**أحب الناس إلىٰ الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلىٰ الله ﷻ سرورٌ تدخله علىٰ مسلم**»، قال: «**أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا**»، قال: «**ولئن أقضي حاجة أخي أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد** - يعني: المسجد النبوي - **شهرًا، ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظه وهو قادر علىٰ أن يمضيه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، إلا ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة**»، قال: «**ومن كان في حاجة أخيه، ومن مشىٰ في حاجة أخيه حتىٰ تتهيأ له، إلا أثبت الله قدميه يوم تزلُّ الأقدام**»(١).

انظر إلىٰ هذا الثواب العظيم، لمن كان يحب التعاون علىٰ البر والتقوىٰ في القليل والكثير، والنقير والقطمير، دائمًا وهو يحب الخير لأهل الإسلام، يتعاون معهم علىٰ طاعة الله ﷻ، جاء في «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة قال ﷺ: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»(٢)، قال أبو ذر: يأتي رجل إلىٰ النبي ﷺ، فيقول: أي الأعمال أحبُّ إلىٰ الله؟ قال: «**إيمان بالله، وجهاد في سبيله**»، قال: فأيُّ الرقاب أنفس؟ قال: «**أغلاها ثمنًا، وأنفسها عند أهلها**»، فقال: يا رسول الله، فإن لم أجد؟ قال: «**تعين صانعًا، أو تصنع لأخرق**» أي: الذي لا مهنة له، ولا معرفة عنده، «**تعين صانعًا، أو**

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣٦٤٦) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٦).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

تصنع لأخرق»، قال: يا رسول الله، فإن عجزت عن بعض العمل؟ قال: «**تكفُّ شرَّك عن الناس، فإنه صدقة منك علىٰ نفسك**»(١)، وهكذا يأتيه آخر فيقول: يا رسول الله- كما في حديث البراء- دُلَّني علىٰ عمل يدخلني الجنة؟ فقال: «**لقد أقصرت الخطبة، وأطلت المسألة وأعرضت المسألة، فكَّ الرقبة، وأعتق النسمة**» قال: أوليستا واحدة؟ قال: «**إن عتق النسمة أن تفرَّد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين علىٰ عتقها**»(٢). بيَّن له أن مثل هذا العمل اليسير من أسباب دخول الجنة.

ولهذا يقول ابن القيم: هذه الآية اشتملت علىٰ مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، ففيها بيان حقوقهم فيما بينهم، وفيما بينهم وبين الله.

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، ولو كان شيئًا يسيرًا، فلا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقىٰ أخاك بوجه طَلِقٍ، أو بوجه طليق، فهذا من التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، لا تحتقر الأعمال، لا تحتقر التعاون علىٰ الخير، فإنك إن أعرضت عن التعاون علىٰ الخير، ابتلاك الله ﷻ بالتعاون علىٰ الإثم والعدوان، ابتلاك الله ﷻ بأن يصرف قلبك عن الخير، فيثقل عليك كالجبال، وتسهل عليك معصية الله ﷻ، فتتعاون عليها، وعلىٰ نشرها، وعلىٰ بذلها، نسأل الله السلامة والعافية، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٨٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٦٤٧)، ابن حبان (٣٧٤)، والحاكم (٢٨٦١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٩٨).

واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، يقول ربنا ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧].

حديثنا معكم في إن شاء الله تعالىٰ عن بعض ما تحويه هذه الآية من المعاني

العظيمة، والحكم الجليلة، فإن الله ﷻ ضرب في كتابه الكريم الأمثال ببعض الحيوانات، وببعض الحشرات؛ لما في ذلك من الفوائد العظيمة التي من وراء تلك الأمثال والحكم الجليلة التي يريد ﷻ أن يبيِّنها لعباده، فتارة يضرب مثلًا بالبعوض، وتارة يضرب مثلًا بالحمار، وتارة يضرب مثلًا بالكلب، وتارة يضرب مثلًا بالعنكبوت، كما قال أهل التفسير عند هذه الآية.

وهذه الآية ضرب الله ﷻ فيها هذا المثل العظيم لمن أكرمه الله ﷻ بما منع منه غيره من العلم والهدىٰ، فلم يرفع بذلك رأسًا، ولم يعمل بهذا العلم، بل أعرض عنه، وناقضه، وخالفه، وأقبل علىٰ الدنيا، وآثرها علىٰ الآخرة، وآثر سخطَ الله ﷻ علىٰ مرضاته، فضرب الله ﷻ مثل هذا بمثل الكلب؛ لأن الكلب أخسُّ الحيوانات طباعًا، وأردؤها مكانة، ولهذا فإن ابن القيم ﷺ في بعض كتبه ذكر من صفات الكلب التي لأجلها مثَّل الله ﷻ هذا العبد وهذا الشخص بالكلب، قال: لأن الكلب أخسُّ الحيوانات طباعًا، وأعظمها شرهًا، قال: ولهذا فإنك ترىٰ الكلب يمشي وهو واضع خُطُمَه بالأرض يتشمم كل شيء يجده، قال: والجيف أحب إليه من الحلوىٰ، ومن شدة شرهه لو وجد جيفة يأكلها مائة كلب، لاحتواها، ومنع الكلاب أن تأكل منها، قال: وهرَّ عليها، قال: ولو رجمته بحجر لجعل يعضها، قال: وتراه يشم دبره كثيرًا الذي هو محل الأذىٰ بخلاف أجزاء بدنه الأخرىٰ، ولو مر به رجل رثُّ الهيئة رديء الثياب، لقام إليه وآذاه، وكأنه يتألم؛ لأنه ينافسه، فإن مر به رجل ذو شارة وشرف وثياب جميلة، لطأطأ رأسه وتركه، وهذا كله لدناءته، ولهذا مثل الله ﷻ بهذا الحيوان مَنْ أكرمه ﷻ بالعلم، ثم أعرض عن العلم، وأعرض عن الهدىٰ، وخالف الأدلة والبراهين بعد أن علمها وتعلمها وعرفها، فمثَّله الله ﷻ بهذا الحيوان الذي هو بهذه المثابة، وبهذه الطباع الرديئة، بل

من صفاته الخسيسة أنه يتقيأ، ثم يأكل قيئه، وليس هناك من الحيوانات ما يصنع ذلك، ولهذا قال النبي ﷺ: «**العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه**»(١).

مثَّل الله ﷻ بهذا الكلب لهذا العبد، الذي آتاه الله ﷻ آياته، وقد اختلف أهل التفسير علىٰ أقوال كثيرة، مَن هذا الرجل الذي ذُكر في هذه الآية؟ والذي عليه جماهير أهل العلم، أنه رجل من الأمم الماضية، وأكثرهم أنه من بني إسرائيل، وصح عند ابن جرير والإمام عبد الرزاق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن اسمه بلعم بن آذر، المهم هو رجل ممن مضىٰ، ذكر الله ﷻ حالته، وذكر قصته في هذه السورة، في أواخر سورة الأعراف؛ ليحذِّر هذه الأمة، ويحذِّر العباد، ويحذر من أخذ العلم والقرآن والوحي أن يكون حاله كحال هذا، الذي منزلته كالكلب، بل إنه أدنىٰ منه، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، من كان هذا حاله، فإن الأنعام أفضل منه، وأرفع منه درجة، وقد ذكر الإمام ابن القيم وغيره من أهل العلم وأهل التفسير في هذه الآية من الحكم والفوائد التي ينبغي أن نستفيدها، وذكر من العقوبات التي تراكمت علىٰ هذا الرجل الذي ذُكر في هذه الآية، ما يكون لنا عبرة، وما يكون لنا عظة، قال الله ﷻ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٥] أي: يا محمد ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] وأضاف الآيات إليه ﷺ؛ لنعلم جميعًا أن الخير كله من عند الله، وأن هذا إكرام من الله، فالله أكرمه بالعلم، أكرمه بالخير، أكرمه بالنور، ولهذا قال: ﴿آيَاتِنَا﴾، لكنه ما رعىٰ هذه النعمة حق رعايتها، وما أعطاها حقها.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٩)، ومسلم (١٦٢٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾، قال ابن القيم رحمه الله: قال: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ ولم يقل: (فسلخناه منها)؛ لأنه هو السبب، هو الذي أعرض عن العمل بهذا العلم، هو الذي ما قام به حق القيام، فكان الانسلاخ هو سببه، وما كسبت يده، ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾، ثم قال: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ أي: فارقها، فارق الإيمان، فارق الوحي، فارق الخير مفارقة أبدية، لا يمكن أن يعود إليها كما ينسلخ قشر الحية من علىٰ ظهرها، فلا يعود إليها، قال: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، وفي قوله ﷻ: ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فائدة لم يقل: (تبعه الشيطان)، وإنما قال: ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ أي أن الشيطان أدركه، ولحقه، وظفر به، كما يظفر الأسد بفريسته، فأضله وأغواه وأبعده؛ ولهذا فإن ﴿فَأَتۡبَعَهُ﴾ ليست كتبعه في اللفظ، ولا في المعنىٰ، وزيادة المبنىٰ تدل علىٰ زيادة المعنىٰ، فإنه قد صار فريسة للشيطان أبعده عن الهدىٰ، أبعده عن الخير، أبعده عن العلم الذي حمله، والذي عرفه، والذي تعلمه.

قال: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥] والغاوون هم الذين لا يعملون بعلمهم، صار من الغاوين، الذي يحمل علىٰ ظهره حججًا عليه يوم القيامة، كما قال النبي صلىٰ الله علىٰ وعلىٰ آله وسلم: «**كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**»(١)، صار حاله كما قال الله ﷻ: ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ [الجمعة: ٥]، هذا الرجل صار من الغاوين ظاهرًا وباطنًا، صار غاويًا عن الحق مضادًّا له، لم ينتفع بما علمه، لم ينتفع بما تعلمه، لم يعمل بعلمه، فصار من الغاوين؛ لأنه أعرض عن الحق والهدىٰ، واتبع الهوىٰ، قال: ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٦] قال بعض أهل التفسير: لو شاء الله ﷻ لرفعه من الكفر إلىٰ الإيمان، وقال بعضهم: ولو شئنا لرفعناه بهذا العلم، وبهذه الآيات، وبهذه البراهين، وبهذا الهدىٰ، وبهذا النور، لكنه ما أراد لنفسه الخير، ما أراد لنفسه الزكاة، ما أراد لنفسه الرفعة، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٧٦] إذًا هذا هو السبب، أعرض عن سبب الرفعة الحقيقية، وأقبل علىٰ الحياة الدنيوية، أعرض عن الدار الآخرة، وأقبل علىٰ الدنيا وحطامها وشهواتها وملذاتها، فلم يعمل بالعلم، ولم يَدْعُ إلىٰ العلم، ولم يسر علىٰ العلم، فكان عاقبته أن يكون في عداد الغاوين الذين زاغت قلوبهم، وانحرفت عن الهدىٰ، وابتعدت عن الصراط المستقيم، ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦] جعله مُتبعَه، يقوده إلىٰ كل باطل، ويبعده عن كل حق، يقوده إلىٰ كل رذيلة، ويبعده عن كل فضيلة، فعقوبته أعظم؛ لأنه قد علم، وصار في عداد العلماء، فجهله خير من علمه، وعدم معرفته خير له من نيله تلك الآيات التي أكرمه الله ﷻ بها، ولكنه لم يعرف كرامة الله سبحانه، ولا نعمة الله سبحانه، فما شكر الله، وما عمل بظاهره وباطنه، ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾.

ثم قال سبحانه: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعراف: ١٧٦] الكلب الذي تقدمت بعض أوصافه، هذا الرجل الذي يصير حاله إلىٰ هذا الحال المزري، بعد أن عرف الحق، وسار عليه، وتعلم العلم، وصار في عداد العلماء، وآتاه الله آياته، هذا حاله كحال الكلب الذي تقدمت بعض أوصافه الدنيئة، وأحواله الرديئة.

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٦].

قال أهل التفسير: الكلب لا فؤاد له يصبر معها علىٰ العطش، فهو أضعف

حيوان، لا يستطيع أن يصبر علىٰ العطش، ولهذا يلهث قائمًا وقاعدًا وماشيًا وواقفًا، فهو يلهث، تركته يلهث، ضربته يلهث، تبعته يلهث، وقف يلهث، مشىٰ وهو يلهث، وهكذا الذي يترك العلم، ويقبل علىٰ الدنيا، يصير حاله أَوُعظ أم لم يوعظ، نُصح أم لم يُنصَح، بُيِّن له أم لم يُبيَّن له، حاله كحال هذا الكلب، يتهافت علىٰ الدنيا، ويلهث عليها، ولا يبالي من أين أخذها أمن حلال أم من حرام؟

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦] هذا مثل عظيم يا عباد الله، ضربه الله ﷻ في هذه الآية لمن علم الحق وأعرض عنه، لمن علم الخير وصُرف عنه، لمن علم العلم وعمل بخلافه، لمن عرف السنة ثم انحرف عنها، لمن عرف الطريق السوي ثم اعوجَّ عنه، فالحذرَ الحذرَ يا عباد الله، الحذرَ الحذرَ يا عباد الله، إن الله ﷻ أكرم أهل السنة والجماعة بالعلم النافع، حيث حُرمه كثير من الجماعات الإسلامية، وأكرم الله أهل السنة بإقبال قلوبهم علىٰ العلم، وتعلم العلم، وأخذ العلم، والعمل بالعلم، والدعوة إلىٰ العلم، والصدع بالعلم، وهكذا البقاء علىٰ العلم، فمن أعرض عن العلم بعد أن عرفه، يُخشىٰ عليه أن يكون حاله كحال هذا الرجل، ومن أنت؟ ومن أنا؟، فهذا رجل صار في عداد العلماء، آتاه الله آياته، وليست العبرة أن تحفظ، ولكن العبرة أن تثبت علىٰ الحق، ليست العبرة أن تحفظ، فهذا صار عالمًا، وآتاه الله آياته، لكنه لم يعمل بعلمه، ولم يصدع بالحق، ولم يصبر عليه، فكان عاقبته أنه كالكلب، بل مثله أشد من الكلب؛ لأن الكلب لم يُؤمر ولم يُنهَ، وأما هذا فقد عرف الحق، وأعرض عنه، وظل علىٰ الصراط المستقيم علىٰ بصيرة ويقين.

فالحذرَ الحذرَ عبادَ الله، فإننا نرىٰ في أيامنا وفي زماننا تزداد الفتن يومًا بعد يوم،

ويصير أهل الحق في غربة شديدة، كما قال النبي ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا، فطوبىٰ للغرباء، الذين يُصلحون ما أفسد الناس**، أو: **الذين يَصلحون إذا فسد الناس**»(١)، والحديث في «صحيح مسلم» عن ابن عمر وأبي هريرة، وعند أحمد عن عبد الله بن مسعود، وجاء عن آخرين، نحن في زمن الغربة، الذي لا يثبت علىٰ الحق والهدىٰ، ينحرف يمنة ويسرة، وربما يميع في أوساط المجتمعات، والمجتمعات الإسلامية في زمننا الحاضر كثير منها صار يتشبه بأعداء الإسلام قالًا وحالًا، ظاهرًا وباطنًا، إلا من سلَّمه الله ﷻ.

فيا طالب العلم، ويا أيها السني، يا من عرفت القرآن والسنة، يا من حفظت ما يسر الله ﷻ، إياك أن تنسلخ من آيات الله من أجل حطام الدنيا، من أجل مناصبها، من أجل شهواتها، من أجل دراهما، من أجل دنانيرها، فإن هذا هو الانسلاخ الحقيقي، الذي ليس بعده إلا عذاب الله، إلا أن يتغمد الله ﷻ العبد برحمته، فيأخذ بيديه إلىٰ بر السلامة، وإلىٰ طريق الأمان، فالحذرَ الحذرَ عبادَ الله، الحذرَ والصبرَ والمصابرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

قد سئمت المجتمعات الإسلامية من أهل البدع والأهواء الذين يتظاهرون بالسنة والعلم، وهم لا يريدون من وراء ذلك إلا أن يصلوا إلىٰ المناصب العالية، والمراتب الدنيوية، والأموال الطائلة، فعلَّقت الأمة آمالها علىٰ أهل السنة والجماعة وطلاب العلم وأهل الحديث، الذين يفترشون المساجد لحفظ كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، فإذا فسد الذين يتعلمون العلم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، مَن الذي يعلم الناس؟ ومَن الذي يدعوهم إلىٰ الخير؟ ومن

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥)، وبعضه خارج مسلم.

الذي يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر؟

يا أيها الناس، إن الذي ينظر فيما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم يرىٰ العجب العجاب من شدة الاستمساك والثبات علىٰ دين الله ﷻ، وإذا رأوا شخصًا من أهل العلم وحملته، مال يمنة ويسرة، لوقفوا له بالمرصاد بالنصائح والزجر والتذكير والوعظ، لماذا يترك الآخرة من أجل الدنيا ويتمسك بالفاني، ويترك الباقي؟ فهذا عبد الله بن المبارك عليه رحمة الله، شيخ الإسلام في زمنه، الذي لم يسبقه الصحابة، رضي الله تعالىٰ عنهم، لم يسبقوه بخير إلا بالصحبة لكثرة خيره، كان يحج عامًا، ويرابط عامًا، وكان ينفق علىٰ طلبة العلم، وكان من طلابه رجل فقيه ومحدث وهو إسماعيل بن إبراهيم بن مِقسَم، الذي يقال له: ابن عُلية ﷺ، هذا التلميذ صار قد بلغ مبلغًا من العلم، ثم إنه دعاه السلطان ليكون واليًا علىٰ الحسبة، واليًا علىٰ الحسبة في بلاد البصرة، فلما سمع عبد الله بن المبارك، أرسل إليه يعظه وينصحه، ثم ترك، ثم رجع مرة أخرىٰ، فلما رأىٰ أنه عاد إلىٰ هذا، وهذا يبعده عن العلم، وعن العمل بالعلم، وعن الأمر بالمعروف، وعن النهي عن المنكر، قال: أبىٰ الرجل إلا أن نقشِّر له العصا. ثم أرسل له تلك الأبيات الجميلة:

يـــا جاعـــل العلـــم لـــه بازيًـــا ... تصـــطاد أمـــوال المســـاكين

احتلـــت للـــدنيا ولـــذاتها ... بحيلـــة تـــذهب بالـــدين

أيـــن رواياتـــك فيمـــا مضـــىٰ ... عـــن ابـــن عـــون وابـــن ســـيرين

أيـــن رواياتـــك فيمـــا مضـــىٰ ... في تـــرك أبـــواب الســـلاطين

إن قلـــت أكرهـــت ذا باطـــل ... زل حمـــار العلـــم في الطـــين

فرجع إسماعيل بن إبراهيم بن عُلية، وبكىٰ، وترك ذلك المنصب، وأقبل علىٰ العلم، وأقبل علىٰ الحديث، وأقبل علىٰ الخير.

يا طالب العلم يا أيها السلفي، احمد الله ﷻ أن عرفك بالحق والهدىٰ، أن عرفك بالكتاب والسنة، أن عرفك بالعلم والعمل، أن عرفك بالخير، أن عرفك بالهدىٰ، فإياك أن تنحرف يمنة ويسرة، إياك أن تنصرف يمينًا وشمالًا، فإننا نرىٰ من بعض الناس في أيامنا ربما يترك طلب العلم؛ من أجل أن يكون عسكريًّا، من أجل أن يكون في وظيفة كذا وكذا، يترك المسجد، يترك الدعوة، يترك الخير، يترك العلم، يترك ما كان عليه، الأمة بحاجة إلىٰ العلماء الناصحين، إلىٰ الآمرين بالمعروف، إلىٰ الناهين عن المنكر، إلىٰ العاملين بعلمهم، إلىٰ الذين يبيِّنون للناس الفتن عند قدومها، والضرر حال حصوله، الأمة بحاجة إلىٰ العلماء، أما غيرهم فقد مُلئت بهم الشوارع والمصانع والمدارس والمرافق وأماكن العمل، لكن أين العلماء الناصحون الصادقون الذين لا يريدون من الناس جزاءً، ولا شكورًا، الذين يقولون: ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾ [الأنعام: ٩٠] وما نحن من المتكلفين، الذين يقولون للناس: قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا. الذين لا يقولون للناس: أعطونا أموالكم، أو تعالوا نعطيكم الأموال، وإنما يعلِّمون الناس الخير، يعلمون الناس الدين، يعلمون الناس العقيدة الصحيحة، يعلمون الناس التوحيد، يعلمون الناس الخير ليحذروا من الشر، يُبيِّن لهم أسباب الضلال، وأسباب الردىٰ، وأسباب الانحراف، فالأمة بحاجة إلىٰ ذلك، ولهذا قال الإمام أحمد ﵀ لما ذكر في ترجمة سعيد بن جبير ذلك التابعي العالم المفسر الذي قتله الحجاج بن يوسف، قال الإمام أحمد ﵀: قتله الحجاج ابن يوسف، والأمة أحوج ما كانت إليه. فالأمة بحاجة إلىٰ علماء، وبحاجة إلىٰ فقهاء، أحدهم ربما يصلي بالناس ويؤمهم وهو لا يحسن يصلي، والآخر ربما عنده عقيدة فاسدة شركية وهو يصلي الصلوات الخمس، ويقرأ القرآن يوميًّا، وهكذا يتصدق الصدقات، فمن لهذه الأمة؟ من يُبيِّن

لها الشرك لتحذر منه، والبدع لتبتعد عنها؟ من يُبيِّن لها سنة رسول الله ﷺ؟ أهل الأهواء مشغولون بأهوائهم، مشغولون بدنياهم، مشغولون بمناصبهم، مشغولون بأموالهم، فإن لم يكن أهل السنة هم الذين يقبلون علىٰ العلم والعمل به والدعوة إليه فمن يقوم بذلك عبادَ الله؟ قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ويقول الله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أهل اليمن من زمن رسول الله ﷺ وحب الخير والعلم والدين متأصل في قلوبهم، فينبغي أن يحافظوا علىٰ هذا الخير، جاء في صحيح البخاري من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وكان عند رسول الله ﷺ وعنده قوم من بني تميم، وقوم من أهل اليمن، فقال النبي ﷺ: «**يا بني تميم، اقبلوا البشرىٰ**». قالوا: يا رسول الله، بشرتنا فأعطنا. قال: «**اقبلوا البشرىٰ يا بني تميم**». قالوا: بشرتنا فأعطنا. فقال: «**يا أهل اليمن، اقبلوا البشرىٰ إذ لم يقبلها بنو تميم**». قالوا: قبلنا يا رسول الله. ثم قالوا: يا رسول الله، إنا جئناك؛ لنتفقه في هذا الدين، ونسألك عن أول هذا الأمر. أهل اليمن يحرصون علىٰ الفقه في الدين، وإنما تأتي الفتن، فتجرُّ كثيرًا منهم يمنة ويسرة. جئناك لنتفقه في هذا الدين، ونسألك عن أول هذا الأمر[(١)]... إلىٰ آخر الحديث. والشاهد منه أن أهل اليمن من ذلك الزمن وهم يحبون العلم، ويحبون السنة، وإنما دخلت البدع والأهواء أكثرها من خارج اليمن، ولو تفحصتها بدعة بدعة ومنهجًا منهجًا من

(١) أخرجه البخاري (٣١٩١)، وابن حبان (٦١٤٢) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

المناهج المنحرفة، لوجدت أنها جاءتنا من غير بلاد اليمن.

فيا أهل اليمن، أحيوا تلك السنن التي كان عليها الأوائل، تلك السنن التي كان عليها جرير بن عبد الله البجلي وهو من أهل اليمن التي كان عليها أبو هريرة الدوسي، وهو من أهل اليمن، الذي كان حافظ الصحابة، يحفظ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم أكثر من خمسة آلاف حديث، تلك الطريقة التي كان عليها أبو موسىٰ الأشعري اليمني الذي قال عنه النبي ﷺ: «**يا أبا موسىٰ، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**»(١)؛ لحسن تلاوته، وجمال صوته، يوم أن يقرأ القرآن، وقال ﷺ حين ذكر الأشاعرة قبيلة أبي موسىٰ أنهم يقرءون القرآن في دورهم، لهم دوي بالليل كدوي النحل من قراءة القرآن، والاهتمام به، وهكذا لو نظرت من ذلك الزمن إلىٰ يومنا هذا، لرأيت الأئمة الأعلام والسادة العظماء من أهل اليمن الذين أقبلوا علىٰ العلم والعمل والدعوة إلىٰ الخير، فنفع الله ﷻ بهم العباد والبلاد، فينبغي لنا عبادَ الله أن نحرص كل الحرص، فإن الخير كل الخير والله لو جمعت الدنيا بكاملها لا تساوي شيئًا مقابل أن تحفظ كتاب الله، ألم يقل النبي ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(٢)، رواه البخاري عن عثمان، وفي رواية: «**أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه**»(٣)، ألم يقل النبي ﷺ كما في الصحيحين عن معاوية: «**من يرد الله به خيرًا، يفقهه في الدين**»(٤)، والله لو جمعت الدنيا ولو وصلت إلىٰ أعلىٰ المناصب العالية في الدنيا وأنت جاهل بدين الله ﷻ ما انتفعت شيئًا، وليس ذلك مقابل حديثًا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٢٨).

(٤) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

من أحاديث رسول الله ﷺ تحفظه، فربما يكون سببًا لنجاتك، وسببًا لصلاح قلبك وصلاح نفسك وأسرتك وأولادك، أو آية من كتاب الله ﷻ تقرأها وتتدبرها وتحفظها وتعمل بها، ولهذا فإن الله لما ذكر قصة هذا الرجل الذي انحرف عن العلم والعمل قال: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ١٧٧ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦- ١٧٨]، ثم قال بعدها: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

أكرمنا الله ﷻ بالأسماع والأبصار والقلوب والأفئدة والصحة بالأبدان، فنستغل ذلك في طاعة الله ﷻ، يا أيها المؤمن احرص علىٰ الخير، وكن من أهل الخير، ومن الدعاة إلىٰ الخير، ومن مفاتيح الخير، تنج بإذن الله ﷻ، إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبىٰ لمن جعل الله مفاتيح الخير علىٰ يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر علىٰ يديه، إياك أن تفتح باب الشبهات أو باب الشهوات فتضل عن الصراط المستقيم، فإن هذا والله فتح لباب ربما يوصلك إلىٰ الجحيم، يا من عرفت الحق والهدىٰ، يا من عرفت الطريق، يا من عرفت الهداية، فاسلك سبيلها، أعرض من أعرض، ونفر من نفر، قال الإمام الأوزاعي ﷺ كما في شرف أصحاب الحديث: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول فإن الأمر ينجلي وأنت علىٰ صراط مستقيم. عليك بآثار من سلف، اقرأ سير الصحابة الكرام والسادة الأعلام من التابعين ومن بعدهم، وسير العلماء الناصحين الصادقين، كيف عاشوا في هذه الحياة الدنيا، علماء عاملين داعين آمرين بالمعروف ناهين عن

المنكر، لم يغيروا ولم يبدلوا، فإن التغيير والتبديل إنما هي عقوبة من الله ﷻ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ويقول ﷺ: «**إن من عباد الله عبادًا اختصهم لمنافع العباد بالنعم، ويقرها فيهم ما بذلوا، فإن منعوها حولها إلىٰ غيرهم**»(١)، رواه الطبراني عن ابن عمر، وهو في «صحيح الجامع».

إذا أكرمك الله بالعلم، وأكرمك الله بالسنة، فلم تقم بشكرها كما أراد الله سبحانه، يُخشىٰ أن تُسلب منك وأن تُحوَّل إلىٰ غيرك، وأن يصير حالك كحال هذا الرجل الذي ضرب الله لنا مثله والذي بيَّن لنا صفته، فاحذر يا أيها المسلم، واحمد الله ﷻ أن جعلك من أهل هذه الحلقات، ومن أهل هذه المجالس، الذين لا يجتمعون إلا من أجل الله، من أجل أن يتفقهوا في دين الله، ليس لهم مآرب دنيوية ولا أغراض شخصية ولا مصالح شخصية، ولا شيء، وإنما يجتمعون من أجل أن يتفهقوا في دين الله، وأن يتعلموا شرع الله، وأن يأخذوا أحكامه سبحانه التي في كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ.

فصبرًا يا أهل السنة، صبرًا يا أهل السنة، فإن كل المؤامرات وكل الفتن التي تشاهدونها إنما هي لإبعادنا عن هذا الخير، وإبعادنا عن هذه السنة، وإبعادنا عن هذا الحق، فينبغي أن نكون أشد تمسكًا، وأشد ثباتًا، وأشد صلابة، ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٤، ٩٥]، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، وهكذا يبيِّن الله ﷻ أن الله ناصرٌ دينَه، ومتمٌّ كلمتَه، ومؤيدٌ أولياءَه، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، قال الله قبلها:

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣٩٢٥) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦١٧).

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، فاصبر يا عبد الله، ما دام أنك عرفت الحق واعتقدته، فالزم هذه الطريق، واصدع بالحق، واصبر حتىٰ تلقىٰ الله ﷻ، فإن الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن، كما قال ﷺ: «**والجنة حفت بالمكاره، والنار حفت بالشهوات**»(١)، والنفس أمارة بالسوء، وتحتاج إلىٰ مجاهدة، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فجاهد نفسك عبد الله، فهي أيام قلائل، ثم الرجوع إلىٰ الله، ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

أيام قليلة تعيشها في الدنيا، فقضِّها في الخير، وقضِّها في الحق، وقضِّها بالصدع به والعمل به، والدعوة إليه، إلىٰ أن تلقىٰ الله ﷻ، وإياك والانحراف يمنة ويسرة، وإياك والضعف، وإياك والتقهقر، وإياك والتململ، مهما حصل اثبت علىٰ دين الله ﷻ، يثبِّتك الله، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

نسأل الله ﷻ بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن يثبتنا وإياكم علىٰ دينه، وأن يفقهنا فيه، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وبارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ويمكرون ويمكر الله

الخطبة الأولى

الحمد لله، نحمده تعالىٰ، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، المكر بأهل الحق وأنصاره وحملته ودعاته من أنبياء الله ورسله، ومن سار علىٰ طريقهم، وانتهج نهجهم- أنواع عدة، وبطرق كثيرة، وأساليب مختلفة؛ ولهذا بيَّن الله ﷻ في هذه الآية أن المشركين في زمن النبي ﷺ يمكرون به بكل ما يقدرون

عليه، فمن ذلك أنهم أرادوا حبسه وتقييده وإيقافه، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾، أساليب الماكرين وطرق المناوئين للدعوة الحقيقية في كل زمان ومكان أنواعها كثيرة، **ومن هذه الأنواع:**

نشر الدعايات الكاذبة، وتشويه أهل الحق، وإظهار الحق بصورة الباطل، وإظهار الباطل بصورة الحق، فقد قال أعداء الرسل لأنبياء الله ورسله، قالوا لهم أقوالًا باطلة، ووصفوهم بأوصاف قبيحة، دَعَوْهم إلىٰ الله ﷻ، فكان ردُّهم قبيحًا، قال الله ﷻ عن نبيه نوح عليه السلام أنه لما دعا قومه، وصبر علىٰ دعوتهم، دعاهم ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا، وهو يقول لهم: يا قوم، قولوا: لا إله إلا الله، وحدوا الله، اعبدوا الله. ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] سخرية، سخرية وتشويه بأهل الإيمان، ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ١١١- ١١٣]، وهكذا ذكر الله ﷻ عن نبيه صالح، حينما دعا قومه، فكانت إجابتهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الشعراء: ١٥٣] تشويه، أنت مسحور، أنت مريض، أنت مجنون، مع أنه نبي من أنبياء الله ﷻ يُوحىٰ إليه، وهكذا غيره من الأنبياء، فهود عليه السلام يقول له قومه حين جاءهم بالأدلة والبراهين والحجج القاطعة التي تدل علىٰ وحدانية الله ووجوب عبادته، فيقولون مستهزئين مستهترين: (إن هذا إلا خَلْقُ الأولين) علىٰ قراءة (خَلْق)، (إن هذا إلا خَلْقُ الأولين) أي هذه افتراءات وأقاويل، جئت بها مما كان عليه الأولون.

وهكذا نبينا ﷺ، قائل يقول له: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٤، ٢٥]، وآخر يتهمه بالسحر، وآخر يتهمه بالجنون، وذاك يأتي إليه

ليعالجه، يعالج رسول الله ﷺ، خاتم الرسل، أفضل الخلق، إمام الهدىٰ، نبي الرحمة، يأتي إليه ضماد الأَسْدِي يريد أن يعالجه؛ بسبب تلك التشويهات، وكثرة الدعايات التي أطلقها أهل الباطل في تشويه الحق، وإزالة ما في قلوب الناس من تقبُّله ومحبته، يا محمد، إني قد سمعت قول قومك لك، وما قالوا فيك، فماذا عندك؟ لعل الله أن يشفيك علىٰ يدي. فقال له النبي ﷺ: «**إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له**»(١)، هل هذا يقوله مسحور؟ هل هذا الكلام العظيم يقوله من كان عنده خلل في عقله؟ لكنَّها الدعايات، لكنَّه التشويه، لكنَّها الحرب الإعلامية التي يقوم بها أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وانظروا إلىٰ أيامنا، وإلىٰ زماننا، تجدون أن أعداء الله ﷻ من يهود ونصارىٰ يحاولون في إعلامهم وفي دعاياتهم تشويه الإسلام وإلصاق التهم، والأوصاف القبيحة بأهل الإسلام، بل ويطالبون حكام المسلمين أن يزيلوا من شرع الله، ومن كتاب الله ﷻ، ومن سنة رسوله ﷺ كلَّ دليل يصل إليهم بالأذىٰ، ويصفونه بأنه دين الإرهاب، ودين الغلظة، ودين الوحشية، ودين القتل، ودين سفك الدماء، كل هذا؛ لتنفر المجتمعات الأوربية والأمريكية والغربية والشرقية من هذا الإسلام، ولو قرأ الإنسان التاريخ وقلَّب صفحاته فيما صنع أعداء الإسلام من يهود ونصارىٰ بأهل الإسلام، لرأىٰ المشاهد، وقرأ الوقائع التي تشيب لهولها الرءوس، وتتفطر لها القلوب من الإرهاب العظيم الذي فعلوه بأهل الإسلام، وما سمعتموه ولاحظتموه أو قرأتم عنه في مجزرة ذلك المسجد(٢) الذي لم يتكلم أحد من زعمائهم بأن هذا

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في نيوزيلاندا.

هو الإرهاب بعينه، بل جعلوا يلتمسون الأعذار والشبه التافهة.

أيها المؤمنون عبادَ الله، من الأساليب في محاربة الحق وأهله والمكر به: بذْلُ الأموال؛ للصد عن سبيل الله ﷻ، بذل الأموال؛ لتفكيك أهل الإسلام، بذل الأموال؛ لردِّ الناس عن عقيدتهم، بذل الأموال؛ لشراء الذِّمم، ونقض العهود، وغير ذلك، بذل الأموال؛ لحصول الفواحش والمنكرات، بذل الأموال؛ لذهاب القيم والأخلاق، قال الله ﷻ في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]، دائمًا وعلىٰ مر العصور وهم يسعون بأموالهم في محاربة الحق وأهله.

لمَّا حصل ما حصل لكعب بن مالك يوم أن تخلف عن غزوة تبوك، وأمر النبي ﷺ بهجره، وهجر صاحبيه، وكان في ضيق لا يعلمه إلا الله، ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فأرسل إليه ملك غسان، فانظروا يا معاشر المسلمين، كيف يترصد أعداؤنا مواطن الضعف فينا؛ ليصيدوا في الماء العكر؛ ليشتروا أصحاب النفوس الضعيفة، فأرسل إليه رسالة وقال له: إنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، فالحق بنا نواسك. فأخذ الرسالة، ومزقها، وألقاها، وقال: وهذا من البلاء. وكم من الناس الذين قال لهم الأعداء: الحقوا بنا نواسيكم. فلحقوا بهم إما بأبدانهم، وإما بمعتقداتهم، وإما بأفكارهم، كم من الأموال التي ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب في مساعدة الفقراء، وهكذا في إنشاء المعمورة وفي بناء البنية التحتية، وإنشاء المشاريع، وفتح المراكز الكثيرة؛ لإغاثة المنكوبين، ومساعدة المحتاجين من أعداء الله ﷻ، وما ذلك إلا شراء لولائهم، وضعفًا في دينهم، إلا من سلمه الله ﷻ.

أيها المؤمنون عبادَ الله، ومن تلك الأساليب في حرب أهل الحق والمكر بهم:

التعدي عليهم بالقتل، والتشريد، والإهانة، بكل ما يقدرون عليه، ولهذا قال الله في هذه الآية: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾ [الأنفال: ٣٠] تقول فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها، كما عند ابن حبان من حديث عبد الله بن عباس، وهو في السلسلة الصحيحة: دخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: «**ما لكِ يا بنية؟ ما يبكيك؟**»، قالت: وما لي لا أبكي، وقد رأيت قريشًا يجتمعون عند الحجر، وقد اتفقوا لئن رأوك ليضربونك ضربة رجل واحد، فيكون كل واحد منهم قد أصاب من دمك نصيبًا؟ فقال النبي ﷺ: «**يا بنية، ائتيني بوضوء**» فتوضأ، ثم خرج ﷺ، ولما وصل إلىٰ المشركين، طأطوا رءوسهم، ثم أخذ شيئًا من الحصا، ورماهم به، وقال: «**شاهت الوجوه، شاهت الوجوه**»، فما من أحد منهم أصابه الحصا، إلا وقتل يوم بدر(١)، نبينا ﷺ تعرض للتصفية الجسدية، أرادوا قتله، فذاك عقبة بن أبي معيط يخنق النبي ﷺ بردائه حتىٰ يكاد يقتله، فيأتي أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وينقذه، ويقول: أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله؟ وهذا أبو جهل بن هشام يأتيه، وهو يصلي ويريد أن يطأ علىٰ رقبته، فيرسل الله ﷻ الملائكة مدافعة عن رسول الله ﷺ، فما شعروا إلا وبأبي جهل يتقي قال: يتقي بيديه ويرجع القهقرىٰ، فقالوا له: ما لك يا أبا جهل؟ قال: ويحكم، إن بيني وبينه خندقًا من نار، إني رأيت هولًا وأجنحة. قال ﷺ: «**لو دنا مني، لتخطفته الملائكة عضوًا عضوًا**»(٢).

ولقد أجمع المشركون علىٰ قتله، وعلىٰ إبادته، بعد أن حاولوا بكل المحاولات، بدءوا ببذل المال والإغراءات، وعرض الشهوات، والتوسل إلىٰ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٦٢)، ابن حبان (٦٥٠٢) وصححه الالباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الأهل والأقارب، ووضع العراقيل، والتشويه الإعلامي بكل ما يقدرون عليه، فلما عجزوا أرادوا قتله عليه السلام، وأن يتفرق دمه في القبائل، فلا يقدرون بني هاشم علىٰ الأخذ بثأرهم، ولكن الله تعالىٰ حفظ نبيه صلى الله عليه وسلم.

أما إذا رجعت إلىٰ الأنبياء والرسل الذين مضوا، فإن الله ﷻ قد ذكر عن بني إسرائيل وحدهم أنهم قتلوا أعدادًا كبيرة من الأنبياء، ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

وهكذا لو نظرت في سير الصالحين من أتباع الأنبياء والرسل، لوجدت أن منهم من مضىٰ في هذا السبيل حتىٰ فارقت روحه جسده، كل ذلك من مؤامرات الأعداء.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﷺ، أيها الناس، إن من مظاهر مكر الماكرين بأهل الحق ودعاته، ومن وسائلهم الكثيرة لهي التشريد والطرد، والإخراج من المال والأرض، هذا من الأساليب التي يصلون إليها عند العجز، ولهذا لما حاجج لوط عليه السلام قومه، وحذرهم من فعل الفاحشة وأن هذا منكر عظيم، ماذا كانت إجابتهم؟ ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧].

ولما ذهبت خديجة بالنبي ﷺ إلىٰ ابن عمها ورقة بن نوفل رضي الله عنه، وجعل يقص عليه ما حصل له في بدء الوحي وإتيان جبريل، فقال: هذا- والذي نفسي بيده- لهو الناموس الذي أُنزل علىٰ موسىٰ، يا ليتني فيها جذعًا إذ يخرجك قومك. ما هي جريمته؟ لماذا يخرجه قومه؟ إذ يخرجك قومك. فقال النبي ﷺ متعجبًا: «**أو مخرجي هم؟**» قال: نعم، ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي وأوذي[(١)].

فيا من سلكت سبيل الحق، واعتقدت العقيدة الصحيحة، وطِّن نفسك للأذىٰ والابتلاء، فإن مكر الماكرين لا ينقطع ما دامت الأرواح بالأجساد، والصراع بين الحق قائمًا إلىٰ قيام الساعة، «**أو مخرجي هم؟**» قال: ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي وأوذي.

ولا يخفىٰ علينا ما جاء بالسيرة الصحيحة من إيذاء الصحابة الكرام، الذين

---

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

سبقوا إلىٰ الإسلام، فعُذبوا وضُربوا، وأُهينوا وشُردوا، حتىٰ خرجوا من ديارهم، فهاجروا الهجرة الأولىٰ والهجرة الثانية إلىٰ بلاد الحبشة، ثم خرج النبي ﷺ بعد أن سبقه الصحابة الكرام زرافات ووحدانًا إلىٰ المدينة النبوية، كل ذلك بسبب مكر أولئك المشركين وحقدهم وأذيتهم وعداوتهم، خرج النبي ﷺ، فلما بلغ الزوراء قال: «**اللهم إنك لأحب الأرض إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت**»(١)، طاردوه، آذوه، حتىٰ خرج ﷺ بأمر الله ﷻ، ولهذا قال الله في الآية: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ وأخر الإخراج؛ لأنه آخر المراحل وأصعبها، أن يُخرج المرء من داره ومن بلده، ومن عشيرته، ويُطرد منها، لماذا؟ لأنه يدعو إلىٰ الله، ولأنه يقول: لا إله إلا الله. ولأنه يسير علىٰ الحق، فهذا من أعظم الجرائم أن يُخرج من بلده، بل هو أشد منه من لو أنه قُتل، ولهذا أُخر في الآية: ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾، ثم قال الله ﷻ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، فأهل الحق ظنهم بالله ﷻ حسن وعظيم؛ لأن الله ناصرهم ولو بعد حين، المهم أن يكونوا علىٰ يقين، وعلىٰ اطمئنان مما هم عليه من الخير والهدىٰ، وإلا فإن الله ﷻ ناصر دينه، ومتم كلمته، أو ما سمعت قول الله ﷻ وهو يذكر أوصاف اليهود، وأنهم دائمًا وأبدًا يحيكون المكر السيئ، ويدبرون المخططات ويبرمون المؤامرات، ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤]، ويقول الله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣]، إنما ينبغي

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٠٨٩) من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء رضي الله عنه.

لنا أن نتأكد أين نضع أقدامنا، وأين قلوبنا، وما هي معتقداتنا، أين نحن من الحق والهدىٰ، وإلا فإن الله ناصر أهل الحق بلا شك، وبلا ريب، «**لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلىٰ قيام الساعة**»(١)، وما يحصل لهم من الابتلاء إنما ذلك زيادة في رفعتهم، وتعظيمًا لتمكينهم، قال النبي ﷺ: «**يُبتلىٰ الصالحون الأمثل فالأمثل، أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلىٰ المرء علىٰ قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء، وإن كان في دينه رقة ابتُلي علىٰ قدر دينه**»(٢)، هكذا معاشر المؤمنين وأساليب الماكرين بأهل الحق كثيرة، وإنما هذه مقتطفات.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضىٰ، والحمد لله رب العالمين.



(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٠٢) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.




واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، عبادَ الله، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥] الفتن يتضرَّر منها الصالحون والطالحون، وربما تعمُّ عقوباتها إلىٰ غير أهلها؛ ولهذا حذَّر الله ﷻ عباده من الفتن، ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ

خَآصَّةً وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾.

ومن أعظم تلك الفتن التي حذَّر منها النبي ﷺ لهي سفك الدماء المحرمة، التي بيَّن الله ﷻ عصمتها وحرمتها، قال ﷺ، وهو يودِّع الأمة في حجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألَا هل بلَّغتُ؟**» قالوا: نعم. قال: «**اللهم فاشهد**»(١).

سَفْكُ الدماء المحرمة التي جعلها الله ﷻ أمرًا عظيمًا، وجُرمًا جسيمًا؛ ولهذا بيَّن نبيُّنا ﷺ أنه كلما تأخر الزمان كلما ازدادت هذه الفتنة، وخاض الناس فيها، قال ﷺ: «**يقلُّ العلم، ويظهر الجهل، ويكثر الهَرْجُ**»، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال بيده يُحرِّفُها، يعني القتل(٢). متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. نعم وفي صحيح مسلم عنه قال ﷺ: «**يأتي علىٰ الناس زمان لا يدري القاتل فيما قتل، ولا المقتول فيما قُتل، الهَرْجُ الهَرْجُ**»(٣).

هذه الفتنة العظيمة التي تساهل فيها كثير من المسلمين في هذا الزمان، فصارت الدماء تُسفك علىٰ أتفه الأسباب وأصغرها.

أيها المسلمون، عبادَ الله، حال المؤمن عند الفتن واشتدادها أن يرجع إلىٰ ما أمره الله ﷻ، أن يرجع إلىٰ كتاب الله، وإلىٰ سنة رسوله ﷺ، فلا يُحكِّم عقله، ولا يُحكِّم رأيه، ولا عاطفته، وإنما يرجع إلىٰ دين الله ﷻ، فهو المَخرَج من الفتن كلها، والسلامة بإذن الله ﷻ، قال ﷺ: «**ستكون فتنٌ**»، قالوا: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «**ستكون فتنٌ**»، قالوا: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال:

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٨٥)، ومسلم (١٥٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٠٨).

«**ستكون فتنٌ**»، قالوا: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «**عودوا إلىٰ أمركم الأول**»(١). رواه الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه. «**عودوا إلىٰ أمركم الأول**».

وفي حديث العرباض بن سارية قال: «**وإنه من يَعِشْ منكم، فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور**» إلىٰ آخر الحديث(٢).

من المخارج العظيمة: الرجوع إلىٰ أهل العلم فيما أَشكَل، وخصوصًا عند حلول الفتن، فإنهم ينظرون بنظرة شرعية مأخوذة من دين الله عز وجل، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [النساء: ٨٣] الآية، ويقول الله عز وجل: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، إذا كان سؤال أهل العلم عن أيسر الأمور وأسهلها من أمور الطهارة وغيرها ومن سائر المعاملات، فكيف في زمن الفتن وحلولها؟ هذا من أعظم ما ينبغي للمؤمن أن يرجع إلىٰ أهل العلم الناصحين الصادقين، فيسألهم قبل الخوض في الفتن والوقوع فيها.

ومن ذلك أيضًا عبادَ الله: الالتجاء إلىٰ الله عز وجل، وكثرة الدعاء، فإن هذا من أعظم المخارج أن يُبْعِدَ الله عز وجل الفتن عن العباد والبلاد، فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يعلِّمنا أن نقول في كل صلاة نصليها في آخر تشهدها: «**وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»(٣)، وكان يقول كما في حديث فَضالَة بن عبيد: «**وأسألك الرضا بعد**

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٣٠٧) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣١٦٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٧) ومسلم (٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

القضا، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلىٰ وجهك الكريم من غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة»(١). يدعو المؤمن ربه ﷻ أن يدفع الشر والفتن، وأن يذهب الشرور كلها، هذا من أعظم ما ينبغي للعبد أن يقبل عليه في زمن الفتن.

ومن ذلك أيضًا: أن يُقبل علىٰ الأعمال الصالحة والطاعات والقُرُبات، ويكثر من ذلك، فإن الناس في زمن الفتن عن العبادة ينشغلون، وعن الطاعات يبتعدون، وللمحرمات يرتكبون، عقولهم تَطِيش، ولهذا قال ﷺ كما في حديث معقل بن يسار في الصحيح: «**العبادة في الهَرْجِ كهجرة إليَّ**»(٢). أي في زمن الفتن العبادة كالهجرة إلىٰ النبي ﷺ.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعَرَض من الدنيا**»(٣)، فأرشدنا عليه الصلاة والسلام إلىٰ المبادرة إلىٰ العمل الصالح، والمسابقة للفتن بالطاعات.

وهكذا: البعد عن الفتن وأهلها ومواطنها، قال ﷺ كما عند أبي داود عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه: «**إن السعيد لمن جُنِّبَ الفتن، إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، ولمن ابتُلي فصبر فَوَاهًا**»(٤)، أي: الذي يصبر علىٰ طاعة الله ﷻ، وعلىٰ ما يحصل له من الابتلاء، وهو يبتعد عن الفتن، ويعرض عنها، هذا يُتعجَّب من حاله؛ لأنه يسعىٰ إلىٰ سلامة نفسه ودينه ودمه، وكل ما يملكه من ماله وعرضه.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٢٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٨).

(٣) أخرجه مسلم (١١٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٦٣) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤٣).

أيها المؤمنون عبادَ الله، الحذرَ الحذرَ من أن يقع المؤمن في سفك الدم الحرام بغير حلِّه، فإن هذا من الجرم العظيم، والمنكر الجسيم، والله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، سَفْكُ الدماء المحرمة تحت أي مبرَّر - جريمة شنعاء، ولهذا قال ﷺ: «**كل ذنب عسىٰ الله أن يغفره، إلا الرجل يقتل المؤمن متعمدًا، والرجل يموت مشركًا أو كافرًا**»، «**كل ذنب عسىٰ الله أن يغفره، إلا الرجل يقتل المؤمن متعمدًا، أو الرجل يموت كافرًا أو مشركًا**»(١)؛ فلهذا كان هذا جرمًا عظيمًا توعد الله ﷻ فاعله بما سمعت في هذه الآية، ما لم يجمعه لذنب آخر في موضع واحد، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، وكم تجد من الأدلة التي فيها التحذير الأكيد والوعيد الشديد لمن اقترف هذا الذنب، يأتي المقتول يوم القيامة يحمل رأسه بيده، تشخُب أوداجُه دمًا، فيقول: يا رب، سل فلانًا فيم قتلني؟ فالحذرَ الحذرَ عبادَ الله، فإن الفتن ربما تضر صاحبها إلىٰ أن يقع في هذه الورطة العظيمة التي قال عنها عبد الله بن عمر: إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها - سفك الدم الحرام بغير حله.



(١) أخرجه وأبو داود (٤٢٧٠)، ابن حبان (٥٩٨٠) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٤٥) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحبُّ ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون، إن أعداء الإسلام من يهود ونصارىٰ ومجوس يسعَوْن للبطش بهذه البلاد الطيبة، ليلًا ونهارًا، ومؤامراتهم قائمة علىٰ قدم وساق، وما يحصل في البلاد مما يُهيئ لهم ما يريدون، فهم يسعون سعيًا حثيثًا لتسليم هذه البلاد الطيبة للرافضة المجوس الصفويين، فلهذا يسعون في اختلاق البلابل والقلاقل والخلافات والقتل والقتال والتمزق والعداوات، وغير ذلك؛ ليتسنَّىٰ لهم أن تُسلم البلاد للرافضة، ولهذا نقول لتلك الجيوش الجرارة التي ترجع من علىٰ مشارف صنعاء لتقاتل في مدينة عدن: اتقوا الله، هلَّا دخلتم صنعاء، فيكون لكم الشرف العظيم، هلَّا حررتموها من المجوس، وأطلقتم سراح النساء والأعراض التي تُدنَّس في سجون الرافضة الحُوثيِّين؟ هلَّا شعرتم بالخطر العظيم الذي يداهم البلاد كلَّها؟ وهكذا يُقال للطرف الآخر: اتقوا الله وراقبوا الله، واعلموا أنكم مسؤولون بين يدي الله ﷻ عن الدماء التي تُسفك بغير حق، والأعراض التي تُنتَهك، والأموال التي تُنهب، والمُقدَّرات التي تُهدر، ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]، لا يزال الرافضة علىٰ مشارف بلادنا، وهم يطمعون في دخولها، وفي وطئها، وفي

تدنيسها، وما تسمعون في أيامنا من حشودهم وتجييشهم وإسقاط بعض الجبهات وأخذها، إنما لِمَا يحصل من الخلاف والقتل والقتال مما يزيد البلاد إلىٰ الوَهَنِ وَهَنًا، ويزيد تسلط الأعداء، ويظهر في مثل هذه الأوضاع الحاقدون والماكرون الذين يريدون بالبلد وأهلها سوءًا، فاتقوا الله يا أيها الساسة، واتقوا الله يا أيها المسؤولون، واتقوا الله يا من أعطاكم الله ﷻ وخوَّلكم أمر هذه البلاد، واعلموا أن أهل السنة والجماعة ليسوا بدعاة فتن، ولا ينجرُّون إليها، وإنما يقاتلون عدوًّا كافرًا فاجرًا زنديقًا، يأخذ العقائد والأعراض والدماء وينتهكها، وهكذا يهين الشرفاء، ويأخذ الأخضر واليابس، فاعقلوا هذه الحقيقة، وأجمعوا كيدكم، ثم ائتوا صفًّا، وقد أفلح اليوم من استعلىٰ، واعلموا أن قتالكم يؤدي إلىٰ ضعفكم، وإلىٰ تسلط الأعداء عليكم، فاتقوا الله ﷻ، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، واعلموا أن أهل السنة والجماعة في أي بلد من البلدان متىٰ صار حاكمهم مسلمًا من أي جهة كان، فله يسمعون ويطيعون في طاعة الله ﷻ، فليسوا بدعاة ثورات، ولا انقلابات، ولا خروج علىٰ الحكام، ولا سفك للدماء، وإنما هم دعاة خير ورحمة وسلام، وهم دعاة توحيد وعقيدة، وإنما قاموا في قتال الرافضة؛ لما يرون من الخطر العظيم الذي يحيط بالأمة وعقيدتها وعِرضها وأرضها ومقدساتها، وهذا الذي يريده الأعداء، السيطرة علىٰ بلاد المسلمين جمعاء، وليس علىٰ بلاد اليمن خصوصًا.

فاتقوا الله يا عباد الله، وراقبوا الله ﷻ، واعلموا أنه إن مكَّنكم الله ﷻ من رقاب أهل الإيمان، أنكم ستُسألون عن كل صغير وكبير تفعلونه وتقولونه، ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، واعلموا أن الله ﷻ لم يمكِّن في أرضه لمن سعىٰ

فيها فسادًا، أو وقع في الظلم، وإنما يمكِّن لأهل الصلاح والخير، قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، فلنسعَ جميعًا إلىٰ توحيد الله ﷻ، وإلىٰ ما فيه صلاح العباد والبلاد، وإلىٰ ما فيه سبيل الرشاد، وإلىٰ ما فيه البعد عن طريق أهل الإلحاد.

وفَّقنا الله وإياكم جميعًا لما يحبه ويرضاه، والحمد لله رب العالمين.



ولا تنازعوا فتفشلوا .. وبيان خطر الحوثي

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، نحمد الله ﷻ الذي هيَّأَ لنا ويسر أن نجتمع في هذا المقام في بيت من بيوت الله ﷻ، نجتمع علىٰ ذكر الله، وعلىٰ كلام الله ﷻ، وكلام رسوله ﷺ، وما أحوجَنا إلىٰ مثل هذه اللقاءات والاجتماعات، التي يلتقي فيها المسلم بأخيه المسلم، فتحصل المناصرة، وتحصل المؤازرة، ويقوىٰ الإيمان بإذن الله ﷻ، ويتفقه المرء في دين الله ﷻ، ويحصل علىٰ خير عظيم، وهذا كله إذا

صلحت النيات، واحتسب العبد الأجر عند الله ﷻ، فإن هذه من العبادات العظيمة التي بيَّن الله في كتابه وبيَّن نبيه ﷺ ثمارها العاجلة والآجلة، فالحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، والحمد لله ﷻ علىٰ نعمه، وعلىٰ آلائه، وعلىٰ ما يُرَبِّينا به ﷻ، ولو لم يكن كما ذكر أخونا إلا هذه النعمة أن وفَّقنا لنكون من أهل هذه المجالس، وممَّن يرتادون المساجد، فيحافظون علىٰ الصلوات، ويبادرون إلىٰ نوافل العبادات، ويجلسون لسماع الآيات، وتنشرح صدورهم لذكر الله ﷻ، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وكلما كان العبد قريبًا من الله ﷻ، كلما كان انشراح صدره أعظم، وطمأنينتُه أكثر، وكلما كان العبد بعيدًا من الله ﷻ، واقعًا في معصيته، كلما كان قلبه أشد ضيقًا وحنقًا وبُعدًا ونبوءًا عن مثل هذه المجالس، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾.

وبالمقابل فإن من الناس من يعرض عن هذه المجالس، فكلٌّ هذا علىٰ حسب قلة الذنوب وكثرتها، ﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا﴾ [الجن: ١٧]، وهكذا يقول الله ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]، ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧].

فاحمد الله عبدَ الله، واطلب من ربك ﷻ الثبات والمزيد، وهذا هو معنىٰ قول الله ﷻ في أعظم الدعاء في سورة «الفاتحة»: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، فإنَّ هذا هو أعظم الأدعية، أن يدعو المؤمن ربه ﷻ أن يهديه الصراط المستقيم، فإن كان من أهله فالمعنىٰ أن يثبته، وأن يعينه علىٰ مواصلة المشوار، والسير إلىٰ الله ﷻ، وإن كان قد مال يمنةً أو يسرةً، فمعنىٰ هذا الدعاء أن يوفقه وأن يلهمه

رشده، وأن يعينه علىٰ معرفة الحق والتمسك به.

أيها المسلمون عبادَ الله، إن من أعظم أسباب قوة هذه الأمة، ومن أعظم عناصر بقائها وانتصارها علىٰ أعدائها واستمرارها؛ لَهُوَ اجتماع كلمتها، لَهُوَ اجتماع كلمتها علىٰ الحق، فإن هذا من أعظم أسباب شد الأزر، ومن أعظم أسباب النصر، ومن أعظم أسباب بقاء هذه الأمة، أن تجتمع علىٰ الحق المبين، من كتاب الله ﷻ، ومن سنة رسوله ﷺ.

ومن أعظم أسباب هزيمتها وضعفها وتسلط أعدائها - لَهُوَ تمزقها وتفرقها واختلافها؛ ولهذا يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦] والمراد بالريح هنا: القوة، ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] بعد أن ذكر مواجهة أهل الإيمان لأعدائهم من أهل الشرك وعبدة الأوثان، أرشدهم إلىٰ أسباب عزهم ودعائم بقائهم وأسباب نصرهم، فقال: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فهذه جملة من أسباب النصر، ومن أسباب التمكين في هذه الآيات، ومن أعظمها قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ والتنازع والاختلاف مذموم في دين الإسلام بين أهله أصحاب العقيدة الواحدة والمنهج الواحد الذين يسيرون علىٰ دين الله ﷻ قولًا وعملًا، التنازع والتفرق والاختلاف سبب للضعف، لو كان في باب الأسرة، فالاختلاف بين المرأة وزوجها، أو بين الابن وأبيه، أو بين الأخ وأخيه - يسبِّب خللًا وضررًا كبيرًا، بل الاختلاف بين الجار وجاره وبين الشريك وشريكه، بل الاختلاف بين المصلي وأخيه المصلي في المسجد الواحد - يسبب ضررًا كبيرًا،

فكيف إذا اختلفت الأمة بكاملها وصارت فرقًا وشيعًا وأحزابًا، كل فريق يتجه اتجاهًا، وكل حزب يعتقد اعتقادًا؟ لا شك أن هذا من أعظم أسباب ضعف الأمة وتسلط أعدائها، ولهذا حذَّر الله ﷻ من ذلك، وجاءت الأدلة في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ في ذم التفرق والاختلاف، بل والسعي في القضاء علىٰ أسبابه التي توصِّل إليه، قال الله لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩] أنت يا محمد، أنت لا تدعو إلىٰ التفرق، ولا تجعلُ الناس شيعًا وأحزابًا وأممًا، أنت تدعو إلىٰ جمع الكلمة، أنت تدعو إلىٰ وحدة الصف، أنت تدعو إلىٰ الاعتصام بالحق، فلا تبالِ بهؤلاء، ولا تلتفتْ إليهم، ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩] فحذَّره ربه، وبيَّن له أن هذا الدين العظيم الذي جاء به يدعو إلىٰ جمع الكلمة علىٰ التوحيد، وإلىٰ جمع الكلمة علىٰ الحق، وإلىٰ جمع الكلمة علىٰ الصراط المستقيم، ولهذا فإن نبينا ﷺ مِن أول دعوته، من أول ما بدأ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جعل هذا الأمر العظيم في رأس قائمة الدعوة، ألا وهو الدعوة إلىٰ الترابط الإيماني، والتآخي الإسلامي، التي هي أعظم الروابط، وأقوىٰ الصلات، فإنه وإن اجتمع الناس لأجل الدنيا، أو لأجل مصالحها ومطامعها، أو لأجل بعض القوانين والآراء، فإنه لا شك أنهم سيختلفون، اليوم أو غدًا أو بعد غد، ولكنهم لو اجتمعوا علىٰ الحق المبين، والهدي القويم، من كتاب الله الكريم، وسنة نبيه ﷺ - فهذا الذي ينفعهم في الدنيا والآخرة، ولهذا كان نبينا ﷺ يسعىٰ إلىٰ ذلك من أول أمره، فإنه لا قِوام لأهل الإسلام إلا بذلك، ولا خلافة لأهل الإسلام إلا بذلك، ولا تمكين لأهل الإسلام إلا بذلك، ولا نصر لأهل الإسلام إلا بذلك.

لمَّا قدم النبي ﷺ المدينة النبوية، مهاجرًا من مكة المكرمة، ولم يكن معه إلا

العدد اليسير من المهاجرين السابقين، ومن المناصرين من أهل المدينة الذين فتحوا قلوبهم وبيوتهم وبلادهم، وكان في أول أمره عليه السلام، فأول ما وطئت قدماه المدينة النبوية سعىٰ لتأسيس أمرين عظيمين:

أولهما: بناء المسجد، فلم يلتفت يمنةً ويسرةً حتىٰ حدد المكان، وعزم علىٰ إقامة هذا المشروع العظيم، وهو بناء المسجد الذي تُربَّىٰ فيه الأمة، ويتخرج منه الأجيال الصالحون، وهكذا يصلح فيه المؤمنون في عقائدهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وسائر شئونهم الذي فيه يتعلمون، وفيه يتعبدون، وفيه يتحاكمون إلىٰ دين الله ﷻ عند اختلافهم، وبدأ بهذا الأمر، وبدأ بتأسيسه.

وأما الأمر الآخر: فإنه آخىٰ بين المهاجرين والأنصار، آخىٰ النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وإن كان الإسلام يجمعهم، والإيمان يحتويهم، ولكنه في هذا الوضع والأعداء من حوله يتربصون به الدوائر، يحتاج إلىٰ تقريب القلوب أعظم وأعظم وأشد، فآخىٰ بين المهاجرين والأنصار، حتىٰ صاروا كتلة واحدة، وأمة واحدة، يتنازل أحدهم لأخيه عن شطر ماله، بل ويطالبه بأن يطلِّق له إحدىٰ زوجاته؛ ليتزوجها، بذلٌ وعطاءٌ ينتج عن هذا الإخاء.

بل إن النبي ﷺ سعىٰ إلىٰ ما هو أوسع من ذلك؛ ليسلم من نيل الأعداء، وتربص المتربصين، فأقام المعاهدات حتىٰ مع اليهود الذين كانوا في المدينة، واتفق معهم علىٰ بنود ونقاط مهمة، يستفيد منها عند مواجهة الأعداء.

هكذا كان نبينا ﷺ، ولهذا يقول الله ﷻ وهو يدعو عباده إلىٰ أن يجمعوا أمرهم علىٰ دينهم، وأن يعتصموا بحبل ربهم ﷻ، ويبيِّن لأصحاب محمد ﷺ هذه النعمة التي أجراها علىٰ يدي نبيه ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ

﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣]. كانت الأنصار قبل هجرة النبي ﷺ تنشب في أوساطهم الحروب الطاحنة، التي هي نتيجة التحريش من قبائل اليهود، فتحصل الثارات، وتُسفَك الدماء، وتستمر الحروب عشرات السنين، فيُقتل الرجال والأبطال والسراة وسادات القوم، فكانت فيما بينهم حروب طاحنة، فلما جاء النبي ﷺ، جمع الله قلوبهم علىٰ الحق، واتحدت صفوفهم، وذهبت تلك العادات السيئة، فذكرهم الله بهذه النعمة، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ونَعَمْ والله، أن التفرق والاختلاف يؤدي إلىٰ الضرر، وربما يقود أصحابه إلىٰ الكفر، وإلىٰ البدع، وإلىٰ البلايا والرزايا، وربما يقودهم بعد ذلك إلىٰ النار، قال الله ﷻ: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، إلىٰ أن قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، حذرهم ﷺ أن يسلكوا سبيل أهل الكتاب، وسبيل المتقدمين من الأمم الماضية الذين تفرقوا وتمزقوا، فذهبت دولُهم، وضعفت قوتهم، وتسلط عليهم أعداؤهم، هكذا حذَّر الله ﷻ أصحاب محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

يا أيها الناس، لما قام النبي ﷺ بهذا الأمر العظيم لم يكن إلا سنوات معدودة، وإذا بأعداء الله ﷻ ترتعد فرائصهم، وترتجف قلوبهم من قوة أهل الإيمان، كم عسىٰ أن يكون أهل المدينة في ذلك الزمن؟ أعداد يسيرة، خرجوا في السنة الثانية لملاقاة المشركين في غزوة بدر، ولم يكن عدد المقاتلين إلا نحو الثلاثمائة يزيدون قليلًا، لكنهم أمة واحدة علىٰ قلب رجل واحد، ينهجون منهجًا واحدًا، ويقصدون

هدفًا واحدًا، ويطيعون رسولًا واحدًا، ويعملون بكتاب واحد، وهو كتاب الله ﷻ، ويطيعون رسوله ﷺ، فماذا كانت النتيجة وقد لاقوا المئات من المشركين بعدتهم وعتادهم وخيولهم وسلاحهم، يزيدون علىٰ الألف أو قريبًا من ذلك، كانت النتيجة أن هزم الله ﷻ الشرك وأهله، ونصر المؤمنين الموحدين، فانظروا إلىٰ اجتماع الكلمة، ووحدة الصف، كيف يجعل الله ﷻ فيه خيرًا كثيرًا.

ولهذا- معاشر المؤمنين- كان نبينا ﷺ كلما رأىٰ أمرًا يلوح من ورائه رايات الخلاف، ويؤدي إلىٰ الشقاق والفراق، يسعىٰ إلىٰ وأده والقضاء عليه في أول أمره، يسعىٰ إلىٰ القضاء عليه ووأده في مهده ﷺ، ولهذا جاء في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج في غزوة، فاختلف غلام من الأنصار أو شاب من الأنصار مع آخر من المهاجرين، فكسع المهاجري الأنصاري، أي: ضربه في ظهره، فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فثار الناس إلىٰ السلاح، وأراد كل واحد أن يقف مناصرًا لصاحبه، قال جابر: فكاد الحيان أن يقتتلا. فانظر إلىٰ بداية الشر، وإلىٰ أول الفرقة، مجرد كلمة قالها هذا الشاب مستنصرًا كاد أن يؤدي إلىٰ فتنة عريضة، ويؤدي إلىٰ قتال وسفك دماء، وإلىٰ فرقة يصعب جمعها بعد ذلك، فقام النبي ﷺ، وصعد المنبر، وجعل يهدِّئ الناس، ويصمِّتهم، ويقول لهم: «**أبدعوىٰ الجاهلية وأنا بين أظهركم؟**»[(١)]، هذه العصبيات ليست من الإسلام في شيء، هذه النعرات ليست من الإسلام في سِرْدٍ ولا وِرْدٍ، إنها من أعمال أهل الجاهلية، أهل الإسلام يجمعهم دين الله، أكرمهم عند الله أتقاهم له ﷻ، فهو القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤). وانظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٤٧).

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] فلهذا قال: «**أبدعوىٰ الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ دعوها؛ فإنها منتنة**»، العصبية التي تؤدي إلىٰ الفرقة والخلاف، فكيف إذا كانت أيضًا حزبية تؤدي إلىٰ العداوة والشحناء والبغضاء؟ بل كيف إذا كانت العمالة لأعداء الإسلام؟ والنفاق هو الذي يحمل صاحبه علىٰ الدعوة إلىٰ الفرقة وتمزيق الصف، وإلىٰ زرع الخلل والفشل في أوساط الأمة، لا شك أن الضرر أعظم، فسكت الصحابة، وهدأت نفوسهم، وتركوا ما كان بينهم بعد أن سمعوا كلام النبي ﷺ.

بهذه الثُّلَّة المباركة التي اجتمعت علىٰ كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، علىٰ عقيدة واحدة، وسير واحد، وطاعة واحدة لله ﷻ ولرسوله، فتح النبي ﷺ بهم الفتوح، وواجه بهم الأعداء، وبيَّض الله ﷻ وجوههم في تلك المواقف العصيبة، وثبَّت أقدامهم، ونصرهم علىٰ أعدائهم، فصنعوا تلك البطولات التي ما زال أهل الإسلام يقرءونها متعجبين، كيف صنع أولئك الرجال؟ فلم يأتِ بعدهم من يصنع كأعمالهم، أو كصنعهم، إنما تشبهًا، يتعجبون وهم يقرءون صفحات التاريخ والسيرة النبوية، ويقرءون في تلك المشاهد العظيمة التي سطَّرها المهاجرون والأنصار في نصرة دين الله ﷻ، أحدهم يقول: يا رسول الله، لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه. ليس عندهم تردد، ولا تشكك، فالحق يجمعهم، والحق هدفهم، والحق غايتهم، والحق مقصودهم، فهم علىٰ قلب رجل واحد، قد يحصل الخلاف بين الأخ وأخيه، وبين الجار وجاره، وبين الزميل وزميله، لكنهم في آخر المطاف يجتمعون إلىٰ دين الله ﷻ، فيأتون إلىٰ رسول الله ﷺ، كلهم مذعنون، مستسلمون، مُنقادَون، كل يرىٰ أنه هو المخطئ علىٰ أخيه، كما في المشاهد الكثيرة، عن أبي بكر وعمر وعن خالد وغيره من الصحابة، وعن أهل قباء الذين

حصل بينهم خلاف، وعن بني عمرو بن عوف، وعن غيرهم، فاجتمعت الكلمة، وتوحَّد الصف، ونصر الله أهل الإسلام في مواطن عصيبة، وفي أزمنة اختلفت فيها القوىٰ، وكان الفرق شاسعًا والبون عظيمًا بين ما في أيدي أهل الإسلام وبين ما في أيدي أعدائهم؛ لتعلم عبد الله أن وحدة الصف وجمع الكلمة من أعظم أسباب نصر الأمة، ولقد علم سحرة فرعون لمَّا دعاهم لمناظرة موسىٰ عليه السلام، علموا أنهم إن اجتمعوا فقد يستطيعون المواجهة، قال الله عنهم أنهم قالوا: ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾ [طه: ٦٤]، كان المسلمون علىٰ هذا المبدأ العظيم في زمن النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وهكذا في زمن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ففُتحت البلدان، وانتشر الإسلام، وبلغ الإسلام مشارق الأرض ومغاربها، وكان الأعداء ترتعد فرائصهم علىٰ بعد المسافات، كما قال النبي عليه السلام: «**ونصرت بالرعب مسيرة شهر**»(١)، واختلط العرب بالعجم حين فُتحت بلاد فارس، وبلاد العراق، وبلاد إفريقيا، بل وبلاد أوربَّا، فدخل الدخيل، ونبغ أهل الشر والفساد، فأشعلوا الأحقاد، وزرعوا أسباب الفرقة، فحصل التفرُّق في هذه الأمة، وبدأ التمزق في أوصالها، بل سعَوْا إلىٰ القضاء علىٰ أصلها وأساسها، وكان ذلك من زمن عمر بدأ حين قُتل رضي الله تعالىٰ عنه وأرضاه، ثم لحقه بعد ذلك ما حصل من تلك الفرقة المارقة الخوارج، ومن انضم إليهم من أهل النفاق والشقاق، فقاموا علىٰ ذي النورين صهر رسول الله ﷺ، المبشر بالجنة، خليفة أهل الإسلام، فقاموا إليه وأثاروا حوله الفتن، حتىٰ وصلوا إليه فقتلوه، وبدأ الضعف في هذه الأمة، ودخل الدخيل، وزرع الأعداء الأفكار المنحرفة، والأقوال الفاسدة،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر رضي الله عنه.

والعقائد الكاسدة، فتقبلها المسلمون، وصاروا شذرَ مذرَ، فضعفت قوتهم، وذهب ريحهم، وتسلط أعداؤهم، وصاروا إلىٰ ما صاروا إليه، وكان أهل الإسلام يتناقصون شيئًا فشيئًا، تسلط الكفار علىٰ بلاد الأندلس، وأعادوها بلادًا نصرانيَّة، فغُلِّقَت مساجدها، وانتُهكَت حرماتها، وقُتلَ رجالها، وحصل لهم ما حصل من الأفاعيل، وهكذا تسلَّط الفرس علىٰ بعض البلدان، وبدأ الخلل يدب في خلافة أهل الإسلام، كل هذا بسبب التشعبات والتفرقات والتمزقات التي سلكها المسلمون، وكان ذلك تقبُّلًا من أعداء الإسلام، وكلما مر زمن وأعداؤنا يزرعون في أوساطنا ما يزيدنا فرقة ويعظم الشقاق في أوساطنا، لا يمر زمن إلا ويأتون بجديد، ويزرعون شرًّا مستطيرًا في أوساط الأمة، لم يكتفوا بتفريقها، ولا بإضعافها في عقر دارها، بل سعوا إلىٰ القضاء عليها، فهاجموا بلاد أهل الإسلام، ودخلوها عنوة، وقسَّموها دولًا ومقاطعات، وكل دولة من دول الكفر أخذت كذا كذا من بلدان أهل الإسلام، فأفسدوا فيها، وغيروا وبدلوا، غيَّروا مناهج أهلها ومدارسهم، حتىٰ بعض لغاتهم، فحاولوا إبعادهم عن كتاب الله، وعن سنة رسول الله ﷺ، وما أن خرجوا منها أذلاء صاغرين، إلا وجعلوا من يخلفهم؛ لتمزيق الأمة، وتشتيت شملها، وإضعاف قوتها، فجعلوها دولًا كل دولة تعادي جارتها، وتنصب قوتها وأسلحتها علىٰ حدودها بعد أن كانت خلافة أهل الإسلام من المشرق إلىٰ المغرب، كان هارون الرشيد رحمه الله ينظر إلىٰ السحابة، وهي في السماء، فيقول لها: امطري حيث شئت أن تمطري، فسيأتيني خراجك. ومعنىٰ ذلك: إن أمطرت علىٰ بلاد أهل الإسلام، فإن الخير سيعود إلىٰ أهل الإسلام، وهو خليفتهم، وإن أمطرت علىٰ بلاد الكفار، فكثير منهم يدفعون الجزية والأموال للمهادنة؛ خوفًا من أهل الإسلام، فسيأتيني خراجك.

ولمَّا خرج أعداء الله ﷻ، زرعوا الفرقة في أوساط هذه الأمة، وصار المسلمون دولًا يعادي بعضهم بعضًا متمزقين متفرقين، جعلوا في هذه الدولة من يوالي الدولة الفلانية من الدول الكفرية، وفي هذه الدولة من يوالي الدولة الأخرىٰ، ونشب الحرب والخلاف بالقول، وأحيانًا بالفعل، فأُهدرَت القدرات، وضُيعَت الأموال، وتسببوا في ضياع كثير من الثروات، وحصلت الحروب الطاحنة بين الحين والآخر، فضعفت هذه الأمة أشد من ضعفها في وجود محتلها، أشد من ضعفها، ولم يكتفوا بذلك، لم يكتفوا بهذا؛ لأنهم لا يريدون لهذه الأمة أن ترتفع لها راية، ولا أن يقوم لها قائم، بل زرعوا في أوساطها الأحزاب السياسية والفرق المختلفة تتناحر علىٰ الولايات، وعلىٰ المناصب والكراسي، فأشعلوا فيها الفرقة، ودب هذا الشر إلىٰ كل بلدة، ربما تجد في البيت الواحد أربعة أحزاب أو خمسة أحزاب أو ثلاثة أحزاب يتناحرون، وكلٌّ يحفر لأخيه، فمن أين تأتي القوة؟ ومن أين يأتي النصر لأهل الإسلام وهم علىٰ هذه الشاكلة من التفرُّق والتمزُّق؟ وفرضوا علىٰ الشعوب عن طريق حكامها القوانين الوضعية والمسائل المخالفة والتشبه بأعداء الإسلام، وبالمقابل زرعوا من الرعية من يقوم مناهضًا لهؤلاء الحكام؛ ليزداد الخلاف، ويعظم الشر، ويصير المسلمون كل واحد مشغول بنفسه، كل واحد مشغول بنفسه، فزرعوا في هذه الأزمان المتأخرة، وصنعوا ما يُسمىٰ بالربيع العربي؛ ليقضي علىٰ آخر بقية لقوة المسلمين، وهو ما يُسمَّىٰ بالجيوش العربية الإسلامية، فحصل الشر المستطير، سُفكَت دماء مئات الآلاف، حُطِّمَ عتاد أهل الإسلام، لم يحتج عدونا إلىٰ أن يأتي من الخارج، فإنه قد وجد في أوساط هذه الأمة من يقوم بهذه المهمة، فتفرق الناس، وضعف المسلمون، وصار أعداء الله ﷻ يتحكمون فينا عن بعد، لا يحتاجون إلىٰ قوة، ولا عتاد، ولا جيوش، وإنما

عن بعد، وهذه سياستهم التي أوصلت هذه الأمة إلىٰ ما وصلت إليه.

لعلكم تسمعون وتعايشون، قبل فترة من الزمن كثير من الناس يتحدث عن بيت المقدس وعن تحرير فلسطين، لا تكاد تسمع نشرة أخبار في دولة من دول أهل الإسلام، إلا وكان في أول أنبائها القضية الفلسطينية، وتحرير بيت المقدس، وأما اليوم فالناس قد نسوا هذه القضية، وصاروا يتحدثون عن القضايا التي وصلت إلىٰ دورهم، والتي غيَّرت بلدانهم، والتي حطمت قوتهم، فكل واحد مشغول في بلده، وفي دولته، بل وفي قريته، بل وفي مدينته، فزرعوا الشر، وأضرموا نيران الفتن ببلاد الشام والعراق واليمن وليبيا ومصر، ويسعون في دول الخليج بين الحين والآخر؛ ليزداد الشر، وتعظم الفرقة.

ومن أعظم ما صنعه أعداء الإسلام لتمزيق هذه الأمة- لَهُو زرعهم للروافض وتشجيعهم لهم، ودعمهم بالعدة والعتاد والسلاح والمال، والرأي، والفكر، وغير ذلك، فهيأوا لهم، حتىٰ أخذوا كثيرًا من بلاد أهل الإسلام، وها نحن نعاين ونشاهد أنه كلما مر زمن، كلما زاد الشر، وصدق النبي ﷺ، إذ يقول: «**لا يأتي زمان، إلا والذي بعده شرٌّ منه**»(١)، رواه البخاري من حديث أنس بن مالك .رضي الله عنه

فما هو المخرج يا عباد الله؟ ما هو المخرج من هذه الفتن التي تحل بنا، والتي تسببت في تسلط أعدائنا؟

المخرج من ذلك: ما ذكره الله في الآية المتقدمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦]، الثبات الثبات

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٦٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

عند لقاء الأعداء، الإقبال علىٰ الطاعة والدعاء، المحافظة علىٰ طاعة الله ورسوله قولًا وفعلًا واعتقادًا في كل شئون الحياة، الاجتماع علىٰ الحق، والحذر من الفرقة، الاجتماع علىٰ الحق والهدىٰ، والبعد عن أسباب الفرقة والهوىٰ، والصبر علىٰ ذلك والمصابرة، بذلك يحصل النصر، وبذلك يمكِّن الله لأهل الإيمان.

يا أيها الناس، إن هذا العدو الصائل الذي يصول ويجول في البلاد اليمنية، ويعيث فيها فسادًا، ويغيِّر فيها العقائد، ويفسد فيها الأخلاق، ويدمِّر فيها الحياة كلها، هذا العدو لا ينتصر إلا في مواطن الخلاف، ولا يتقدَّم إلا عند وجود النزاع، وإلا فإنه أضعف مما يُتصوَّر، ولكن خلافاتنا علىٰ الدنيا ومطامعها، وخلافاتنا علىٰ المال، ووقوعنا في معصية الله ﷻ - هو الذي سهل لهذا العدو أن يأخذ البلاد بلادًا بلادًا، ومدينة مدينة، وقرية قرية، وليس لنا مخرج إلا أن نعود إلىٰ الله، وأن نعلم أن الحوثيَّ عدوٌّ للجميع، لا يفرق بين زيد وعبيد، ولا بين ذلك الذي في الحزب الفلاني، ولا بين ذلك الذي في الحزب العلاني، فلا يطمع طامع أن ينال خيرًا من الرافضة، مهما جاملهم، مهما داهنهم، مهما أعطاهم، مهما مكَّن لهم، فإنهم أول ما ينتقمون منه، ينتقمون ممن مد يده إليهم، وممن أعانهم وساعدهم، فهم أمة لا تعرف العهود، ولا المواثيق، هم أمة عُرفت بالغدر علىٰ مدار التاريخ، هم أمة ليس لديهم قيم، ولا أخلاق، ولا عقيدة تقودهم إلىٰ الحق والهدىٰ، يعيشون علىٰ المكر والخيانة، والخديعة، يعيشون علىٰ بغض الإسلام وأهله، وإن تظاهروا به.

يا أيها الناس، كم من شيوخ القبائل الذين والوا الرافضة من أهل صعدة وحاشد وعمران وصنعاء، بعضهم والاهم، وأعانهم، وأدخلهم إلىٰ بلاده، وبيَّن لهم نقاط الضعف، وإذا به في آخر المطاف لا يُلقىٰ له بال، هذا إن سلم، ولعلكم سمعتم بأكثر من شيخ يُسحل ويُسحب برجله في شوارع المدن، وكان من

مناصريهم، وممن يؤويهم، وممن يقف إلىٰ صفهم، مهما صنع المنافقون الذين يبيعون دينهم لأجل الدنيا، المندسُّون، مهما صنعوا للرافضة، فلن يصنعوا لهم أكثر أو مثل ما صنع لهم عفَّاش، لن يصنعوا لهم ولن يقدموا لهم مثل ما قدم لهم عفَّاش في أول أمره، فقد سلَّم لهم البلاد، وأعطاهم العتاد، فهل عرفوا له هذه النعمة؟ وهل شكروا له هذا العمل؟ لا والله، بل إنهم قتلوه في أول وصولهم إلىٰ مدينة صنعاء، لم يدخلوه إلىٰ محكمة من المحاكم ليقرروه بما يرونه من ذنوبه أو مخالفاته، وإنما قتلوه وهم يفتخرون بأنهم انتقموا لسيدهم، حتىٰ قال بعضهم: تريد أن ينسوا دم الحسين من عشر سنين بن بدر الدين، ولم ينسوا دم الحسين بن علي من ألف وأربعمائة سنة، وهم يقولون: واحسيناه، واحسيناه، واحسيناه.

إذًا فيا أيها المسلمون، يجب علينا أن نكون أمة واحدة، فإن أعداء الإسلام يخططون ليلًا ونهارًا؛ لاستكمال البلاد اليمنية، وتسليمها للدولة الرافضية، أتدري ما معنىٰ هذا؟ تسليم البلاد اليمنية للدولة الرافضية؟ معناها: لا إسلام، لا إيمان، لا قرآن، لا سنة، لا مساجد، لا عبادة، لا طاعة، وإنما يقرِّرون علىٰ الأمة عقائدهم الفاسدة، وقوانينهم الكاسدة، التي يستوردونها من طهران، وهكذا يسفكون دماء من شاءوا، وينتهكون أعراض من شاءوا، ويسلبون أموال من شاءوا، ولعلكم تشاهدون أو تسمعون بين الحين والآخر ما يصنعون بأهل البلاد التي قد وصلوا إليها من الإهانة والإذلال والاحتقار والانتهاك لأعراضهم، والأخذ لأموالهم، والإفساد في مساجدهم، هذه المساجد التي علىٰ منابرها يُقال: قال الله وقال رسوله ﷺ. إذا تسيطر الرافضة، واحتلوا البلاد، فإنه من علىٰ هذه المنابر سيُسَبُّ أصحاب رسول الله ﷺ، ويُطعَن في عرض نبينا ﷺ، في هذه المساجد ستقام الزوامل والحسينيات، ويؤكل فيها القات، ويُجعل فيها المنكرات، في هذه

المساجد إن سلمت من التفجير والتدمير والتخريب وإبعاد الناس عنها، يُجلب إليها كل شر ورذيلة، ويُبعد عنها كل خير وفضيلة، يجعلون علىٰ الناس أراذلَهم، ويجعلون تحت الأقدام سادات القوم وأشرافهم، ينظرون في البلدة بعد احتلالها، فينظرون إلىٰ أردأ أهل هذه البلدة أخلاقًا ومعاملةً وديناً، ويجعلونه مشرفًا علىٰ القوم، أين مشايخ القبائل؟ أين أهل العلم؟ أين أئمة المساجد؟ أين أهل الحَلِّ والعقد؟ هؤلاء يُرمىٰ بهم إن سلموا من القتل والتشريد والإهانة، ويأتون ربما بمشرف يجتمع فيه الشرُّ كله، يقول لي أخ من بيت الفقيه: في مسجد من مساجد أهل السنة، كان فيه دعوة طيبة مباركة، فلما تسلط الرافضة، قال: أول جمعة أرسلوا لنا خطيبًا، أتدري من هذا الخطيب؟ إنه من أهل بلدتنا، بل ليس بعيدًا عن المسجد، لكنه لم يدخل المسجد يومًا من الدهر، رجل لا تتصور صفة من الصفات الذميمة، وخلقًا من الأخلاق الرذيلة، إلا وهي موجودة في هذا الرجل، وإذا به يدخل المسجد بعمامته وأوراقه، ماذا تريد يا فلان؟ قال: أنا مُكلَّف بخطبة الجمعة، أنا الخطيب. قالوا له: هل عندك شيء آخر؟ ممكن أن تُغيِّر؟ ممكن أن تُحوَّل؟ كيف ستخطب؟ الناس يعرفون أن هذا الرجل لا يصلح أن يكون سائقًا لحمار فضلًا عن أن يرتقي المنبر، ويخطب الناس، قال: لا، أنا عندي خطبة علىٰ العدوان، لا بد أن أخطبها. وقام يخطب في الناس، وهكذا يصنعون، ربما طفل لا يجاوز الخامسة عشرة يُرسل من صعدة، فيقود أمة من الأمم، قال لي بعض الإخوة في بلاد إب في بعض المناطق، قال: كان عندنا في بلادنا مشايخ القبائل لهم هيبتهم، ولهم مكانتهم، الواحد منهم يعدل دولة، يحلُّ القضايا، ويزيل ما يضرُّ الناس، ويفعل الأمور الكثيرة، له هيبته، وهكذا الآخر، وهكذا الآخر، وهكذا الآخر، قال: فجاءوا لنا بمشرف صغير من أهل صعدة، فجعل يتحكم في تلك القرىٰ والقبائل

كلِّها، فدعا أولئك المشايخ، وجعل يهينهم، ويسبهم، ويلقي عليهم الأوامر، فغضب بعضهم فسبه، قال: فغضب ذلك المشرف، وأخذ سلاحه، وأراد أن يقتل هذا الشيخ، حتىٰ تدخل الناس، وأوقفوه، وفرَّ ذلك الشيخ إلىٰ بيته، وذهب المشرف إلىٰ أصحابه، وجاء بعدد من المسلَّحين، لا بد من قتل هذا الذي يرفع صوته، ويتكلم، قال: حتىٰ تدخل كثير من الناس، وبعد جهد جهيد، رضي ذلك المشرف الصغير أن يتنازل عن قتل هذا الشيخ الكبير، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأنتم تسمعون وتشاهدون، وهم يسفكون الدماء في القرىٰ والمدن، ربما يمرُّون علىٰ التاجر؛ ليسلبوا ماله، فإن أبىٰ أن يعطيهم قتلوه، وانصرفوا، لا يحاكمهم أحد، ولا يخالفهم أحد، ولا ينتقدهم أحد، الكل يخضع؛ لأن من تكلم ورفع رأسه يُقتل، قال لي بعض الإخوة من بلاد البيضاء: كنت في مسجد صغير لا يُنظر لهذا المسجد، ولا يُلتفت إليه، أصلي بالناس أنا وينوبني آخر، فتارة أصلي أنا، وتارة يصلي صاحبي، قال: وفي يوم من الأيام في صلاة المغرب كان يصلي صاحبي وأنا موجود، قال: وإذا بحوثي يدخل المسجد؛ ليصلي معنا، فصلىٰ الإمام، وأسرَّ بالبسملة كما هو المعتاد، ولما انتهىٰ من الصلاة قال له: تعالَ. للإمام، لماذا لا تجهر ببسم الله الرحمن الرحيم؟ فحاول الإمام أن يبين له أن هذه هي السنة، وأن الدليل عن النبي ﷺ كذلك، فقال له: لا، نحن من ديننا الجهر بالبسملة، لو سمعتك مرة ثانية تسرُّ بالبسملة لأُقرِّحَنَّ رأسك. مباشرة، ليس عندهم مناقشة، إذا لم تجهر بالبسملة قرَّحتُ رأسك. فترك المسجد وهرب، وسافر إلىٰ عدن.

فيا عباد الله، إن حصل التخاذل منا والتفرق في هذه المناطق التي سلمها الله، وأهان الله الحوثي فيها، بعد أنهار من الدماء، وتضحيات عظيمة من أهلها، إن تخاذل أهلها وتفرقوا وتمزقوا، فربما يتسلط الحوثي مرة أخرىٰ، فإن الأعداء له

يمكرون، ولمخططاته يسهلون، فهم يحاورون في الحُدَيْدة، ويذبحون المسلمين في مأرب، في الحُدَيْدة صلح ليتسنىٰ للرافضة القتال هناك، ولهذا فإنهم يوقفون الجبهات كلها، ويطلقون للرافضة جبهة واحدة؛ ليسهل له القضاء عليها، فيجمع جنوده وعتاده وقوته فيضربها، فإذا انتهىٰ من تلك الجبهة، تحوَّل إلىٰ أخرىٰ، وهذا كله بسبب تفرقنا وتمزقنا وعدم اجتماع كلمتنا، فهذا من الحزب الفلاني، وهذا من الحزب العلاني، وكل حزب يريد أن يقضي ثأره من صاحبه عن طريق الحوثيين، وما درىٰ هذا المسكين أن الدور يأتيه، وأن الدائرة تدور عليه، وأن حاله كما قيل: أُكلت يوم أُكل الثور الأبيض. فينبغي لنا عباد الله أن نعد العدة، وألا نستهين بهذه الفتنة، فإنها فتنة يهودية نصرانية، ليست حوثية يمنية فحسب، بل فتنة يهودية نصرانية، ترعاها دول الكفر، ويسعون في تمكين الرافضة في البلاد اليمنية؛ لحرب أهل الإسلام؛ لأنهم يعلمون ما في هذا البلد من الخير، ما في هذا البلد من العلم، ما في هذا البلد من السنة، ما في هذا البلد من المساجد، ما في هذا البلد من العفة، لا تجد بلادًا في العالم كالبلاد اليمنية، في عفة نسائهم واحتجابهن وتطبيق الشريعة الإسلامية، لا تجد بلدًا من البلاد الإسلامية فيها من التماسك القبلي والأعراف الطيبة والنخوة وحب الإسلام والفطرة السليمة، كما تجد في البلاد اليمنية؛ فلهذا يتآمرون علىٰ تمزيقها، وتفكيكها، وإهانتها، وتشريد أهلها، وجعل الوصاية للرافضة، فإنهم يقومون بالواجب وزيادة، وإلا فلينظر أهل الإسلام ما صنعت الرافضة بالعراق، وما صنعت الرافضة بإيران، وما صنعت الرافضة بلبنان.

في مدينة طهران، التي يسكنها مئات الآلاف، بل الملايين، ليس فيها مسجد واحد لأهل السنة والجماعة، مع أن شوارعها تمتلئ بالكنائس والمعابد، مليئة بالكنائس والمعابد، ويضحكون علىٰ أهل الإسلام أنهم يبغضون النصارىٰ

واليهود، وتتعجب أن يصدق اليمنيون شعار الرافضة: الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، النصر للإسلام. نحن لم نر أمريكيًّا مات، ولا يهوديًّا قُتل علىٰ يدي الرافضة، لم نر شيئًا من ذلك، فإن أهل اليمن هم الذين يُقتلَون، ومساجدهم هي التي تُفجَّر، ودماؤهم هي التي تُسفك، وأموالهم هي التي تؤخذ، تصور حتىٰ عند تفجير المساجد: الله أكبر، الموت لأمريكا. ثم يفجرون بيوت الله ﷻ، من يصدق هؤلاء الأرجاس الأنجاس في شعاراتهم وفي دعاياتهم وفي خطاباتهم، وهم قد أهانوا كتاب الله ﷻ ووطئوه بأقدامهم في أكثر من موطن؟ كيف يُصدَّقون وهم يقولون: لا نؤمن بالسنة، ليس هناك سنة؟ كيف يُصدَّقون وهم يقولون: بأن الخليفة بعد رسول الله هو علي بن أبي طالب، ليس أبا بكر ولا عمر ولا عثمان؟ كيف يُصدَّقون وهم يمجدون من قتل عمر بن الخطاب؟ كيف يُصدَّقون وهم يقولون: زوجة النبي ﷺ زانية؟ كيف يُصدَّقون في شعاراتهم ونحن نرىٰ أعداء الله ﷻ يخدمونهم ليلًا ونهارًا، ويمدونهم بالمال والسلاح والعتاد والمساعدات الكثيرة الحسيَّة والمعنويَّة كلما ضعف الرافضة في بلد أسرعت إليه الواسطات، وجاء إليه المندوبون من مشارق الأرض ومغاربها، وكلما تقدم الرافضة في بلد فسحقوا أهلها واحتلوها، فإنهم يتعامَوْن عن ذلك، ولا يسألون عنه.

في هذه الأيام اجتماعاتهم في مدينة عدن، دول أوربا بكاملها ترسل مندوبين؛ للمناقشة مع أهل عدن، لكنهم لا يناقشون من أجل مأرب ولا العبدية ولا قبائل مراد الذين سُحقوا سحقًا، والذين حصل لهم ما لم يحصل لأهل العراق من التتار، وهكذا الحرب هناك مستعرة، والحوثي متقدم، وإذا بهم يأتون إلىٰ المخا لإرجاع المقاتلين إلىٰ الوراء مكرًا وزورًا، ومتىٰ كان الرافضة لهم عهود ومواثيق؟ إنما هو المكر والخديعة، فيجب علىٰ أهل الإسلام أن يتقيظوا، وأن يفيقوا من غفلتهم، لا

نكن من أولئك الذين يعبدون الدينار والدرهم، إذا حدثته عن الرافضة قال: الصرف في صنعاء مائة وستين، والبترول قيمته كذا وكذا، أَوَما تعلم يا أيها المسكين أن هذا من ضمن سلسلة المؤامرة أن يجعلوا هذه المناطق المحررة تشتعل بأهلها اقتصاديًّا، وفي الأمن، وفي كل شيء، ففي يوم البارحة يُقبض علىٰ كمية كبيرة داخلة من نقطة العلم بتلك اللواصق المتفجرة التي تُجعل في السيارات، ما هذه المحبة لأهل عدن؟ لزرع القلاقل في أوساط أهلها، ما هذا الاعتناء بهذه المناطق التي سلمها الله ﷻ من دنس الرافضة؟ فلم نسمع لاصقًا في صنعاء، ولا في ذمار، ولا في رداع، ولا في صعدة، ولم نسمع عبوة ناسفة، ولم نسمع سيارة مفخخة؛ لتعلموا أن هذا من ضمن المؤامرة: إشعال الخلاف والفتن، رفع الأسعار، الحرب الاقتصادية، زرع الخلافات، وكل بلد يقترب الرافضة منها يزرعون ذلك كله في أوساطها، فضلًا عن الجواسيس والخلايا النائمة والمندسين الذين يبيعون دينهم بعرَضٍ من الدنيا، ولو أن الأمة اجتمعت كلمتها، ووحدت صفها، والله لا يستطيع الرافضة أن يصنعوا شيئًا، ارجعوا قليلًا إلىٰ الوراء، عشر سنوات، أو أقل من ذلك، لمَّا حاصر الرافضة الحوثيون طلاب العلم في دار الحديث بدمَّاج، في مكان محصور، ليس لهم طريق يستمدُّون منها، ولا يُخرجون جرحاهم، ولا يطلبون الغذاء والدواء، في كيلو ونصف، أو أكثر قليلًا، والقذائف تتهاوىٰ عليهم من كل جانب، يضربونهم بالسلاح المتوسط والثقيل إلىٰ بيوتهم، إلىٰ مساجدهم، إلىٰ متارسهم، ومكثوا علىٰ هذا الحال مائة يوم، مع أن طلاب العلم لم يكن عندهم من العتاد الذي هو موجود الآن في الجبهات والمعسكرات والألوية والجبال، لم يكن معهم إلا الشيء اليسير من الأسلحة الخفيفة، والذخائر المتوسطة، ولكنهم كانوا أمة واحدة، علىٰ قلب رجل واحد، يقولون: لا إله إلا الله،

محمد رسول الله. يعملون بدين الله ﷻ ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلًا، يعلمون أنهم في سبيل الله، إن قُتلوا، فهم شهداء، وإن عاشوا، فهم سعداء، يعلمون أن هذا عدو كافر مشرك، وأن الله لم يمكنه، فثبتوا ثبات الجبال الراسيات في مائة يوم لم يستطع الحوثيون أن يتقدموا خمسين مترًا، أو أقل من ذلك، حتىٰ جاءت الواسطات من هنا وهناك لإخراج أهل دماج، فخرجوا بأسلحتهم وهم رافعوا رؤوسهم، حتىٰ وصلوا إلىٰ صنعاء، والرافضة ينظرون إليهم بعين الحقد، والعداوة، والشزر.

فانظر يا عباد الله، أمة بكاملها، محافظات، مدن، ألوية، قبائل، جيوش، ومع ذلك يتفرقون ويتساقطون، ويبيع بعضهم بعضًا، ولو أنهم وقفوا، وكانوا أمة واحدة، فنبذوا الاختلافات، فليس بين أهل الإسلام اختلاف في قتال الرافضة، وإن وُجدَت الاختلافات بينهم، لكن في جهاد الرافضة لا ينبغي أن يكون هناك خلاف، فإنه جهاد مشروع لأعداء الدين والدنيا، فإذا اجتمعت الكلمة رجالًا ونساءً وكبارًا وصغارًا، والله لم يبقَ الرافضة في البلاد اليمنية إلا يسيرًا، ولكنْ تفرُّقنا وتمزُّقنا، وذنوبنا، ومطامعنا، فإن كثيرًا ممن يقاتل الرافضة إنما لأجل المطامع والدنيا، ولو أنهم صدَقوا الله لصدَقهم، ولو أنهم احتسبوا الأجر عند الله ﷻ، لَمَكَّنَ لهم، ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]؟ التوحيد، العبادة، البعد عن الشرك، الإيمان، العمل الصالح، هذه أسباب النصر، وهذه مادة العز في الدنيا والآخرة، فمن أعرض عن هذا كلِّه، أسلمه الله لأعدائه؛ بسبب ذنوبه، والتاريخ شاهد بذلك، واقرءوا ما سطَّر أهل العلم عن تاريخ هذه الأمة، وما حصل لبعضها من النكسات، وما حصل لها من الإخفاقات، إنما كان بسبب بعض المخالفات، أو بسبب بعض

المناكفات، أو بسبب بعض التفرق والاختلافات، والبعد عن طاعة رب الأرض والسموات، فندعو أنفسنا وإخواننا المسلمين في هذه المناطق المحررة أن يرجعوا إلىٰ الله، وأن يتوبوا إلىٰ الله من ذنوبهم، وأن يُقبِلوا علىٰ توحيد الله، وأن يعتصموا بالله، وألا يلتفتوا لا إلىٰ أمريكا، ولا إلىٰ مجلس الأمن، ولا إلىٰ فلان، ولا إلىٰ علان، للدفاع عن دمائهم وأعراضهم، ودينهم، وعقيدتهم، وأن يوحِّدوا صفَّهم، وأن يجمعوا أمرهم، وأن يعلموا أنه لا حياة لهم في وجود الرافضة، لا حياة لهم في وجود الرافضة، كيف ستعيش تحت وطأتهم؟ والله لو لم تكن من المقاتلين، ولو كنت من المتزلِّفين، أي حياة ستعيشها في ظل حكم هذه الفرقة المارقة التي بلغ بها العنصرية أنها تضحي بالمقاتلين إن لم يكن من تلك السلالة، تضحي بهم وترمي بهم في المحارق عند تبادل الأسرىٰ، يقال لهم: عندنا فلان وفلان وفلان، فيقولون: لا، هؤلاء ما نريدهم. انظر، يقاتل معهم ويُجرح ويُؤسر، لكنه ليس من القناديل، فلا يبالون به، يرمىٰ في الشعاب، تأكله الكلاب، هذه الفرقة ولاؤها لأولئك الأسياد في طهران، فليعلم أهل اليمن أنهم سيذوقون المرارة بقية الدهر إن خنعوا وخضعوا واستكانوا للرافضة وسلموا رقابهم لهم، كيف سيعيش الإنسان في هذه الحياة في ظل حكم هذه الفرقة المارقة، وهو مهدد بالإهانة والقتل في الليل أو النهار، مهدد أن يُنتَهك عرضه، أن تؤخذ زوجته، أو يؤخذ ابنته، أو يُهان، أو يُهدَم عليه بيته، ليس له من ينصره، ولا من يقف إلىٰ جانبه.

فلهذا عباد الله يجب علينا أن نتدارك أنفسنا، وأن نُقبِلَ علىٰ طاعة ربنا، وأن نعد العدة؛ للدفاع عن ديننا وأموالنا وأعراضنا ودمائنا وبلداننا، هذه بلاد طهَّرها الله، ونجاها الله ﷻ بعد تضحيات كبيرة، وأنتم تعلمون يا أهل هذه البلد ما حصل فيها وما حصل حولكم في هذه الجبال والمواقع؟ أفنرضىٰ أن تعود الكرَّة إلىٰ ما كانت

عليه قبل ذلك؟ لا والله، لَلْموتُ خير لنا من الحياة الذليلة تحت حكم الرافضة، وتحت حكم هؤلاء، الذين لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، فلهذا ينبغي لنا أن نتيقَّظ، وأن نصبر علىٰ شظف العيش، ارتفعت الأسعار، ليس كما لو ذهب دينك، ارتفع الصرف، هذا ليس كما لو سُفِك دمك، ارتفعت كذا وكذا، هذا ليس كما لو أُخذ مالك، وهُدِم بيتك، ومُنعت من العبادة، وتعطلت المساجد، انتشر الخنا والزور والشرك وعبادة القبور وتقديس الأشخاص وتعظيمهم ورفعهم فوق منزلتهم، فالدنيا تهون مقابل هذه الأمور كلها التي لا يجوز للمسلم أن يتنازل عنها، ولو ذهبت الدنيا بحذافيرها، لا يجوز له أن يتنازل عن عقيدته، ولا عن عرضه، ولا عن دمه، ولا عن ماله، ولو ذهبت الدنيا والملك وتسلم لك عقيدتك وتسلم لك عبادتك، أتظنون إذا وصل الحوثيون إلىٰ هذه البلاد أن نجتمع مثل هذا الاجتماع؟ وأن نعبد الله كما نريد؟ وأن نقول ما يقربنا إلىٰ الله؟ هذا لم يقل: بسم الله الرحمن الرحيم جهرة فيُقَرَّح رأسه، يَقْرَح رأسه من أجل هذا، فكيف إذا قال: أنتم مجرمون، أنتم زنادقة، أنتم رافضة، أنتم كفار؟ كيف سيكون حاله؟ إذا كان هذا في مسألة يَسَعُ فيها الأخذ والرد والنقاش؟ قبل أيام دخلوا في مدينة رداع، علىٰ صاحب محل، ورشة حديد، أو خشب، فطلبوا منه مالًا إما لبعض النقاط، أو لبعض الجبهات، فأبىٰ أن يعطيهم، وجعل يخاصمهم، ويقول: اذهبوا، ليس لكم عندي شيء. فتأخر ذلك الحوثي، وجعل يرمي كل من في هذه الورشة، فأرداهم بين قتيل وجريح، أرداهم بين قتيل وجريح، ثم خرج يتبختر، وركب دراجته، والناس في الشارع ينظرون، وذهب حتىٰ توارىٰ آخر الشارع، ثم أقبل الناس إلىٰ القتلىٰ والجرحىٰ، وهم يقولون: لا حول ولا قوة إلا بالله. هذا قتيل، وهذا جريح، لم يسعهم إلا أن يحملوا القتيل إلىٰ المقبرة، والجريح إلىٰ المستشفىٰ، هل نرضىٰ

بهذا يا عباد الله أن تكون حياتنا هكذا؟ وأهل اليمن من زمن الرسول ﷺ – أحرار، لا يرضون بالذل، ولا المهانة، فهم روَّاد الجهاد في سبيل الله ﷻ، وقادة الجيوش، وصلوا إلىٰ الأندلس، وإلىٰ شمال أفريقيا، وإلىٰ بلاد العراق، وإلىٰ بلاد السند والهند وأذْربَيْجان، من الفاتحين من أهل اليمن والمجاهدين في سبيل الله ﷻ، أنرضىٰ أن نخضع لهذه الشلة المارقة الفاسدة التي تهلك الحرث والنسل، تُغيِّر العقائد والأخلاق، تُغيِّر كلَّ شيء من حياة الناس، تذهب عليهم هذا الخير الذي في أيديهم، والذي في أوساطهم، يستخدمون الدعايات البرَّاقة، والسياسة الكاذبة، لما وصلوا إلىٰ صنعاء كان سيدهم، وبئس السيد سيدهم، يقول: أهل الجنوب عندهم قضية، لا بد أن يُعطوا ما يريدون، وهم أصحاب حق، وهم وهم وهم وهم، ويجعل يغازل أهل الجنوب، حين وصل صنعاء، فهل أعطىٰ أهل الجنوب ما يُطالِبون؟ لا والله، بل وصل إلىٰ عقر دارهم، وإلىٰ منازلهم، وإلىٰ متاجرهم، بل جعل يلاحقهم في خليج عدن، ويضرب الهاربين في بحر التَّوَّاهي بالقذائف والصواريخ وهم علىٰ قواربهم رجالًا ونساءً وأطفالًا، فلا يُصدَّقُ الرافضة يومًا من الدهر، فإن تاريخهم مظلم، وأعمالهم شريرة من زمن تأسيس هذه الفرقة المارقة، من زمن الصحابة الكرام، رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم.

فنسأل الله ﷻ بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن يسلِّم هذه البلاد من شرِّ الرافضة، اللهم عليك بالرافضة الحوثيين، ومن عاونهم، اللهم ردَّ كيدَهم في نحرهم، اللهم مزِّقهم كل ممزَّق، اللهم اجعل الدائرة عليهم، اللهم إنهم قد طغوا وبغوا وظلموا، فعجل بزوالهم، يا عزيز، يا جبار، إنك علىٰ كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

إن عدة الشهور عند الله

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، عبادَ الله، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

جعل الله ﷻ السنة الشرعية مقدرة بطلوع القمر وغروبه، لا بطلوع الشمس وغروبها كما يفعل أهل الكتاب، وجعل السنة اثنا عشر شهرًا، وقد جاء في الصحيحين عن أبي بكرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حُرُم: وهي ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرَّم، ورجب مُضَر الذي بين جمادىٰ وشعبان**»(١)، فجعل الله ﷻ السنة القمرية الشرعية، جعلها اثني عشر شهرًا، وجعل شهورها متفاضلة، متفاوتة في العبادات والأحكام، وجعل منها أربعة اشتدَّ تعظيمها وتحريمها، منها أربعة حرم؛ ليقوم العباد بطاعة الله ﷻ في هذا العام كله، ولكنه يزداد قُربُه وعبادته في هذه الأربعة الأشهر بما شرع الله ﷻ في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا تظلموا أنفسكم بترك العبادات، والوقوع في المحرمات، بل أقبلوا علىٰ طاعة رب الأرض والسماوات، فهو الذي جعل الزمان علىٰ هذا المنوال، وقدَّره بهذا التقدير، وجعل فيه الليل والنهار، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] أي أنه لا يُترك الجهاد في سبيل الله ﷻ، وسائر الطاعات والعبادات، فهذه الأربعة الحرم ذكر النبي ﷺ منها شهر رجب، قال: «**رجب الذي بين جمادىٰ وشعبان**»، وهو هذا الشهر الذي نحن بصدده، وفي أول أيامه، شهر الله المحرم، شهر رجب.

وقد ذكر أهل العلم أن له أسماء كثيرة، منها: رجب، ومنها: شهر الله، ومنها: شهر الله المُحرَّم، ومنها: مُنصِّل الأَسِنَّة، ومنها: مُنصِّل الآلة، وذكروا أسماء كثيرة،

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٧)، ومسلم (١٦٧٩).

ومنها: رجب مضر، وسُمي رجب مضر، قالوا: لأن مُضر كانت تعظِّمه أشد من غيره من الشهور، وقيل: لأن ربيعة كانت تحرِّم شهر رمضان، ومضر تحرِّم شهر رجب، فقيل له: رجب مضر؛ لأنها اختصَّت بتعظيمه وتحريمه.

يا أيها الناس، شهر رجب شهر من أشهر الله ﷻ، ولكن الله ﷻ جعله من الأشهر الحرم، ممَّا يزداد تعظيمه وتحريمه، ولقد أحدث الناس فيه بدعًا وخرافات ومخالفات، بل أتىٰ عليه كثير من الكذابين، فوضعوا فيه أحاديث عن النبي ﷺ مكذوبة؛ لتقرير بدعهم وأقوالهم وآرائهم، فقائل يضيف إلىٰ النبي ﷺ، قال: «شهر رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي»، وهذا حديث مكذوب باطل. وآخر يضع حديثًا: «إن في الجنة شهرًا يقال له: رجب. من صام يومًا من رجب سقاه الله ﷻ من ذلك النهر» وهذا حديث باطل موضوع مكذوب علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

وكم أحدث الناس من تلك البدع التي ما أنزل الله ﷻ بها من سلطان، بناءً علىٰ مثل هذه الأحاديث المكذوبة الموضوعة، فمن ذلك أن يذبح الناس في أول جمعة من رجب ذبيحة، يسمُّونها الرجبيَّة، وأصل هذه الذبيحة من أهل الجاهلية، فإنهم كانوا يذبحونها تعظيمًا لأصنامهم وآلهتهم، فلما جاء الإسلام أبطلها ونسخها، كما هو قول جماهير أهل العلم، قال ﷺ: «**لا فرع، ولا عتيرة**»(١)، والعتيرة: هي الرجبية، أي: الذبيحة التي تُذبح في أول جمعة من شهر رجب.

وأحدث الناس بدعًا في الصلاة والزكاة والصيام وسائر العبادات، فأحدثوا بدعة صلاة الرغائب، وهي صلاة تُصلىٰ في أول جمعة من رجب بين المغرب

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٧٣)، ومسلم (١٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والعشاء، يصلونها اثني عشر ركعة، ويضعون فيها الأحاديث المكذوبة الموضوعة، وقد نقل أهل العلم الإجماع علىٰ بطلانها، وعلىٰ بدعيَّتها، وأنه ما أنزل الله بها من سلطان، نقل ذلك شيخ الإسلام وابن القيم وابن رجب وابن الجوزي، وغيرهم من أهل العلم، بل أَلَّف فيها الحافظ المقدسي رسالة يبيِّن بطلانها وكذبها(١)، وقد قال ﷺ كما في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة: «**لا تخصُّوا ليلة الجمعة بصلاة دون الليالي**»(٢)، فتخصيصها بدعة.

وممَّا أحدث الناس أيضًا أن منهم كما قال ابن رجب في لطائف المعارف، أن منهم من يعتقد أن إخراج الزكاة في رجب قُربةٌ وعبادة، فيخصصها بذلك، وهذا من البدع، فإن الله ﷻ جعل للزكاة أمدًا معلومًا، وهو حَوَلان الحول، وبلوغ النصاب، في أي شهر كان، في شهر رجب أو شعبان أو رمضان أو جمادىٰ، أو غيره من الشهور، فتخصيصها في شهر رجب من البدع والمحدثات.

ومن ذلك أيضًا: تخصيص الصيام، فإن من الناس من يخصص الصيام في رجب، إمَّا أن يجعله منذورًا لا يصوم إلا في رجب، أو يخصِّصه في أول رجب، أو في آخر رجب، أو في أيام معينة في رجب، وربما لا يصوم في سائر الشهور والأيام، وقد نقل ابن القيم في المنار المنيف أنه ليس هناك حديث صحيح عن النبي ﷺ في بيان تخصيص رجب في الصيام، بل كلها مكذوبة موضوعة، وقد ثبت عن

---

(١) قال ابن عابدين في «حاشيته» (٢/ ٢٦): «قال في «البحر»: ومن هنا يُعلم كراهة الاجتماع علىٰ صلاة الرغائب التي تُفعل في رجب في أولىٰ جمعة منه وأنها بدعة... وللعلامة نور الدين المقدسي فيها تصنيف حَسَن سَمَّاه «ردع الراغب عن صلاة الرغائب»، أحاط فيه بغالب كلام المتقدمين والمتأخرين من علماء المذاهب الأربعة». انتهىٰ باختصار.

(٢) أخرجه مسلم (١١٤٤).

عمر ﷺ أنه كان يزجر أقوامًا في زمنه يصومون في رجب، ويأمرهم بالإفطار، ويُلزمهم بذلك، ويبين لهم أن هذا ليس من السنة، بل نقل شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا من البدع، وفي حديث أبي هريرة المتقدم: «**ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من دون سائر الأيام**»(١)، فتخصيص شهر رجب بالصيام بدعة من البدع، إلا من كان عنده صوم، فليصم ذلك الصوم، كمن يصوم الإثنين والخميس، أو يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، فلا حرج عليه؛ لأنه ليس فيه تخصيص.

ومن تلك البدع والمحدثات: أن من الناس من يظنُّ أن العمرة في شهر رجب لها فضل عظيم، فيُقدِّم إلىٰ شهر رجب أو يؤخِّر إليه، فيعتمر في شهر رجب بهذه النية، وهذا من البدع والمحدثات، ولمَّا قال ابن عمر بأن النبي ﷺ اعتمر في شهر رجب، أنكرت عليه عائشة، وقالت: ما اعتمر النبي ﷺ في رجب، وما اعتمر إلا ومعه عبد الله بن عمر. أي فكيف ينقل ذلك؟ لكنه نسي ﷺ. ولهذا لمَّا سمع عائشة، سكت، ولم يعقِّب عليها، ولم ينتقد هذا القول. فتخصيص شهر رجب بالعمرة بدعة من البدع، وأما من صادف ذلك، أو تيسر له ذلك بدون تخصيص، فلا عتب عليه، ولا ضَير.

أيها المؤمنون عبادَ الله، ومما أحدثه الناس في شهر رجب من المخالفات الشرعية: اعتقاد أن زيارة مسجد النبي ﷺ في شهر رجب له فضل ومزية، قال ﷺ: «**لا تُشدُّ الرِّحال إلا إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصىٰ**»(٢)، فشدُّ الرحال إلىٰ تلك البقاع الثلاثة والمساجد الثلاثة - عبادة من العبادات، لكنه لا يجوز تخصيصها بزمن معين، وإنما متىٰ تيسَّر للعبد قام به في أيِّ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه البخاري (١١٣٢)، ومسلم (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

شهر من أشهر السنة، فمن اعتقد أن زيارة هذه المساجد في شهر رجب أن له فضلًا، فقد أحدث في دين الله ﷻ، و«**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردٌّ**»(١)، هكذا يقول نبيُّنا ﷺ.

ومما أحدثه الناس في شهر رجب: أنهم يحتفلون في يوم السابع والعشرين من شهر رجب، زعموا بموسم أو بوقت إسراء النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، فيقال لهم أولًا: أين برهانكم، وأين دليلكم أن النبي ﷺ أُسري به في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب؟ فليس علىٰ ذلك دليل ولا برهان من السنة والقرآن، فلا يُعلم متىٰ أُسري بالنبي ﷺ بالتحديد باليوم، وإنما كان إسراؤه قبل هجرته وبعد بعثته، فأولًا يقال لهم: أين الدليل والبرهان علىٰ أنه في شهر رجب، بل وفي ليلة السابع والعشرين منه؟ ليس هناك دليل ولا برهان علىٰ ذلك، وإذا كان كذلك، ولو ثبت ذلك، فأين الدليل علىٰ أنه يُحتفل بليلة إسراء النبي ﷺ، ويُتَّخذ ذلك اليوم وتلك الليلة عيدًا من أعياد المسلمين؟ فليس في ديننا عيد إلا عيد الفطر وعيد الأضحىٰ ويوم الجمعة، وما عدا ذلك من الأعياد هي أعياد مُحدثة مبتدعة، أخذها المسلمون من أعدائهم من اليهود والنصارىٰ، فلم يكن أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا سائر الخلفاء والصحابة الأخيار، لم يكن أحد منهم يحتفل بليلة الإسراء والمعراج، بل ولم يكن يحتفل أحد منهم بمولد النبي ﷺ، ولا بهجرته، ولا بشيء من الأمور العظيمة التي حصلت في تاريخ الأمة الإسلامية، فإحداث هذا العيد والاحتفال إنما هو تشبه باليهود والنصارىٰ الذين أحدثوا الأعياد الكثيرة، ثم انتقلت إلىٰ أهل الإسلام: عيد الثورة، عيد الاستقلال، عيد

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٠) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الشجرة، عيد الأم، وهكذا جعلوا السنة كلها أعيادًا؛ ليضعفوا في قلوب هذه الأمة تعظيم أعيادها الشرعية، أعيادها الإسلامية، أعيادها التي ينبغي أن تكون أعيادًا مضبوطة بأدلة الكتاب والسنة: عيد الفطر، وعيد الأضحىٰ، ويوم الجمعة، فإنه عيد بنص قول النبي ﷺ: «**قد اجتمع في يومكم هذا عيدان، فمن صلَّىٰ العيد، فقد أجزأه من الجمعة**»(١)، وهكذا يوم عرفة قال ﷺ: «**يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام**»(٢)، وهي تعتبر من عيد الأضحىٰ، إذًا فالاحتفال بليلة الإسراء والمعراج تخرُّص وكذب، ووقوع في البدعة، فاحذر يا عبد الله أن تقع في البدع في كل أحوالك وأقوالك.



(١) أخرجه أبو داود (١٠٧٣)، وابن ماجه (١٣١١) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٤١٩)، والترمذي (٧٧٣) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨١٩٢) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحبُّ ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا أيها الناس، بدع الناس في رجب كثيرة، وقد زاد أهل اليمن بدعة يحدثونها في شهر رجب، هذه البدعة هو اعتقاد بعضهم أن زيارة مسجد الجند في محافظة تعز الذي يقال بأنه بناه معاذ بن جبل، زيارة ذلك المسجد في أول جمعة من رجب يعتقدونها عبادة، بل ويُحدثون في ذلك أحاديث مكذوبة أنَّ من زار هذا المسجد في أول جمعة من رجب فكأنه عمل عمرة، أو حجة، أو نحو ذلك من الأكاذيب والتخرصات، فلهذا تجد كثيرًا من الجَهَلة يجتمعون في مثل هذا اليوم في مسجد الجند رجالًا ونساءً، يجتمعون فيه للبدع والخرافة، والاختلاط بين الرجال والنساء، ويجلسون فيه يمتهنون شعائر الله، فيأكلون القات، ويقعون في المنكرات، وغير ذلك من البلايا والرزايا، وليس في ذلك دليل ولا أدنىٰ برهان، بل هذه بدعة مُنكرَة اختص بها بعض أهل اليمن دون سائر الناس، أضافوها إلىٰ البدع في شهر رجب التي حذر الله ﷺ منها.

ومن ذلك أيضًا: أنه في بعض البلدان في بلاد اليمن يعتقدون في أول خميس في شهر رجب أنه لا بد أن يغتسل الجميع، ويجعلون الحنَّا علىٰ مواشيهم، ويغسلون أبناءهم وصبيانهم، بل ويتلفظُّون بألفاظ شركية، فيقول قائلهم: يا خميس أول

رجب، أنا جارك من الحصبة والمجعر والجرب. فيَدْعُون غير الله ﷻ، ويستغيثون بغيره ﷻ، من الذي يدفع الأمراض؟ ومن الذي يدفع النقم؟ ومن الذي يجلب النعم؟ إنه الله ﷻ، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]، أمَّا هؤلاء فيدعون يومًا من الأيام من أيام الله ﷻ أن يدفع عنهم الأسقام والأمراض، وغير ذلك من البلايا والرزايا، وهذه بدعة مُنكرة قد تلاشت وذهبت، وربما بقيت عند بعض العجائز الذين لم يصل إليهم مثل هذا التنبيه، ومثل هذا التحذير، وغير ذلك من البدع.

يا أيها الناس، إن شهر رجب هو شهر من أشهر الله ﷻ، الذي يجب علينا أن نقوم فيه بعبادة الله كما أمرنا الله، وكما جاء عن رسول الله ﷺ، فلا نُحدث فيه بدعًا، ولا نتجاوز ما جاء عن رسولنا ﷺ، ولا نفرِّط فيه بطاعة الله ﷻ، فالذي أمرك بطاعته في رجب هو الذي أمرك بطاعته في شعبان، وفي رمضان، وفي سائر الأيام، فهو القائل في الآية المتقدمة: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، فالحذرَ الحذرَ من البدع والخرافات، وعلينا أن نقرأ في سيرة النبي ﷺ في مثل هذه الأحداث والوقائع، فنتَّبع السنة، ونجتنب البدعة، لعلنا أن نحظىٰ برضا الله ﷻ عند لقائه ﷻ، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم.



ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

أيها المسلمون عبادَ الله، إن ما يعيشه أهل اليمن من الخير والسنة ومحبة الدين والغيرة علىٰ الأعراض والتمسك بدين الله ﷻ- لا يرضاه أعداؤنا، لا يرضاه أعداء الإسلام أبدًا، ولهذا يمكرون بهذه البلد ليلًا ونهارًا، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، لو نظرت إلىٰ بلدان المسلمين لا أقول: بلدان العالم، وإنما بلدان المسلمين الأخرىٰ- لرأيت ما فيها من الضعف في الدعوة إلىٰ الله ﷻ، وفي نشر العلم، والتمسك بالسنة، والحجاب والعفاف والحياء، والأخلاق الحسنة، لرأيت من الضعف الشيء الكثير، وهذا الذي يريده أعداء الإسلام، فهم لن يرضوا عن أهل اليمن وهم علىٰ هذا الحال الحسن من محبة المساجد وحفظ القرآن والإقبال علىٰ سنة النبي ﷺ، ولهذا يجب علينا أن نشمِّر عن ساعد الجد، وأن نعلم أن أمامنا عدوًّا إما أن يفنىٰ أو نفنىٰ، أن أمامنا عدوًّا يريد

أن يسلب عقيدتنا، أن أمامنا عدوًّا يريد أن يدنِّس مقدساتنا، فليست القضية قضية المال، ولا قضية المنصب والكرسي والحكم، ولا قضية الدنيا، وإنما هو الدين، وسلوا إخوانكم الذين وصلت فلول الرفض إلىٰ بلدانهم: كيف يصنعون بهم؟ سلوا أهل بَيْحان الذين وصل الرافضة في هذين اليومين إليهم، كيف كانت مساجدهم هذا اليوم في خُطَب الجُمَع بعد أن كان أهلها يدعون إلىٰ سنة رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وإذا بتلك المنابر يُدعىٰ فيها إلىٰ العصبية، ويُدعىٰ فيها إلىٰ السُّلاليَّة، ويُدعىٰ فيها إلىٰ الشرك، ويُدعىٰ فيها إلىٰ محاربة الحق، ويُدعىٰ فيها إلىٰ سفك الدماء، ويُدعىٰ فيها إلىٰ الباطل كله، وهكذا كل مكان يصل إليه الرافضة، فيجب علينا عباد الله أن نصحىٰ من غفلتنا جميعًا، فإن الرافضة لا لن يتركوا أحدًا، ولن يفرقوا بين زيد وعبيد ما لم تكن رافضيًّا اثنا عشريًّا، فإن دمك حلال، وعرضك مباح، ومالك حلال، بل يعتقدون أن الله ﷻ خلقك لخدمتهم، تكون مهانًا ذليلًا حقيرًا، لا شأن لك ولا مكانة في المجتمع، وإنما توضع عند الحاجة في بعض المواضع، هذه عقيدتهم، وسُطِّرت بذلك كتبُهم، فيا من تطمعون في الدنيا أن تنالوها من الرافضة، فلن تنالوا شيئًا، فقد ضحَّىٰ غيركم بكثير من الدنيا إرضاءً للرافضة، فكانوا أول من ضُحِّي به، وأول من أُهين، وأول من سُلب ملكه وماله وما كان فيه، فلننتبه عبادَ الله، ولنعلم أن الرافضة يسعون للسيطرة علىٰ البلاد كلها، بمباركة غربية وشرقية، وهب أن هذا كله ما يدور في البلاد اليمنية من السياسات، فإن هذا يحملنا علىٰ أن ندافع عن ديننا، وعن عقيدتنا، وعن أموالنا، وعن أعراضنا، وعن ممتلكاتنا، وعن حرماتنا، فَعَلُوا سياسة أو لم يفعلوا، فإن هذا واجب أوجبه الله ﷻ علينا، قال النبي ﷺ، وقد جاء إليه رجل قال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي. قال: «**فلا تعطه**»، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال:

«**قاتله**»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «**هو في النار**»، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «**أنت في الجنة**»(١). كيف وهم يريدون أخذ عقيدتنا، وتدنيس قرآننا، والطعن في نبينا وعرض نبينا، والثلب علىٰ أصحاب نبينا صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم؟ أنرضىٰ عباد الله أن تُشتم أمُّ المؤمنين، ويُطعن فيها من علىٰ هذه المنابر المباركة التي ما عرفت إلا السنة، وما عرفت إلا الطريق السوي والصراط المستقيم؟ فالاستعدادَ الاستعدادَ، وهكذا ندعو من هذا المكان كلَّ أصحاب السياسات والمناصب والوَجاهات، أنهم إن تخاذلوا أو اختلفوا أو حصل لهم من الضعف، فإنهم سيجنون عارًا، ويكون وصمة عار عليهم إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يا أيها الناس، الرافضة ليسوا بشيء، وإنما عن طريق المنافقين والخائنين الذين يبيعون دينهم إرضاءً للرافضة، وطمعًا في مناصبهم، وطمعًا في أموالهم، وإلا فإن الرافضة ليسوا بشيء، فما دخلوا بلدًا من حين خرجوا من مَرَّان، ما دخلوا بلدًا إلا بخيانة من بعض أهلها مِمَّن أحب النفاق واعتنقه، أو أراد المال والمنصب، أو اختلف مع أخيه، والله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦] الرافضة لا يفرقون بين فلان ولا فلان، ما دام أنك لا تعتقد عقيدتهم، فأنت مطلوب، وأنت مستهدف، اليومَ أو غدًا، أو بعد غد، فلتكن متنبِّهًا، يا من تتناسىٰ عقيدتك، ويا من تتغافل عن دينك، ويا من تتخاذل عما أوجب الله ﷻ عليك، يا من تتخاذل عما

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أوجب الله ﷻ عليك.

يا أيها الناس، نحن نقرأ في الكتب ما ذكر الله في كتابه عن نبيه ﷺ، ونقرأ السيرة النبوية وما فيها من القصص والعبر في جهاد رسول الله ﷺ، حياته كلها جهاد، حياته كلها جهاد، واقرأ سيرته ﷺ، في عشر سنوات، غزا أكثر من عشرين غزوة، هذه العبادة العظيمة التي يتسلَّق إليها المتسلقون، بالطُّرق الملتوية، والطُّرق المحرمة- هيأها الله، ويسرها الله ﷻ في هذه الأزمان المتأخرة لأهل اليمن، فليحمد الله ﷻ وهم يقاتلون عدوًّا كافرًا كفرًا بواحًا، عندهم فيه من الله براهين كثيرة، فمن قُتل في قتاله فقد اختاره الله إن صلحت نيته وصدق مع الله، ومن جُرح منهم فدَمُه يوم القيامة يصب جرحه المكلوم يوم القيامة عند الله ﷻ، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، وإن حصل النصر بإذن الله ﷻ فهذا ما يريده أهل الإسلام، فالمسلمون بين خير وخير وخير في القيام بهذه العبادة، ولكن الشأن عبادَ الله، أن تجتمع كلمة المسلمين، فلو اجتمعت كلمة أهل اليمن لا يبقىٰ للرافضة عينٌ ولا أثرٌ، ربما في وقت يسير، ولكنهم نجحوا بتفرقنا وتمزقنا وتشرذمنا، فهذا من الحزب الفلاني، وذاك من الحزب الفلاني، وهذا من الجهة الفلانية، وهذا من الجهة الفلانية، فيأخذون هذا، وذاك ينظر إليه، ويتفرج، فإذا انتهوا من الأول، انتقلوا من الثاني، ثم ذهبوا إلىٰ الثالث، ثم ذهبوا إلىٰ الرابع، فلنجتمع علىٰ دين الله ﷻ، ولندافع عن عقيدتنا، لا عن الأحجار والأشجار والأتربة والمال، وإنما عن العقيدة كما كان أصحاب محمد ﷺ، ولنجمع أمرنا، ولنرجع إلىٰ أهل الحل والعقد فينا في كل أمورنا، فإن اجتماع الكلمة نصر من الله ﷻ، علم ذلك أصحاب فرعون من السحرة، قال الله عنهم: ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾ [طه: ٦٤]، فاجتماع الكلمة سبب للنصر، وسبب للتمكين بإذن الله ﷻ،

إذا كان اجتماع الكلمة علىٰ الحق وعلىٰ الكتاب وعلىٰ سنة رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، لا يجوز لأهل اليمن أن ينسوا ما صنع بهم الرافضة، ليس من بلد ولا قرية ولا مدينة ولا جبل ولا سهل، إلا ومن أهله من سُفك دمه، سالت دماء اليمنيين علىٰ الجبال، وفي الطرقات، وفي السهول، بل وفي البحار، وفي كل مكان، أننسىٰ تلك السيول التي سالت، والدماء التي أُهريقت؟ أننسىٰ أولئك الذين عُطِّلوا عن الحركة بعضهم في داره لا يستطيع أن يتحرك، وبعضهم لا يزال يئنُّ في المستشفيات في اليمن وفي غيرها؟ ثم يرجع بعض الناس علىٰ عقبيه فيمالئ الكافرين، ويقف إلىٰ صفهم، ويفرح بقدومهم، نعوذ بالله من هذا الانحراف، ومن طمس البصيرة وانتكاس الفطرة، يوم أن ينسىٰ الإنسان ما حل به من الضر من هذه الفرقة المارقة، ونحن نسمع وتسمعون وتشاهدون ما يصنعون بأهل الإسلام في البلدان التي حلوا فيها، وسيطروا عليها، فاعتبروا يا أولي الأبصار، اعتبروا بغيركم، واعلموا أن المؤامرة عظيمة، ولكن الله ﷻ مؤيد أولياءه، وناصر عباده، فهو الذي يدافع عن أهل الإيمان، وهو القائل في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، وهو القائل في كتابه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥]

أهم شيء أين نحن من توحيد الله؟ أين نحن من سنة رسول الله؟ أين نحن من العمل بكتاب الله ﷻ؟ أين نحن من التوكل علىٰ الله والثقة في الله والاعتصام به؟ أين نحن من الأخوة؟ أين نحن من التراضي؟ أين نحن من التراص؟ أين نحن من التمسك بالإسلام ظاهرًا وباطنًا؟ فإن الله ﷻ وعد المؤمنين بالنصر والتمكين، ما داموا علىٰ الحق المبين، «**لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق ظاهرين، لا يضرهم**

من خالفهم، أو من خذلهم، إلىٰ قيام الساعة»[(١)].

وهكذا عبادَ الله يقال لأولئك ضعاف الإيمان الذين يطمعون في الدنيا وحطامها، ويظنون أنها في يد الرافضة، انظروا ماذا صنع الرافضة بمن منَّوهم، ومن فتحوا لهم بلدانهم، وأعطوهم أموالهم، وأعانوهم علىٰ ضرب أهل الإسلام؟ الرافضة ليس لهم عهد ولا ذمة، ليس لهم عهد ولا ذمة علىٰ مر التاريخ، واقرءوا ما سطَّر أهل العلم.

يا أيها الناس، كان الرافضة وهم في صَعْدة، قبل أن يصلوا إلىٰ صنعاء، يكرِّرون الحديث عن أهل الجنوب، وأن أهل الجنوب مظلومون، وأنهم سيعطونهم حقوقهم، وأنهم وأنهم وأنهم، فصدقهم بعض الجُهَّال، فماذا صنعوا بأهل الجنوب؟ وصلوا إلىٰ مدينة عدن، فعاثوا فيها الفساد، وشرَّدوا منها العباد، بل لحقوهم حتىٰ إلىٰ بحر التَّوَّاهي، وأخرجوهم من دورهم، وحل بأهل عدن ما حل من الضر، قُتل الأبرياء رجالًا ونساء، هُدِّمت منازلهم، لا تزال إلىٰ هذه اللحظة مُهدَّمة، فهذه مواعيدهم التي ينشدونها، وفي هذه الأيام تسمع بعض أكابرهم يطعن في فلان ويمدح فلانًا مغازلة، ومن يصدق الرافضة، فإنه لا أمان للرافضة، لا أمان للرافضة كما قال الشوكاني رحمه الله: لا أمان للرافضة؛ لأنهم يعتقدون أن دماءنا حلال، وأن أعراضنا مباحة، وأن أموالنا غنيمة، ما لم نكن منهم وعلىٰ عقيدتهم، وإذا تبعناهم وصدقناهم، فمنزلتنا أدنىٰ؛ لأننا لسنا من تلك السلالة التي يتحدثون عنها.

إذًا فلنكن متيقِّظين عبادَ الله، ولنجمع أمرنا، ولنوحد صفوفنا، ولنعد العدة للقاء هذا العدو إن قدَّر الله ﷻ، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

﴿ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] ولكن ينبغي لنا عبادَ الله أن ننضبط بالضوابط الشرعية، وأن نتمسك بما جاء عن خير البرية، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، فلا نذهب يمنة ولا يسرة، ولا نفعل المخالفات الشرعية، وإنما بما يقرِّبنا إلىٰ الله ﷻ، ولينصح بعضنا لبعض، ينصح الصغير للكبير والكبير للصغير، والرئيس للمرؤوس، والمرؤوس للرئيس، والراعي للرعية، ننصح لدين الله ﷻ ما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلًا.

نسأل الله ﷻ بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن يدفع عنا وعنكم وعن أهل اليمن هذه الغمة، وأن يكشفها، وأن يهلك الرافضة عما قريب، وأن يرد كيدهم في نحرهم، إنه قوي متين، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

الخطبة الثانية

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]. الركون إلىٰ الظالمين سبب الهلاك، الركون إلىٰ الظالمين عقوبته في الدنيا والآخرة، الذي يركن إلىٰ الظالمين، إلىٰ الكافرين، إلىٰ المنافقين، تكون عاقبته وخيمة، وهكذا البغي والظلم، يُعجِّل الله ﷻ العقوبة لصاحب البغي في الدنيا، كما جاء في حديث عائشة عن النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم: «**ما من شيء أجدر من أن يعجل الله العقوبة لصاحبه في الدنيا من البغي، وقطيعة الرحم**»(١)، البغي كما قال ذلك الشاعر:

نـــدم البغـــاة ولات ســـاعة منـــدم والبغـــي مرتـــع مبتغيـــه وخـــيم

فالبغي ربما يعاقب الله ﷻ صاحبه في الدنيا قبل أن يموت، أهل السنة والجماعة بُغي عليهم بغي ليس له مثيل في التاريخ، في دار الحديث بدماج، وظُلموا، منهم من ربما مات من سوء التغذية؛ بسبب ذلك الحصار الغاشم، وبعض النساء ماتت في ولادتها، وبعض الجرحىٰ مُنع أن يخرج إلىٰ المستشفىٰ ليُعالج، فمات بسبب جراحه، وكانوا يدعون دعاء المضطرين المظلومين علىٰ من ظلمهم، ومن تعاون في ظلمهم، يدعون دعاء المضطرين، والله ﷻ يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]، قال أهل العلم: الكافر لو كان مضطرًّا، ودعا الله ﷻ، أجابه، وهو كافر، ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٢) والترمذي (٢٥١١) وابن ماجه (٤٢١١) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٣٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] أي في شأن المشركين، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

فكانوا يدعون من قلوبهم، أطفال صغار يدعون الله ﷻ، ونساء، وربما بعض النساء قُتل زوجها، وبعض أقاربها، وبقيت مع المحاصَرين مائة يوم، وبعضهم ربما زوجته في دمَّاج وهو في جبال كتاف، وهكذا حصل ذلك الضر علىٰ مرأىٰ ومسمع ومشهد وتعاون من أطراف كثيرة، هذه الأطراف سيصلهم نصيبهم الذين تعاونوا في ظلم أهل السنة، أيًّا كانوا، وبغيهم سينالون عقوبته في الدنيا قبل الآخرة بإذن الله، وأهل السنة كما سمعتم دَعَوُا الله ﷻ وهم مظلومون، حصل عليهم هذا الظلم والبغي، وها أنتم تشاهدون أن تلك الدعوات العظيمة قد استجاب الله ﷻ لها، فمُزق الرافضة، وسُلط عليهم، كان إخواننا يقولون: اللهم سلط عليهم من لا يرحمهم، وها هم الآن نشاهدهم وهم يتمزقون شذر مذر، ويُقتلون في كل جبل وواد، ويُسحقون سحقًا، وهذه عقوبة من الله لهم، عقوبة من الله، وكان ظلمهم لأهل دمَّاج نكبة عليهم، ولا تزال، ولهذا يقول أبو علي الفاسق الذي يُسمىٰ بالحاكم، وهو يتكلم في خطاب البارحة، أو قبل البارحة، وهو يقول: أهل دماج. يعني ما خرج من ذهنه أهل دماج، صاروا كابوسًا علىٰ الرافضة، كأنه يتهمهم أنهم متعاونون في أحداث صنعاء، ويقول: هم هؤلاء أهل دماج، أهل دماج. مع أنهم ما صنعوا شيئًا، جالسون في مساجدهم في صنعاء.

فالشاهد من هذا: أن عقوبة الله ﷻ سارية في الظالمين، وكانوا يقولون: اللهم اجعل بأسهم بينهم. وها نحن نشاهد هذا، اللهم اجعل بأسهم بينهم، وها هم يتناحرون ويتقاتلون، وإن اختلفت بعض الوجهات وبعض النظريات أو الآراء، وإن كنا نحب ألا ينتصر الرافضة، فالرافضة أصحاب عقيدة فاسدة، أما أولئك

العفافيش فهم أصحاب دنيا ومناصب، أصحاب دنيا ومناصب، ولكن كما سمعتم، البغي يُعاقَب صاحبه، ولا تزال العقوبة سارية فيهم، وهذا بما أخبر الله ﷻ في كتابه الكريم أنهم بسبب بغيهم وعدوانهم وظلمهم يحصل لهم ما يحصل.

وقد كان شيخنا حفظه الله يحذِّر المسلمين واليمنيين خاصة من تمكين الرافضة، وتسهيل الأمور لهم، وأن من سهَّل لهم الأمور ربما لا يرضون إلا أن يشنقوه، الذي يرضىٰ لهم بالتمدُّد سيأتي اليوم الذي يشنقونه كما شنقوا صدَّام، هكذا كان يقول، وها أنتم تسمعون ما يحصل، وهكذا من ركن إلىٰ الرافضة يُخشىٰ عليه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، سواء الركون إلىٰ اليهود أو النصارىٰ أو الرافضة أو الصوفية أو الاشتراكية الشيوعية الحمراء، أو غيرهم من أهل الباطل، الركون إلىٰ أهل الباطل ضلال وانحراف وعمىٰ بصيرة، وربما عقوبة عاجلة في الدنيا قبل الآخرة، ولهذا فإننا ننصح أولئك الذين قاموا وثاروا، سواء كان في صنعاء أو في غيرها، وانتفضوا علىٰ الرافضة، أن يكون قتالهم ما هو من أجل شخص، فإنه وإن كان قتالهم من أجل شخص، فهم فاشلون، بل يقومون من أجل عقيدتهم، من أجل دينهم، من أجل دمائهم، من أجل أعراضهم، فإن الرافضة إذا تمكنوا طمسوا العقيدة، وطمسوا كل الأخلاق والقيم، وعاثوا في الأرض الفساد، وقبل أيام في هذا الأسبوع يُخرج شاعر لهم يقال له الجرموزي قصيدة فيها اللعن والسب والقذف لأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ومعاوية وعائشة وسائر الصحابة، رضي الله تعالىٰ عن الصحابة، وقبَّح الله الرافضة، ومن تعاون معهم، فإذا تمكن هؤلاء كيف سيصنعون بعقائدنا؟ كيف يصنعون بأعراضنا؟ كيف سيصنعون بدمائنا؟ بأموالنا؟ فلا يُركن إلىٰ هؤلاء الرافضة، ولكن ينبغي أن من قام يكون قيامه لله ﷻ، لا لأجل المنصب، ولا لأجل الراتب، ولا

تعصبًا لشخص من الناس، هب أن فلانًا هذا مات أو قُتل، أو انقلب، أو انحرف، أو صار في صفِّ الكافرين، فهل يجوز متابعته؟ بل يكون القيام من أجل الله ﷻ، فإنه لا يجوز السكوت عن باطلهم أينما كانوا، وأينما حلُّوا، فهم أنجاس أرجاس، يعيثون في الأرض الفساد، ويريدون التمكين للفرس، ومن كان علىٰ طريقتهم، وإنما أردنا في هذا أن ننبِّه علىٰ أن من تعاون مع الظالمين فسينال جزاءه، اليوم، أو غدًا، أو بعد غد، ولا زلنا نرىٰ عقوبة الله ﷻ في الذين ظلموا أولئك الأبرياء والمساكين، وأخرجوهم من ديارهم، وطرَّدوهم، ومنعوهم من أن يعبدوا الله ﷻ، وأن يتعلموا شرع الله، فأخرجوهم مقهورين من ديارهم، وهذا هو علامة النصر، ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠] فهذه علامة خذلان الرافضة وهزيمتهم يوم أن هجَّروا أهل السنة وظلموهم، وحصل منهم ما حصل، وكما سمعت أن هذا ليس محصورًا عليهم، بل هم ومن تعاون معهم، وكم كنا نسمع إخواننا في القنوت: اللهم عليك بالرافضة، وبمن تعاون معهم. وكلمة تعاون معهم تشمل كثيرًا، تشمل كثيرًا نخشىٰ عليهم إن لم يتوبوا، فإنها تشمل كثيرًا من الجهات التي تعاونت مع الرافضة بالقول أو بالفعل.

إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، عبادَ الله، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣]، ويقول الله ﷻ في آية أخرىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

يبيِّن الله ﷻ في هاتين الآيتين أن ذهاب النعم وحلول النقم، وأن تغير الأحوال هو بسبب تغيير العباد، وبسبب ذنوبهم ومعاصيهم، وبسبب تبديلهم وتغييرهم،

ولهذا يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، فذنوب العباد هي السبب، ومعاصيهم في تغيير نعم الله ﷻ، وإلا فإن الله ﷻ قد وعد العباد بالمزيد إن هم عبدوه وشكروه، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

ولقد كان النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم يدعو الله، ويستعيذ به، من تحوُّل النعم وذهابها، فكان يقول ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك**»(١)، يستعيذ بالله ﷻ أن تذهب عنه النعم، سواءً كانت النعم الحسية، أو النعم المعنوية، النعم الدينية، أو النعم الدنيوية.

ولقد ذكر الله ﷻ لنا في كتابه الكريم جملةً من الأمم الماضية، والقرىٰ الخالية، الذين أغدق الله عليهم بالنعم الكثيرة الوافرة الغزيرة، فما شكروا الله ﷻ، بل غيَّروا وبدَّلوا وأعرضوا، فأعقبهم ﷻ مكان نعمهم نقمًا، وأحلَّ بهم بأسه ﷻ، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٧]؛ ولهذا نذكر في هذا المقام بعض الأمثلة علىٰ ما تقدم:

قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

جاء في صحيح البخاري من طريق عبيد بن عمير أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قال لأصحابه: فيمن ترَوْن هذه الآية نزلت؟ فقالوا: الله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٩).

فغضب عمر، وقال: قولوا: نعلم، أو: لا نعلم. فقال عبد الله بن عباس: إن في نفسي منها شيئًا يا أمير المؤمنين. ثم قال: قل يا ابن أخي، ولا تحقرنَّ نفسك. قال: إن هذه الآية ضُربت لعمل رجل. قال: وأيُّ رجل؟ قال: لرجل عمل بطاعة الله ﷻ ثم بعث الله إليه الشيطان، فعمل بمعصية الله ﷻ، فأغرق أعماله(١).

ذكر ابن كثير عند هذه الآية أن هذا مثل عظيم لمن بدل مكان الحسنات سيئات، وانقلب علىٰ عقبيه، وغيَّر ما في نفسه من الخير إلىٰ الشر، كيف يعاقبه الله ﷻ(٢).

فهذا رجل عنده الجنات، وعنده الثمار اليانعة، ولكنه غيَّر، فأصاب الله ﷻ تلك الثمار وتلك الجنات بالإعصار الشديد، فذهبت أشجارها، وتساقطت ثمارها، وأصابتها النار، وقد صار شيخًا كبيرًا، لا يستطيع أن يعيدها، ولا أن يعمل فيها، وله ذرية صغار، لا يقومون بالعمل، كيف يكون حاله؟ فهكذا من بدَّل وغيَّر، فأدركه الموت وهو علىٰ حالته من التغيير والتبديل، يتمنىٰ أن يرجع إلىٰ ما كان عليه من العمل الصالح والطاعة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقد ذكر الله ﷻ أهل سبإ، وهي مملكة في بلاد اليمن، وما أغدق الله عليهم من الخيرات والبركات والنعم الكثيرة، قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]، جمع الله لهم نعمًا كثيرة، جنات، أنهارًا، بلدة طيبة، طيِّب هواؤها، نقية صافية، وهكذا وعدهم الله ﷻ بالمغفرة: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، ولكنَّهم ما شكروا الله،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير، ت سلامة (١/ ٦٩٦).

ولا عبدوه حق عبادته، بل غيَّروا وبدَّلوا وأعرضوا وكفروا، قال الله ﷻ: ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٦، ١٧] ذهبت تلك الأشجار، وانتهت تلك الثمار، وانقطعت تلك الأنهار، وأبدلهم الله ﷻ مكانها شوكًا، وربما شيء من السدر القليل(١)، الذي لا يستفيدون منه، ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٧، ١٨]، وهذه نعم متضاعفة، أنْ جعل الله في أرضهم الأمن والأمان، والسلامة والاطمئنان، ينقلون ثمارهم وتجارتهم من بلاد اليمن إلىٰ بلاد بيت المقدس، وينتقلون من قرية إلىٰ قرية في أمن وأمان واطمئنان، ولكنهم ما شكروا الله ﷻ، فسُلبت منهم هذه النعم، وحلَّت في أوساطهم النقم كما ذكر الله ﷻ، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٨، ١٩]، فرجعت بلدانهم بلاد خوف وهلع وفزع، وذهبت عنهم تلك النعم، وتفرقوا وتمزقوا شذرَ مذرَ، وذلك كله بسبب التغيير والتبديل.

وهكذا ذكر الله ﷻ مكة وأهلها قبل الإسلام، وما أنعم الله ﷻ به عليهم من الأمن والأمان والاطمئنان، ولكنَّهم ما شكروا نعمة الله ﷻ، كفروا به ﷻ، فلما جاءهم محمد ﷺ، ردُّوا دعوته، وأعرضوا عنه، وآذَوْه، وحاربوه، بل همُّوا بقتله ﷺ، فأصابهم ما أصابهم، قال الله ﷻ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً

(١) أي: قليل من شجر النَّبْق كثير الشوك.

﴿مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النحل: ١١٢] أمن وأمان واطمئنان ورغد في العيش من كل مكان، ولهذا يقول الله ممتنًّا عليهم ومذكِّرًا لهم بهذه النعمة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، ويقول الله: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩]، قال الله في هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣] مكان الأمن والاطمئنان خوف وهلع وفزع، كان أحدهم إذا خرج لا يستطيع أن يخرج لقضاء حاجته، أصابهم الجوع، حتىٰ أكلوا الجلود، قال النبي ﷺ: «**اللهم اجعلها عليهم سبعًا كسبع يوسف**»(١)، كسبع سنين كسبع يوسف، فأصابهم الله ﷻ بسبب تغييرهم وتبديلهم، وبسبب كفرهم وعنادهم، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

(١) أخرجه البخاري (١٠٠٧)، ومسلم (٢٧٩٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فما أكثر القصص والعبر التي ذكرها الله ﷻ في كتابه الكريم؛ ليستفيد منها أهل الإيمان، ويتعظون بها، وينتفعون، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم عن قرية من قرىٰ اليهود، وأخبر نبيه ﷺ أن يسأل يهود المدينة عن تلك البلدة، وما حصل من أمرها، ومن كفرها، ومن تحايلها، ومن عنادها، وكيف عاقبها الله ﷻ، قال الله سبحانه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣] أي: اليهود، ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣] كانوا يصيدون، وهم يعيشون علىٰ ساحل البحر، فإذا خرجوا في يوم السبت، خرجت الأسماك شُرَّعًا، فيصيدونها، فابتلاهم الله ﷻ، وحرم عليهم الصيد يوم السبت، ونهاهم عن ذلك؛ ليختبرهم، وينظر استجابتهم وطاعتهم وإذعانهم، فتمردوا وعصوا، **وانقسموا إلىٰ ثلاث فرق:**

أمَّا الفرقة الأولىٰ: فوقفوا عند حدود الله، وامتثلوا أمر الله، فلم يصيدوا في يوم السبت.

وأما الصنف الثاني: فهم أصحاب الحيل وأصحاب المغالطات، أخذوا شباكهم فوضعوها، في ذلك اليوم لم يصيدوا، وإنما وضعوها قبل ذلك، حتىٰ تقع فيها الأسماك، فإذا كان يوم الأحد أخذوها ورجعوا بها إلىٰ ديارهم، زعمًا منهم

أنهم ما صادوا يوم السبت.

فلما وعظهم أهل الإيمان ودعوهم بقيت فرقة ثالثة سكتوا عن هذا المنكر، لا هم بالذين شاركوهم فيه، ولا هم بالذين نهَوْهم عنه، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٤- ١٦٦]، كانوا في نعمة، وكانوا في رغد من العيش، الأسماك تأتيهم شُرَّعًا كما أخبر الله ﷻ، ولكنهم غيَّروا أمرَ الله، وتمرَّدوا علىٰ طاعة الله ﷻ، فانظر إلىٰ هذا التبديل والتغيير، كيف عاقبهم الله ﷻ، فصاروا قردة وخنازير.

وهكذا كم تجد في كتاب الله ﷻ عن الأمم الماضية كيف أنهم غيَّروا، فغيَّر الله ﷻ أحوالهم، قال الله سبحانه: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: ٥١]، إذًا ليس بين العباد وبين الله قرابة، ولا نسب، وإنما هي الأعمال، فمن أطاع الله ﷻ، أعانه وسدده، ومن خالف أمره وعصاه، خذله، والعقوبة علىٰ قدر الذنب في الدنيا والآخرة، ولهذا قال النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم: «**وما فَشَتِ الفاحشة في قوم حتىٰ يعلنوا بها، إلا ابْتُلوا بالأوجاع والطواعين التي لم تكن في أسلافهم**»، علىٰ قدر التغيير، وعلىٰ قدر التبديل، تكون العقوبة من الله ﷻ، «**وما منع قوم زكاة أموالهم، إلا مُنِعوا القطرَ من السماء، وما لم تحكم أئمتهم بما أنزل الله ولم يتخيروا من كتاب الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم**»(١).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، والبزار (٦١٧٥) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٧٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

إذًا فيا معاشر المؤمنين، إنَّ ما يحل بأهل الإسلام في أيامنا من الشر العريض، والفتن الكثيرة- إنما هو بسبب الذنوب والسيئات، وبسبب المخالفات، وبسب التَّمرُّد علىٰ طاعة رب الأرض والسماوات، وإلا فإن الله ﷻ قد وعدنا بالخلافة والتمكين، والنصر والتأييد، والحياة الطيبة السعيدة، إن نحن أطعناه واتبعنا أمر رسوله ﷺ، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]، ويقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ويقول الله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، هذا في الدنيا، وأما في الدار الآخرة فالله ﷻ يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

فالله الله عبادَ الله في الرجوع إلىٰ الله ﷻ، فإن البلايا والرزايا والنِّقم لا تُرفع عن الأمة، إلا إذا رجعت إلىٰ ربها وباريها وخالقها، فتابت من جميع ذنوبها، واستقامت علىٰ طريقة نبيها ﷺ، ظاهرًا وباطنًا، قولًا وعملًا، في كل صغيرة وكبيرة، هذا هو المخرج، وهذه هي النجاة.

نسأل الله ﷻ أن يدفع عنا وعنكم وعن سائر المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم من أرادنا وديننا وبلدنا بسوء، فاجعل كيده في نحره، واجعل الدائرة عليه، إنك قوي متين، والحمد لله رب العالمين.



فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، نحمد الله ﷻ الذي جمعنا في هذا المجلس بإخواننا وأحبَّتِنا في هذه البلدة في مجلس من مجالس العلم والذكر، في بيت من بيوت الله ﷻ، هذه المجالس التي هي من أغلىٰ ما يحافظ عليه أهل السنة والجماعة، مجالس الذكر ومجالس العلم، فتراهم يرتادونها ويستفيدون منها، وتنشرح صدورهم لها، ولا يرغبون عنها، قال الله ﷻ: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا

﴿يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، الناس يجرون وراء الدنيا، ويتنافسون فيها، وربما يتقاتلون من أجلها، ومن أجل مناصبها، وجاهها، وشهواتها، وأهل السنة والجماعة يتسابقون إلىٰ مثل هذه المجالس، إنها القناعة، القناعة بهذا الخير، والرضا به، والسعادة والطمأنينة التي يجدونها في قلوبهم، وهم يجلسون في مجالس الذكر وحِلَقِ العلم، فهنيئًا ثم هنيئًا لأهل السنة، هذا التوفيق وهذا الإكرام من الله ﷻ.

أيها الإخوة، هذه المجالس هي تدور حول القرآن والسنة، فإما أن يتكلم المتكلم عن آيات من القرآن، وإما أن يتكلم عن أحاديث من أحاديث النبي ﷺ، وهذا هو الغذاء الروحي الذي به تنتفع الأمة، وتعيش حياة سعيدة إذا كان هناك علم وعمل، هذا هو الغذاء الحقيقي، الذي ينبغي أن نرجع إليه، وأن ندعو إليه، وأن نعمل به، هذا هو الغذاء، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

ولهذا أحببت في هذا المقام أن أعلق باختصار علىٰ آيات من كتاب الله ﷻ طالما نسمع هذه الآيات، وما أحوج السني السلفي الذي سلك هذا السبيل أن يتمعَّن في معاني هذه الآيات، وأن يتمعَّن فيما اختاره من هذا الطريق، وأن يتدبَّر ما يلحقه من التَّبعات، وأن يكون علىٰ يقين، وأن يكون علىٰ ارتباط بربه ﷻ، فهو الذي يعينه، وهو الذي يسدِّده، وهو الذي يدفع عنه، وهو الذي يوفِّقه، ولهذا كان نبيُّنا ﷺ كثيرًا ما يلجأ إلىٰ ربه فيدعوه، ويستغيث به: «**اللهم إني أسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ**»(١)، ويقول: «**اللهم اهدني وسددني، ، رب أعنِّي ولا تعن**

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢١).

عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، واهدني ويسر هداي إليَّ ...»[(١)] إلىٰ آخر الحديث، «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلىٰ طاعتك**»[(٢)]، هكذا كان نبينا ﷺ.

هذه الآيات هي آيات من أواخر سورة الحجر، قال الله ﷻ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٤- ٩٩].

هذا خطاب للنبي ﷺ الذي جاءنا بهذا الهدىٰ، والذي بعثه الله ﷻ، فأوحىٰ إليه القرآن، ومثلَه معه، والذي أيده بالملأ الأعلىٰ، هذا خطاب للنبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وبيانٌ له، أن هذا الحق الذي يحمله لا يحتاج إلىٰ تواني، ولا إلىٰ فتور، ولا إلىٰ مداهنة، ولا إلىٰ مجاملة، ولا إلىٰ استخفاء، فإنه دين الله، وتوحيد الله، وعبادة الله، التي خلق الله ﷻ الإنس والجن لأجله، فكيف ينبغي لمن سار عليه أن يكون مستخفيًا، وأن يكون خاضعًا، وأن يكون متأرجحًا؟

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] قال أهل التفسير: اصدع من الصدع، أي: الإظهار، أن يُظهِرَ ما هو عليه من الحق، أن يُظهرَه للناس، وأن يدعو الناس إليه، وألَّا يبالي بمن أعرض عنه، أو خالفه، قال بعضهم: أو من الصَّدْع، وهو الشِّقُّ بين الشيئين، أي الذي يميز بين الحق والباطل، ويفرق بين المؤمن والفاجر، أو المؤمن والكافر، فالله ﷻ يأمر نبيه وهو أمر له ولسائر الأمة، أن يصدع بالحق، وأن يعلن كلمة التوحيد، وأن يبيِّن للناس البيان الواضح الذي ليس فيه تعمية، ولا تشويش،

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٠)، والترمذي (٣٥٥١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

ولا ضعف، ولا مداهنة، ولا مجاملة، ونظير هذه الآية قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، وقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فيها قولان لأهل التفسير:

القول الأول: أنه أُمر ﷺ بالإعراض عن أهل الشرك، فلا يخاصمهم، ولا يجادلهم، ولا يجاهدهم، وكان هذا في أول الأمر، ثم نُسخ بالآيات الكثيرة التي فيها الدعوة إلىٰ الله ﷻ باللسان، والتي فيها إقامة شعيرة الجهاد بالسيف والسِّنان.

والمعنىٰ الثاني: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ما دام أنك تصدع بالحق، وتقوله، وتسير عليه، فلا تُبالِ بالمشركين، ولا تُبالِ بالمعرضين، ولا تُبالِ بالمغرضين، ولا تُبالِ بالمعادين، فإن الله ﷻ سيكفيك ذلك كله، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ﴾ [الزمر: ٣٦]، أليس الله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]؟ أليس الله ﷻ هو القائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]؟ وتنبه لقوله ﷻ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]؛ أي: في حدود المشروع، وبما جاء في أدلة الشريعة المطهرة، فلا تتجاوز الحدود، ولا تخالف المأثور، وإنما كتاب وسنة علىٰ فهم سلف الأمة، فإن كنت علىٰ هذا الطريق، وآخذًا بهذا المعتقد الصحيح، فاصدع به، ولا تخجل، واصدع به، ولا تخف، واصدع به، ولا تُبالِ بمن أعرض أو شرَّق أو غرَّب، ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

لمَّا نزل علىٰ النبي ﷺ الأمر من الله ﷻ بتبليغ الرسالة - قام بها خير قيام، فهو القائل حين جاءه مالك بن نضلة، فقال: إِلَامَ تدعو؟ فقال: «**أتتني رسالة من ربي،**

فضقت بها ذرعًا، فقيل لي: إما أن تفعل، وإما أن يُفعل بك»(١)، فأعانه الله، وسدده الله، وعَلِمَ ﷺ أن حِمْلَ هذا الهم وهذه المسئولية وهذه الأمانة معناها مفارقة القريب والبعيد، معناها تجمُّع الأعداء، معناها تخاذُل الأقرباء، لكنَّه لم يتلكأْ، ولم يتأرجحْ، وقد سمعها مدوِّيةً من أول أمره حين جاءه جبريل وهو في غار حراء، فارتعدت فرائصه، ورجع إلىٰ زوجته خديجة، وهو يقول: «**زملوني زملوني**»، فذهبت به إلىٰ ابن عمها ورقة بن نوفل، وقالت له: اسمع من ابن أخيك. فلمَّا سمع منه، قال له ورقة بن نوفل ﷺ، قال له: يا ليتني فيها جَذَعًا، إذ يخرجك قومك. قال النبي ﷺ: «**أو مخرجي هم؟**» لماذا يخرجوني؟ ما هي الجريمة التي اقترفتها؟ «**أو مخرجي هم؟**» قال: نعم، ما جاء أحد بمثل ما جئت به، إلا عودي وأوذي(٢).

فيا أيها السلفيُّ، اجعل هذه العبارة نصب عينيك: ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي وأوذي. الحق ثقيل علىٰ النفوس، وأهل الباطل يتكالبون علىٰ أهل الحق من كل حدب وصوب، وقلَّ من ينشرح صدره وتطمئن نفسه للعمل بشرع الله ﷻ من جميع جوانبه، وأَخْذِ أدلة القرآن والسنة بقناعة تامة، فلا بد من الأذىٰ، ولا بد من العدىٰ، ولا بد من التعب في هذا السبيل، قال: ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي وأوذي، ولئن أدركني يومك، لأنصرنَّك نصرًا مؤزرًا.

انطلق النبي ﷺ، فلم يرجع إلىٰ داره يتباكىٰ، أو ذهب إلىٰ عظماء المشركين يتوسَّل، أو قبل بأنصاف الحلول، بل ذهب مُعنِقًا، وأعلنها مدوِّية: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:

---

(١) أخرجه الحميدي (٩٠٧) إسناده صحيح، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا الوداعي رحمه الله (١٠٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة ﵂.

١٠٨]، خرج النبي ﷺ وحيدًا، ليس له في ذلك الزمن من يناصره، ولا من يقف إلىٰ جانبه، ولا من يدفع عنه أذىٰ الأعداء، فذاك يأتي إليه، حتىٰ يصل إليه فيخنقه بردائه، حتىٰ يكاد يقتله، وذاك يشتمه ويسبه، وذاك يرميه بالأحجار، وهو يدعو إلىٰ الله، ويصبر في هذا المضمار، يخرج في أسواق الناس ومجامعهم، غريب، يدعوهم إلىٰ الله ﷻ، ويقول لهم: «**يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله. تفلحوا**»(١)، تصوَّرْ، مجتمع يعبد أصنامًا كثيرة، وعنده آلهة عديدة، ثم يُدعىٰ إلىٰ تركها، والتخلص منها، كيف يكون حالهم؟ وكيف رَدةُ فعلهم؟ ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

يا أيها الناس، النبي ﷺ جاء إلىٰ مجتمع بشيء جديد لا يعرفونه، يخالف طريقة الآباء، ومسلك الأجداد، يخالف ما هم عليه أصلًا ورأسًا، ومع ذلك ثبت ﷺ، وأما نحن نعيش في مجتمعات مسلمة، وفي مجتمعات موحِّدة، وإن وُجد في أوساطها شيء من البدع والخرافة وبعض المنكرات والمخالفات، ولكننا نجد آذانًا صاغية، وقلوبًا واعية، تدرِكُ الحق فتعتنقه، وتقبل بالسنة، وتفرح بها، النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم آذاه قومه، ومكروا به، وأرادوا الفَتْكَ به وقتلَه أكثر من مرة، يريدون إخماد الحق، وإسكات هذا الصوت الذي يناديهم إلىٰ الله، ويدعوهم إلىٰ توحيد الله، وينهاهم عن عبادة الأوثان والأصنام والأنداد، يأتون إلىٰ عمه يتوسَّلون أن يصنع له حلًّا ليوقفه، فيرسلون إليه الوساطات، ويذهبون إليه الواحد بعد الآخر، يا محمد، لقد سفَّهت أحلامنا، وعبت آلهتنا، ولا ننتظر إلا مثل صيْحةِ الحبلىٰ، ونتجالد بالسيوف، فما هو الذي تريد؟ إن كنت

(١) أخرجه ابن خزيمة (١٥٩)، وابن حبان (٦٥٦٢) وصححه الألباني في «التعليقات الحسان علىٰ ابن حبان» (٦٥٢٨).

مريضًا عالجناك، وإن كان ما هي إلا شهوة النساء، زوجناك أفضل وأجمل بناتنا، وإن كنت تريد الملك والجاه، ملكناك علينا، ماذا تريد؟ فقرأ عليهم، قرأ علىٰ ذلك الذي حدثه سورة فصلت، حتىٰ وصل قول الله ﷻ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣][(١)]، هكذا الصدع بالحق، أليس النبي ﷺ يحب أن يعيش في سلامة، ويحب أن يعيش في سكينة وهدوء لا يؤذيه أحد؟ بلىٰ، ولكنَّ من أخذ علىٰ عاتقه هذه الدعوة العظيمة، لا بد أن يعلم أن هذا السبيل محفوفٌ بالمكاره، فيه العقبات الشديدة، فيه الأذيَّات العديدة، يجتمع أهل الباطل ويتكالبون، وعلىٰ نصرة ما عندهم يتفقون، وعلىٰ حرب أهل الحق يجتمعون، ولكنه الصدع بالحق، نبينا صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم لم يتنازل عن دينه من أجل المال ولا الجاه ولا النساء ولا الملك؛ لأن هذه أمور زوالها عما قريب، وسيلقىٰ الله ﷻ وحيدًا فريدًا، فسيُسأل عن هذا الدين، وسيُسأل عن هذا القرآن، فلم يبالِ بتُرَّهاتهم، ولم يبالِ بما جاءوا به، وما عرفوه، بل صبر، وتحمل، وجاهد في الله حق جهاده، كان يخرج إلىٰ الأسواق كما في حديث سالم الديلي، ذي المجاز والمِجنَّة، يدعو الناس إلىٰ التوحيد وعمه أبو لهب يراجمه بالحجارة، حتىٰ يدمي عرقوبيه ﷺ، وهو يقول: «**يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله. تفلحوا**»[(٢)]، وعمه يقول بعده: هذا ابن أخي، هذا كذَّاب، لا تصدقوه.

فيا أيها السلفي، هل مر بك يوم من الأيام والناس يرجمونك بالحجارة وأنت علىٰ المنبر؟ هل مر عليك يوم من الأيام أنت تقول: قال الله وقال رسوله. وهناك

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٢).

(٢) أخرجه ابن خزيمة (١٥٩)، وابن حبان (٦٥٦٢) وصححه الألباني في «التعليقات الحسان علىٰ ابن حبان» (٦٥٢٨).

من يسكتك، ويقول: هذا كذاب، لا تصدقوه؟

الله الله عبادَ الله، بالصبر علىٰ هذا المسير، والعمل بما جاء عن البشير النذير، فهذا نبينا ﷺ يصدع بالحق في وسط الجاهلين، وفي مجتمعات المشركين، الذين ما وجدوا من وصف قبيح، ولا قول شنيع، إلا وألصقوه به عليه الصلاة والسلام: كذاب، ساحر، مجنون، أساطير الأولين يأتي بها، وهكذا غيرها من تلك الأوصاف، وتارة يقولون: شاعر. وتارة يقولون: ما يأتي به يكتبه له فلان. فصبر النبي عليه الصلاة والسلام، وصدع بالحق، صدع بالحق، ولم يبالِ، كان يمر بجانب الكعبة، فيسخر منه عظماء المشركين، ويتمايلون طربًا وقهقهة، ويسخرون من النبي عليه الصلاة والسلام، ويأتي أحدهم وهو عقبة بن أبي معيط، والنبي ﷺ ساجد بجانب الكعبة، فيضع علىٰ ظهره سلا الجزور، فيتقهقهون ويضحكون، ثم يرفع النبي ﷺ يديه بعد أن ينتهي من صلاته، ويقول: «**اللهم عليك الملأ من قريش، اللهم عليك الملأ من قريش**»(١) يدعو عليهم، ويقول لهم: «**يا معشر قريش، لقد جئتكم بالذَّبْح**»(٢) فلم يتضعضع، ولم يضعف؛ لأنه يعلم أنه مُؤَيَّدٌ من الله، وأنه يدعو إلىٰ دين الله، وأنه يحمل رسالة الله، والله ﷻ قد بيَّن له عظم هذا الأمر، وثقلَ هذه المهمة، ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

في هذه الآية يقول الله ﷻ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٤، ٩٥] الأمور كلها بيد الله، ونواصي العباد بيد الله ﷻ، وهو الذي يقول للشيء: كن. فيكون. إنما الواجب علىٰ العبد أن يدعو إلىٰ الحق، وأن يسير علىٰ الحق، وأن يتمسك به، وقلوب العباد بيد الله سبحانه، فهو الذي يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضله، ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي عدله، وهو

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٥٤)، ومسلم (١٧٩٤).

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٥٦٧) وحسنه الألباني في التعليق عليه.

الذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويرفع من يشاء، ويخفض من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، له الأمر من قبل ومن بعد، ﷻ، فهو يقول لنبيه ﷺ: لا تتهيب؛ فإن الله معك، ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾، لا تتخوَّف من الشانئين، ولا من المغرضين، ولا من المشركين؛ فإن معك رب العالمين، الله ﷻ الذي قال في الآية الأخرىٰ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال في آية أخرىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤] أي: كافيك، والقائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، لمَّا قال المشركون لليهود، لكعب بن الأشرف: انظر إلىٰ هذا الصُّنبور المنبتر، ونحن سدنة البيت، وخدمة الحجيج، ونفعل ونفعل. فأنزل الله هذه السورة وهذه الآية: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١- ٣]، مبغضك يا محمد هو المنقطع، هو المنتهي، هو المضمحلُّ، وهذا مصير الباطل في كل زمان ومكان، وإنما هو الابتلاء عبادَ الله، فالحق منصور، الحق عالٍ، كما أخبر الله في كتابه، وأخبر به نبيه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]، «**لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلىٰ قيام الساعة**»(١)، فالحق منصور بإذن الله ﷻ، وإنما هي ابتلاءات وامتحانات واختبارات: ﴿الم ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١- ٣]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١، ٢]، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فإذًا يا عبد الله، إن كنت تصدع بما أمرك الله ﷻ من الحقِّ والهدىٰ، فلا تلتفت يمنةً ويسرةً، ولا ترجع القهقرىٰ، بل امضِ قُدُمًا، واستعن بالله ﷻ، فإن الله كافيك، وإن الله مؤيدك، وهو أعلم بالعباد وقلوبهم ومصالحهم ومنافعهم ومضارِّهم، فهو الخالق لهم ﷻ، قال الله ﷻ في هذه الآية: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٤، ٩٥] أمور العباد بيد الله ﷻ، جاء في حديث أنس عند الإمام أحمد: أن النبي ﷺ أرسل رجلًا من أصحابه إلىٰ عظيم من عظماء المشركين، يدعوهم إلىٰ الله ﷻ، فلما وصل عنده جعل يسخر ويقول: أربك هذا الذي تدعوني إليه من حديد؟ أم من نحاس؟ أم من ذهب؟ فرجع الصحابي حزينًا إلىٰ النبي ﷺ، وأخبره، فقال له: «**ارجع إليه مرة ثانية**»، فرجع إليه، ودعاه، فكرر عليه العبارة: أربك هذا الذي تدعوني إليه من نحاس؟ أم من حديد؟ أم من ذهب؟ فرجع الصحابي، فقال له النبي ﷺ: «**ارجع إليه**»، فرجع إليه، وأعاد عليه نفس الكلام، فلما رجع إلىٰ النبي ﷺ قال له: «**إن الله قد أخذ صاحبك**»(١)، أنزل الله عليه صاعقة من السماء، فأخذت بقُحْفِ رأسه، وأنزل الله ﷻ: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

انظر في القرآن العظيم، وتصفح في سير المرسلين، وما حصل لهم مع أقوامهم، وكيف كان نصر الله المبين وتأييده العزيز العظيم في كثير من المشاهد والمواقف؟ أولئك أرسل عليهم الريح العقيم، وآخرون أغرقهم في البحر واليم،

---

(١) أخرجه البزار (٧٠٠٧) والطبراني (٢٦٠٢)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا الوادعي رحمه الله تعالىٰ (٩١).

وآخرون قُلِبَت عليهم قراهم ظاهرها وباطنها، جُعل أسافلها أعاليها، وآخرون أُخذوا بالصيحة، وآخرون وآخرون، ولما هجم المشركون علىٰ المدينة النبوية، أرسل الله ﷻ عليهم ريحًا، فكانت سبب هزيمتهم ونكولهم، فرجعوا خائبين، وأيَّد الله نبيه في كثير من المشاهد والمعارك بالملائكة في بدر وأحد، كما أخبر الله ﷻ في كتابه الكريم، واقرأْ سورة الأحزاب، ترَ ذلك واضحًا جليًّا، إذًا فهذا ليس علىٰ الله بعزيز أن يُسخِّرَ الله الأرض أو السماء أو الجبال أو الأشجار أو الرياح أو الملائكة.

لما خرج النبي ﷺ حزينًا، ولم يستجب له أهل الطائف، خرج مغمومًا مهمومًا، حتىٰ وصل إلىٰ قرن الثعالب، فسمع صوتًا من فوقه، فنظر، فإذا جبريل، فقال له: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك، وما قالوا فيك، وما ردُّوا عليك، وهذا مَلَكُ الجبال، أرسله الله ﷻ؛ لتأمره فيهم بما شئت. فسلم عليه ملك الجبال، وقال: يا محمد، إن شئت أطبقت أو أطبق عليهم الأخشبين، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين. جبلان في مكة، تقع مكة بينهما، فقال النبي ﷺ: «**بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله**»(١).

الشاهد من هذا: أن الله ﷻ هو الذي يكفي عباده المؤمنين، وهو الذي ينصر عباده الموحدين، وهو الذي يؤيد عباده الصادقين.

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤، ٩٥] يا أيها الناس، دعوة أهل السنة والجماعة الدعوة السلفية من أعظم الأسس التي تقوم عليها أنها دعوة قائمة علىٰ الصدع بالحق، وعدم المداهنات، وعدم المجاملات، فيقولون للمبطل: مبطل، كما جاء في الأدلة من كتاب الله ﷻ، ومن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

سنة رسوله ﷺ، فهم لا يرجون من الناس نوالًا، ولا يطمعون منهم في مال، ولا يريدون منصبًا، ولا جاهًا، ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] ولهذا أثمرَتْ دعوتهم، وجعل الله فيها البركة، فنحن في حاجة إلىٰ الصبر، فنحن في زمن الفتن، وفي زمن الشهوات، وفي زمن البدع والخرافات، أَوَمَا سمعتم أن من المسلمين من يريد أن يداهن اليهود والنصارىٰ فيجعلهم من سكان الجنة، ويضيع أصلًا من أصول الإسلام وهو أصل الولاء والبراء، فيقولون: ما دام أن اليهود عندهم دين، والنصارىٰ عندهم دين، فنحن كلنا من أهل الجنة، فيُدعىٰ لهم بالمغفرة والرحمة، ويُصلىٰ علىٰ ميتهم، ويُستغفر لهم؟ هذه دِعاية يدعو إليها كثير ممن ينتسبون إلىٰ الإسلام زورًا وجهلًا، فلا تستغرب أن تجد من يريد خلط الحق بالباطل، والدعوة إلىٰ التقارب مع أهل البدع والأهواء، وخلطِ السنة بالبدعة، والسكوت عن المبطلين والغاشِّين الذين يغشون المجتمعات في عقيدتهم، وفي عبادتهم، وفي منهجهم، وفيما يتقربون به إلىٰ ربهم ﷻ، فما علىٰ المؤمن أن يكون إلا أن يكون صافيًا نقيًّا، ثابتًا تقيًّا، صادعًا بالحق، لا يبالي بمن شرَّق أو غرَّب، أهل السنة والجماعة يحبون من الأمة الإسلامية أن تجتمع كلمتها، وأن تتوحد صفوفها، وأن تتقارب قلوبها، لكن ليس علىٰ هوىٰ، ولا علىٰ بدع، ولا علىٰ آراءَ بشرية، ولا علىٰ قوانين وضعية، وإنما علىٰ أدلة ربانية، وأحاديث نبوية، فإن الأمة لن تجتمع علىٰ غير ذلك، فالعقول قد تختلف، والأفكار تتناقض، والآراء تتصادم، ولا يجتمع العباد إلا علىٰ الوحي المبين والصراط المستقيم الذي جمع الله ﷻ به المهاجرين والأنصار، وجمع به الأوس والخزرج، وصاروا أمة واحدة، سطَّرت أروع التاريخ وأعظمه، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ

﴿كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣] لو قرأ الإنسان في التاريخ ما كان عليه أهل المدينة من التنافر والتناحر والتقاتل، سُفكت دماء، قُطِّعَت أعراض ومُزِّقَت، وهكذا حصل شر عظيم، فجاء الله بهذا النبي الكريم، فجمع الله به القلوب، ووحد به الصفوف، كما أخبر الله ﷻ في كتابه الكريم، فلولا رحمة من الله ﷻ ببعثة نبيه ﷺ، لما سمعتَ بالأنصار، ولا سمعت بالأوس والخزرج.

إذًا فيا أيها المسلمون، اجتماع المسلمين أمر مطلوب، لكنه علىٰ هذا القاسم المشترك: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ علىٰ فهم سلف الأمة، بغير إفراط، وبغير تفريط، وعلىٰ أهل السنة أن يكونوا علىٰ ذلك، دائمًا وأبدًا، أن يكونوا علىٰ ذلك، فهم أرحم الناس بالناس، أرحم الناس بالناس، ولهذا كان يقول بعض السلف: نحن أرحم بالمبتدعة من آبائهم، وأمهاتهم، فتحذيرنا من بدعهم تخفيف لهم من الأحمال التي يحملونها، ومن الأوزار التي تثقلهم، ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

يا أيها الناس، الله يقول لنبيه في هذه الآية: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٤، ٩٥]، فأنت لست موكَّلًا بخلق الله ﷻ، إنما عليك البلاغ، إنما عليك النصح، إنما عليك البيان، إنما عليك الدعوة في حدود شرع الله ﷻ، فمن أعرض عن دعوته، فالله يتولاه، ومن عاندك وحاربك، فالله ﷻ خبير به، وهو سيكفيك إن صدقت مع الله، سيكفيك إن صدقت مع الله.

ولنقرأ ما جاء عن السلف الصالح الكرام من زمن النبي ﷺ وصحبه الأفاضل إلىٰ هذه الأزمان من صبر أهل العلم وثباتهم، وصدعهم بالحق وشجاعتهم، في زمن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، في زمن الخلافة الأُموية، في زمن الخلافة العباسية، في زمن الخلافة العثمانية، وهلم جرًّا، إلىٰ يومنا هذا، وأهل هذه الطائفة

المنصورة يصبرون علىٰ الحق، ويصدعون به، قلَّت أعدادهم، أو كثرت، أقبل الناس، أم أعرضوا، فإن الناس لا محالة يرجعون إلىٰ قول أهل السنة قريبًا أم بعيدًا، وإن لم يرجعوا في هذه الدنيا، فسيعرفون الحق بين يدي الله ﷻ، ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢]، ويقول الله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٧]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ۝٥٥ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٥، ٥٦]، أهل الحق الذين يدرسون الحجج، ويشيرون علىٰ الدليل، ويُقبلون علىٰ الخير الذي هم عليه- تكون حجتهم قاهرة، ودليلهم ظاهرًا في الدنيا والآخرة، حتىٰ في عرصات القيامة، يبرزون هذه الحجة، ويأذن الله ﷻ لهم بهذا الحديث، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وبعد هذا عبادَ الله، بعد أن أرشد الله نبيه ﷺ، أن يمضي قدمًا، فلا يلتفت إلىٰ الوراء، ولا يلفت يمينًا ولا شمالًا، وإنما يصدع بالحق، ويمشي علىٰ الأمر، ويصبر علىٰ هذا الطريق، ويعلم أن الله ناصره، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۝٩٥ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٥، ٩٦] كلُّ من عادىٰ الحق وأعرض عن الدين وكفر برب العالمين، فالله كافيه، والله معاقبه، فإن أُمهل في الدنيا، فعذاب الآخرة أشدُّ وأبقىٰ، إن سلم من العقوبات العاجلة، فإن الحساب عند الله شديد، والعقاب عنده أليم، .ﷻ

ثم قال مسليًا لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧] مهما بلغ الإنسان في اليقين، في الثبات، في السكينة، في العمل بالحق، في الثقة بنصر

الله ﷻ- لا بد أن يعتريه شيء من الأحزان، والهموم، والكروب؛ بسبب ما يحصل له من العداوة، ما يحصل له من المعارضة، ما يحصل له من المحاربة، ما يحصل له من محاربة الحق، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٧، ٩٨] هذا هو المخرج يا عباد الله، هذا هو السلوان، أن يقبل العبد علىٰ طاعة الله ﷻ، فكلما أقبل علىٰ طاعة الله، فُرِّجَت همومه، وكُشفَت كروبه، وسعدت نفسه، واطمأن قلبه، قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] منك الإيمان والعمل الصالح، والحياة الدنيا بيد الله ﷻ، هو الذي يصرِّفها كيف يشاء سبحانه، وهو الذي يسعد من يشاء، ويشقي من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، كان نبينا ﷺ كما عند أبي داود عن حذيفة، كان إذا حزبه أمر صلىٰ. بعض الناس إذا حزبه أمر غنَّىٰ، رجع للأغاني والمزامير، وترك العبادة، كان إذا حزبه أمر صلَّىٰ، وكان يقول: «**أرحنا بها يا بلال**»(١)، في طاعة الله ﷻ الراحة، والسعادة، والطمأنينة، يذهب عنك هموم الدنيا كلها، ولو عاداك من عاداك، فأنت مع الله.

كان شيخ الإسلام، وهو في سجن القلعة، وقد سُجن وأُوذي وعُذب، يقول: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أنا سجني خُلوة، وإخراجي من بلدي سياحة، قال: وقتلي شهادة، ثم يقول: لا أدري بما أكافئ هؤلاء. أَقبلَ علىٰ الطاعة، وأَقبلَ علىٰ الصيام، وأَقبلَ علىٰ القيام، وأقبل علىٰ قراءة القرآن؛ فانشرح صدره واطمأن، فصار في حياة سعيدة لا يعلمها إلا الله ﷻ.

يا أيها الناس، أما سمعتم حديث النبي ﷺ الذي رواه الإمام أحمد من حديث

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٠٨٨)، وأبو داود (٤٩٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩٢).

عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**ما أصاب أحد قط همٌّ ولا حزنٌ ثم قال: اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع صدري، ونور قلبي، وجلاء حزني**»(١)، إنما نؤتىٰ من ضعفنا في عبادة الله ﷻ، نؤتىٰ من معاصينا، نؤتىٰ من قبل ذنوبنا، وإلا فإن من كان مع الله، كان الله معه، ألم يقل النبي ﷺ: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف**»(٢)؟ ضعف اليقين، واهتزت العقيدة، وقلَّت الأعمال، وكثرت المعاصي والسيئات، فمن هنا يحصل الخللُ، وتتوالىٰ الهزائم، وتحصل التنازلات عن دين الله ﷻ.

النبي ﷺ يقول في هذا الحديث: «**أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي. إلا أذهب الله حزنَه، وأبدله مكانه فرحًا**»(٣) أو كما قال ﷺ، قالوا: يا رسول الله، ألا ينبغي أن نتعلمها؟ قال: «**نعم، ينبغي لمن سمعه** - أي: هذا الحديث - **أن يتعلمه**»، فالله ﷻ يسلي نبيه ﷺ بما حصل له من الأذىٰ الشديد، ومن الكروب العديدة، ومن كيد الكائدين، ومكر الماكرين، الذين

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧١٢)، ابن حبان (٩٧٢) وصححه الألباني «صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٣٠٢).

(٣) أخرجه أحمد (٣٧١٢) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٢٢).

مكروا به ليلًا ونهارًا، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، فالله يقول له في هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٧، ٩٨] فالمراد بهذا أن يقبل علىٰ الصلاة والتسبيح والدعاء، ليس المراد سجود التلاوة، عند جماهير أهل العلم، وإنما المراد الإقبال علىٰ الصلاة، إنما ذكر السجود؛ لأنه أعظم المواطن التي يكون فيها العبد قريبًا من ربه ﷻ، فيناديه، ويتضرَّع بين يديه، ويناجيه، ويخضع له، ويدعوه، قال النبي ﷺ في السجود: «**أكثروا من الدعاء؛ فقَمِنٌ أن يستجاب لكم**»(١)، فأرشده إلىٰ ما يسلي نفسه، ويطمئن قلبه، وإن كثر الأعداء، وإن تخلىٰ الأصدقاء، فيا صاحب الحق، ويا حامل العلم، لا تستوحش من قلة السالكين لهذا السبيل، ولا تغتر لكثرة المتساقطين الهالكين، الذين ربما يبيعون دينهم بعرض من الدنيا، بل ومنهم من يوزع دينه مجانًا.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧- ٩٩] قال ابن القيم رحمه الله: أجمع أهل العلم أن المراد باليقين في هذه الآية الموت، وهو كذلك في صحيح الإمام البخاري، أن النبي ﷺ قال في عثمان بن مظعون، قال: «**أما هو فقد أتاه اليقين من ربه**»(٢)، فنحن مأمورون بعبادة الله ﷻ، حتىٰ نفارق هذه الدنيا، وحتىٰ تخرج أرواحنا من أجسادنا، هذا الذي طالبنا الله به، هذا الذي أمرنا الله به، ألم يكن نبينا ﷺ يردِّدُ في كل خطبه أو في أكثرها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا

(١) أخرجه مسلم (٤٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري (١٢٤٣).

﴿تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]؟ أي: لازموا الإسلام، تمسكوا به حتىٰ تفارقوا الحياة، اصبروا علىٰ هذا الدين، اصبروا علىٰ التمسك به، فإن العبد يحتاج إلىٰ صبر عظيم، «**يأتي علىٰ الناس زمان، القابض علىٰ دينه كالقابض علىٰ الجمر**»، «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبىٰ للغرباء**»(١)، فنحن مطالبون بالإقبال علىٰ عبادة الله ﷻ، ومَن أقبل علىٰ طاعة الله ﷻ، فلن يُخيِّب الله سعيه، ولن يردَّه خائبًا، فالله هو أكرم الأكرمين، وهو العظيم الحليم، وهو الذي بيده نواصي العباد، الذي نصر عباده الأولين، من الأنبياء والمرسلين، وهزم المعارضين الكافرين المشركين، في المشاهد التي نقرأها في القرآن العظيم، فعلينا أن نكون من أهل اليقين، الذين يؤمنون بما جاء عن الله، وجاء عن رسول الله ﷺ إيمانًا جازمًا، ونعمل بذلك عملًا صادقًا، ونرجو من الله ﷻ ثوابًا وإكرامًا، فيا أيها الناس، الله ﷻ يقول في ختام هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾، أنت لا تملك نواصي العباد، دعهم يفعلون ما يشاءون، أنت قم بما أوجب الله عليك، والأمور الأخرىٰ كلها بيد الله، من دفع شر الأشرار، وكيد الفجار، وهداية الأبرار، أنت مطالب بعبادة الله، وبتوحيد الله، وبإقامة توحيده، والسير علىٰ هذا المنهج القويم، هل الذي تُطالب به، وأن تكون علىٰ مع الحق قولًا وعملًا في كل زمان ومكان، ولا تبالِ بمن خالف ذلك قريبًا كان أو بعيدًا، والكلام عن هذا الباب يطول، ولكن نكتفي بهذا القدر.

ونسأل الله ﷻ بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن يوفقنا وإياكم لما يحب

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥).

ويرضىٰ، وأن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، كما نسأله ﷻ أن يجمع كلمة المسلمين علىٰ الحق المبين، وأن يوحِّد صفوفهم علىٰ الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وأن يرد كيد الكائدين في نحورهم، وأن يمكر بمن مكر بدين الله ﷻ، اللهم عليك باليهود والنصارىٰ والمشركين، اللهم عليك بالرافضة المجوس الزنادقة، اللهم عليك بهم، اللهم عليك بهم، إنك قوي متين، وعزيز حكيم، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وبارك الله فيكم.



ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وإنما توعدون لآتٍ، وما أنتم بمعجزين.

حديثي معكم في هذا المقام عن أمر عظيم، عن أمر ينتشر في بلاد المسلمين، ينتشر مع وجود العلم، ينتشر مع كثرة النصح، ينتشر مع وجود اليقظة العلمية وانتشار العلماء والناصحين والواعظين والمحدثين، ومع ذلك ينتشر هذا الأمر، لو نظرنا في أيام آبائنا وأجدادنا مع قلة العلم وضعف الوعي، وشدة بأس الكافرين، ونشر أفكارهم السيئة، إلا أن هذا المنكر الذي سنتحدث عنه لم يكن منتشرًا كما هو الحال في أيامنا.

يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، إنها فاحشة الزنا، التي تتفشىٰ وتنتشر، لا أقول: في المجتمعات الكافرة، فإنهم لا يتحرَّون شيئًا، ولا يتحرَّجون من منكر فعلوه، فليس عندهم دين يضبطهم، ولا أخلاق، ولا قيم، ولا أقول هذا أيضًا في المجتمعات المنفتحة من بلاد أهل الإسلام الذين قد اختلط في بلدانهم الحابل بالنابل، ولكن أقول: في بلادنا، فضلًا عن غيرها، انتشار الزنا، هذه الفاحشة وهذا المنكر الذي تفشَّىٰ هنا وهناك، لا أقول في المدن، بل وصل إلىٰ القرىٰ والبوادي، وها نحن نسمع وجدوا طفلًا في المزبلة الفلانية، والقمامة الفلانية، ونحن نسمع قضية تؤلم القلوب هنا وهناك بسبب هذا المنكر، الزنا كبيرة من الكبائر، قرنه الله ﷻ بالشرك الأكبر، قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩] جريمة شنعاء، يترتب عليها مفاسد كثيرة دنيوية وأخروية؛ ولهذا فإنه جُعل في دين الإسلام حكم هذا المنكر وهذه الفاحشة أن يُقتل صاحبها إن كان محصنًا، يُرجم بالحجارة حتىٰ يموت، فإن لم يكن محصنًا وكان بكرًا، فإنه يُجلد مائة جلدة؛ لشناعة هذا الفعل؛ لأنه يؤدي إلىٰ اختلاط الأنساب، ويؤدي إلىٰ ذهاب الفضيلة، وانتشار الرذيلة، وسائر الشرور التي تَتْبع ذلك، بل جاءت أدلة الكتاب والسنة بتحريم الوسائل والأسباب التي توصل إلىٰ هذه الفاحشة، وهو مقصودنا في هذا المقام، أن نذكر جملة من الأسباب التي تقود الناس إلىٰ الزنا، وتكون سببًا يوصلهم إلىٰ هذا المنكر، والأسباب كثيرة، **فمن هذه الأسباب:**

تبرُّج النساء، تبرُّج المرأة، سفورها، خروجها من دارها متزينة متعطرة متزركشة، لا تبالي بحيائها، ولا بسِتْرها، الذي جعلها الله ﷻ فيه، قال الله ﷻ:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، هذا كان في زمن الجاهلية، مع أن هذا لم يكن في أزمانهم المستمرة، وإنما في بعضهم، ولهذا وُجد في أزمان الجاهلية الفرق بين الحرائر والإماء، ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾، يقول النبي ﷺ، كما عند الترمذي من حديث ابن مسعود، وهو في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين»: «**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»(١)، المرأة عورة، ليس في المرأة مكان ولا موضع، إلا وهو عورة يجب أن يُستر من مفرق رأسها إلىٰ أقصىٰ قدميها، فليس هناك مكان يجوز لها أن تكشفه علىٰ الرجال الأجانب، المرأة عورة، فكيف إذا خرجت وهي شبه عارية، أو متكشفة؟ وربما من النساء من تلبس اللباس الشرعي، العباءة السوداء، والخمار الأسود، لكن لو رأيتها لرأيت العَجب، من تلك التفصيلات والنقوش والتقاطيع التي تسبب الفتنة، تظهر وجهها أو عينيها، أو كفيها، أو قدميها، أو تلبس لباسًا لاصقًا بجسدها، فتسبب الفتنة، وإن كانت تلبس اللباس الأسود، ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾، خروج المرأة وتبرجها من أعظم أسباب حلول الفتنة، ومن أعظم أسباب انتشار الزنا.

يا أيها الناس، الواجب علىٰ المرأة أن تبقىٰ في بيتها، فلا تخالط الرجال ولا تخرج إليهم، ولا تتبرج، ولا تتكشف، ولمَّا أنزل الله ﷻ آيات الحجاب، صرن نساء المؤمنين من المهاجرين والأنصار كما قالت عائشة وغيرها: صرن كالغربان.

لمَّا أنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]، جاء في

---

(١) أخرجه الترمذي (١١٧٣)، ابن خزيمة (١٦٨٥) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٩٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

«صحيح الإمام مسلم» من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة**»(١)، تلبس ثيابها، لكنها تظهر بزينتها كأنها عارية، وإن لبست لا تبالي، وبعض النساء لقلة دينها، وضعف عقلها، ربما تلبس ما يسترها، لكنها تخرج إلىٰ الأسواق ومعها بناتها، ربما قد تجاوزن العاشرة أو دون ذلك، في لباس متهتك، وتعرٍّ فاضح، فينظر الناس إلىٰ هذه البنت، فيقولون: لعل أمها مثلها. ما دام أنها تتكشف هكذا، فتعرض نفسها للفتنة، من حيث لا تشعر، جاء عند الإمام أحمد من حديث فضالة بن عبيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا تسأل عنهم، وذكر من هؤلاء الثلاثة: وامرأة غاب عنها زوجها، وقد كفاها مؤنة الدنيا، فتبرجت بعده**»(٢)، ما أكثر ما يحصل هذا، أن يترك الرجل امرأته، ثم يذهب ويسافر إلىٰ بلاد بعيدة؛ ليجمع المال، ولا يبالي بهذه المسكينة، فتراها تتبرج هنا وهناك، وتتكشف هنا وهناك، وتتطلع هنا وهناك، فربما يحصل ما لا يحمد عقباه.

إذًا من أعظم الأسباب التي توصل إلىٰ فاحشة الزنا تبرُّج المرأة، وهذه مسئولية عظيمة علىٰ الآباء والأزواج والإخوان، أين الغَيْرة لأب يترك بناته يخرجن متبرجات، كاشفات لوجوههن، وبعض أجسادهن؟ أين الغيرة في بعض الأزواج الذين يتركون نساءهم يخرجن علىٰ هذا الحال؟ أين الغيرة؟ أين التربية؟ أين الصيانة؟ أين الديانة؟ أين الحفاظ؟ بعض الناس يترك الأمور علىٰ حالها، فإذا ما

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٩٤٣)، وابن حبان (٤٥٥٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥٨).

وقع الفأس بالرأس، ذهب يسأل، وينظر المخارج، أو ربما بعد ذلك يقع في كارثة، فيقتل هذه المرأة، أو يقتل هذه البنت التي تُركت وضُيعت.

أيها الناس، من الأسباب أيضًا التي تُوصِّل الناس إلىٰ فاحشة الزنا اختلاط الرجال بالنساء، اختلاط الرجال بالنساء الأجانب، هذه من أعظم الأسباب، من أعظم الأسباب التي توصل العباد إلىٰ هذه الفاحشة، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] لماذا؟ ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فإلىٰ أولئك الذين يَدَّعون طهارة القلوب، ويجلسون في أوساط النساء في مدارسهم وأعمالهم ومرافقهم ودورهم، يجلسون بجانب النساء الأجنبيات، ويدَّعون طهارة القلوب، لا والله، بل الجلوس إلىٰ النساء الأجانب دليل علىٰ مرض القلوب، فإن الله يقول: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾، أن يكون السؤال من وراء حجاب، لا يكون في ذلك اختلاط؛ لأن هذا الاختلاط يؤدي إلىٰ المفاسد العظيمة، وقد جاءت أدلة الشريعة المتكاثرة بالبعد عن هذه الذريعة التي تُوصِّل إلىٰ هذا المنكر، حتىٰ في صغار السن، فما بالك بكبارهم؟ حتىٰ في محل العبادة، في بيوت الله ﷻ، أَوَمَا سمعت النبي ﷺ يقول كما في حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عند الإمام أحمد: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[(١)]، أبناؤك وبناتك إذا بلغوا العاشرة فما فوق، فإنه لا يجوز أن تتركهم أن يناموا ملتصقين، تبعد الأولاد عن البنات، الذكور عن الإناث، وتفرق بين الذكور، وتفرق بين الإناث؛ لأن هذا قد يؤدي إلىٰ مفاسد، هذا في الأطفال

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٩٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٥٨٦٨) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

الصغار، فكيف بالكبار؟

جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**خير صفوف الرجال أولها**- أي: في الصلاة- **وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها**»(١)، كان في زمن النبي ﷺ النساء يصلين في مؤخرة المسجد، فيقول ﷺ: «**خير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها**»، لماذا؟ لأن التي تتقدَّم تكون قريبة من الرجال، فربما ينطلق بصرها إليهم، وهي في المسجد، في باب الطاعة والعبادة، قد تُعرَّض للفتنة، قد تَفتن أو تُفتن، ولهذا كانت الصفوف الأولىٰ شر صفوف النساء؛ ليبتعد النساء عن الرجال، قال ابن عمر ﷺ كما عند الإمام أحمد وغيره: لمَّا بنىٰ النبي ﷺ المسجد، جعل بابًا للنساء، فقال: «**لا يدخلن من هذا الباب أحد من الرجال**»(٢)، قال نافع ﷺ: فلم يدخل منه عبد الله بن عمر حتىٰ مات.

وجاء من حديث أسيد بن أبي أسيد الساعدي عند الإمام أبي داود، قال: رأيت النبي ﷺ وهو خارج من المسجد، وقد اختلط الرجال بالنساء في طريقهم، أي بعد خروجهم من صلاتهم، فقال: «**يا معشر النساء، ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافة الطريق**»(٣). قال: فجعلت المرأة تلتصق بالجدار، حتىٰ يتعلق ثوبها بالجدار، من التصاقها به. حتىٰ في الطريق، وهم خارجون من الطاعة والعبادة، خارجون من الصلاة، يأمر النبي ﷺ المرأة أن تبتعد من طريق الرجال، وأن تكون في أطراف الطريق؛ حتىٰ لا تحصل الفتنة.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٢) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٥٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٢٧٢)، والطبراني في «الكبير» (٥٨٠) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٢٩).

ويقول ﷺ في حديث أم سلمة في صحيح البخاري ومسلم، لما اشتكت إليه أنها مريضة، وهي تريد أن تطوف حول البيت، قال: «**طوفي من وراء الناس، وأنت راكبة**»، فطافت من وراء الناس والنبي ﷺ يصلي بهم، قالت: وهو يقرأ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: ١، ٢]، تطوف من وراء الناس، ولا تختلط بهم(١).

وجاء من حديثها أيضًا عند البخاري قالت: كان النبي ﷺ إذا صلىٰ خرج النساء، فمكث النبي ﷺ هنيهة أو يسيرًا، ونرىٰ والله أعلم أن مكوثه ذلك؛ حتىٰ يخرج النساء، فلا يدركهن الرجال. كان يتأخر بعد صلاته، فيبقىٰ الرجال ويخرج النساء، حتىٰ ينصرف النساء من المسجد، فلا يحصل لقاء في طريقهم، ولا اختلاط، ولا اشتباك، إذا كان هذا في باب العبادة عبادَ الله، فكيف بغيره؟

روىٰ البخاري ومسلم في صحيحيهما، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال ﷺ: «**إياكم والدخول علىٰ النساء**»؛ أي: أحذركم من الدخول علىٰ النساء، «**إياكم والدخول علىٰ النساء**». فقال رجل: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ أي: قريب الزوج، قال: «**الحمو الموت**»(٢). الحمو أشد من غيره، لماذا؟ لأن الحمو يسهل عليه الدخول والخروج، الحمو لا يشك فيه أحد؛ لأنه ربما يسكن في الدار، الحمو؛ لأنه يسهل عليه الوقوع في هذه الفاحشة، الحمو يسوِّل له الشيطان، وكم من القضايا التي تؤلم القلوب، التي تحصل في بلاد المسلمين من هذا الباب، الذي ربما يترك امرأته وإذا به يغازلها أخوه أو أبوه أو ابن عمه، وربما تقع الفواحش، وكم عُرِضت من المسائل والفتيا في هذا الباب بسبب الاختلاط، يختلط معها عند الطعام، ويختلط معها عند الدخول، ويختلط بها عند الخروج، فإذا نُصح قال:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤)، ومسلم (١٢٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

نحن قلوبنا طيبة، نأكل من إناء واحد، ونجلس في غرفة واحدة. هذا هو المرض الذي حذَّر منه النبي ﷺ، «**إياكم والدخول علىٰ النساء**» قالوا: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**»، الرجال مجبولون علىٰ الميل إلىٰ النساء، والنساء مجبولات علىٰ الميل إلىٰ الرجال، هذا هو الأصل، هذا هو الأصل في بني آدم، فالذي يجالس النساء ويخالطهن، ثم يدعي طيب القلوب وصفائها ونقائها، إنما يغالط نفسه.

يا أيها الناس، ما أكثر الاختلاط المتعمَّد، الاختلاط المتعمَّد، الذي يسعىٰ أعداء الإسلام لنشره في أوساط هذه الأمة، لتنتشر هذه الرذيلة، وتسهل علىٰ قلوب المسلمين في مدارسهم، في وظائفهم، في مستشفياتهم، في أعمالهم، في أسواقهم، في ملاهيهم، في كل أعمالهم، يسعون إلىٰ الاختلاط، ويدعون إليه بقوة، بل ربما في بعض البلدان، بعض المنظمات التنصيرية التي تدعي أنها تساعد أهل الإسلام، ربما لا تصنع ولا تبني بعض المشاريع إلا بهذا الشرط، وقد وقفنا علىٰ وقائع عدة، أنهم لا يبنون المدارس في بعض البلدان، إلا بهذا الشرط، أن يختلط الأبناء بالبنات، وأن يكون في المدرسة من المدرسين والمدرسات، إذًا فهي خطط مدروسة لإفساد هذه الأمة، وإبعادها عن خلقها العظيم ودينها القويم، فإن الذكور إذا اختلطوا بالإناث، حصل الشر المستطير والوباء الخطير، قال النبي ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر علىٰ الرجال من النساء**»(١). متفق عليه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه. وقال ﷺ: «**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

إذًا فاختلاط الرجال بالنساء من أعظم الأسباب التي توصِّل إلىٰ فاحشة الزنا، فمن دعا إلىٰ اختلاط الرجال بالنساء، عليه أن يتقي الله، فإنه يدعو إلىٰ ما يسهِّل الزنا، يدعو إلىٰ ما يسهِّل هذه الفاحشة، يدعو إلىٰ ما يقود إلىٰ ذلك، عليه أن يتقي الله ﷻ، وعلىٰ المجتمعات المؤمنة أن تسعىٰ في إبعادهم بإبعاد النساء والرجال عن هذا المنكر العظيم ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلًا.

أيها الناس، ومن ذلك أيضًا الخَلوة بالمرأة الأجنبية، ولو لم يكن هناك اختلاط، الخلوة بالمرأة الأجنبية، فإن هذا من أعظم الفتن التي تقود الرجل والمرأة إلىٰ الزنا، قال النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم: «**لا يخلون رجل بامرأة، إلا أن يكون ناكحًا، أو ذا محرم، ولا تسافر المرأة إلا ومعها ذو محرم**». فقال رجل: يا رسول الله، إني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، وإن امرأتي خرجت حاجة. فقال النبي ﷺ: «**ارجع فحج مع امرأتك**»(١). متفق عليه عن ابن عباس.

انظروا عبادَ الله إلىٰ صيانة الأعراض، إلىٰ سد الذرائع، هذا الرجل خرج في الغزو، سُجل في غزوة من الغزوات، امرأته خرجت للحج، لأداء فريضة من فرائض الإسلام، مع من؟ مع نساء الصحابة، وخيار الصحابة، ومع ذلك يقول له النبي ﷺ: «**ارجع، فحج مع امرأتك**»، قال ﷺ: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما**»(٢). رواه أبو داود عن عمر، «**لا يخلون رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما**»، هناك من يسعىٰ في أوساط المسلمين لنشر هذا المنكر، ولهذا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١).

(٢) أخرجه أحمد (١١٤) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٣٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

تجد الطبيب لا بد عنده من مساعدة يخلو بها مرات وكرات، الوزير لا بد أن يكون عنده سكرتيرة يخلو بها مرات وكرات، المدير لا بد أن يكون عنده امرأة أو بنت فاتنة عنده تكون بجانبه تدخل عليه وتخرج من عنده، هذه أمور مقصودة لإفساد أهل الإسلام كبارًا وصغارًا، رجالًا ونساءً، الخلوة بالمرأة الأجنبية من أعظم أسباب الفتنة، مهما كان عمرها، ومهما كان جمالها، ومهما كانت هيئتها، ومهما كان صلاحها، يقول سعيد بن المسيب رحمه الله: لو ائتمنتموني علىٰ كذا كذا من المال، لوجدت نفسي أمينًا، ولو ائتمنتموني علىٰ امرأة عجوز سوداء، لما وجدت نفسي أمينًا. إذًا فالخلوة بالمرأة الأجنبية من أعظم أسباب الفتنة، ولهذا حذَّر النبي ﷺ من ذلك أشد التحذير.

أيها الناس عبادَ الله، ومن تلك الأسباب أيضًا مصافحة المرأة الأجنبية، فإن من الناس من لا يتورَّع من ذلك، ولا يبالي، وقد جاء عن النبي ﷺ عند الطبراني، عن معقل بن يسار أنه قال: «**لأنْ يُطعن أحدكم بمخيط من حديد في رأسه خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**»(١)، في حديث البيعة الذي رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة أن النبي ﷺ كان يبايع النساء بالآية التي ذكر الله ﷻ فيها البيعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة: ١٢] إلىٰ آخر الآية، فيبايعهن بذلك كلامًا، قالت عائشة رضي الله عنها: والله ما مسَّت يده يد امرأة قط. كان في زمنه كبار السن العجائز، وكان في زمنه الأرامل، وكان في زمنه الشابات، والصغار والكبار، وهو بمنزلة الوالد، ومع ذلك ما مست يده يد امرأة قط، وهكذا جاء في حديث أميمة بنت رقيقة عند الإمام أحمد وغيره قال: «**إنما أبايعكن كلامًا،**

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٨٦) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٩١٠).

وقولي لامرأة كقولي لمائة امرأة»[(١)]، والحديث في الصحيح المسند.

إذًا فإياك أيها المسلم أن تصافح المرأة الأجنبية، فربما مصافحة تمرض قلبك، فتورثك المهالك، ورب جلسة تجلسها مع المرأة الأجنبية تكون سببًا لانحرافك عن دين الله، ورب اختلاط بالنساء الأجنبيات يكون سببًا لهلاكك ودمارك وفساد قلبك.

ومن ذلك أيضًا عبادَ الله، من ذلك أيضًا النظر، التطلُّع، من الرجال إلىٰ النساء، ومن النساء إلىٰ الرجال، فإن هذا من أعظم الأخطار وأشدها علىٰ القلوب، وما أكثر الذين يقعون في الزنا، ويكون أول سيرهم النظر إلىٰ النساء الأجنبيات، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠] عطف غض البصر، عطف عليه حفظ الفرج؛ لتعلم أن البصر إذا أُطلق له العنان ربما يوصل إلىٰ الوقوع في الفاحشة وعدم حفظ الفروج، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

يا أيها الناس، إطلاق البصر سواء كان مباشرة إلىٰ المرأة، أو إطلاق البصر في الشاشات، أو في القنوات، أو في الإنترنت، أو في الدشوش، إطلاق البصر إلىٰ المحرمات، سبب من أسباب المهالك، سبب من أسباب الردىٰ، وقد أوصل إلينا أعداء الإسلام ما يكون سببًا لهلاك كبار السن، فضلًا عن شبابهم، مما ينشرونه في القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت من النساء الكاسيات العاريات والفتن المضلة التي من وقع فيها ربما ذهب دينه بالكلية، فضلًا عن أن يقع في فاحشة الزنا، فاتقوا الله عبادَ الله، قال النبي ﷺ: «**كُتب علىٰ ابن آدم نصيبه**- وفي رواية: **حظه**- **من الزنا،**

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٠٠٨)، والترمذي (١٥٩٧)، والنسائي في «سننه» (٤١٨١) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٢٩) من حديث أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها.

مدركٌ ذلك لا محالة» قال: «**فالعين تزني، وزناها النظر، واللسان يزني، وزناه النطق، واليدان تزنيان، وزناهما البطش**»، ثم قال ﷺ: «**والفرج يصدق ذلك، أو يكذبه**»(١).

يا أيها المسلم، إن كنت لا ترضىٰ أن ينظر الناس إلىٰ بناتك، ويتلذذون بالنظر إليهن، أو إلىٰ زوجتك، فكيف ترضىٰ لنفسك أن تنظر إلىٰ نساء المسلمين والمسلمات؟ هذا مرض يورث صاحبه المهالك، جاء كما ذكر بكر أبو زيد ﷺ، ذكر في كتابه «حراسة الفضيلة»: أن أعرابيًّا رأىٰ رجلًا ينظر إلىٰ امرأته فطلقها، لماذا ينظر إليها؟ فقيل له معاتبين له: لِمَ طلقتها؟ فأنشد قصيدة، ومن هذه القصيدة، قال:

وأتــرك حبهــا مــن غيــر بغــض ... وذاك لكثـــرة الشـــركاء فيـــه

إذا وقــع الــذباب علــىٰ طعــام ... رفعــت يــدي ونفســي تشــتهيه

وتجتنـــب الأســـود ورود مـــاء ... إذا كـــان الكـــلاب ولغـــن فيـــه

فينبغي للمرء أن يحافظ علىٰ نفسه، أن يحافظ علىٰ بصره، أن يحافظ علىٰ جوارحه، فإنه إذا وقع الفأس بالرأس، ووقع في هذه الفاحشة، ربما يصعب عليه الرجوع، ويصعب عليه التوبة، ويصعب عليه التخلص، ويصعب عليه الإنابة، فالحذرَ الحذرَ يا أيها الناس.

ومن تلك الأسباب أيضًا: مجالسة أصحاب الفواحش، مجالسة أرباب هذا المنكر، فإنك تجد من الناس من يكون مبتعدًا عن هذا الشر، لا يرغب فيه، لكن يجالس فلانًا وفلانًا، فهذا يقول له: أنا عندي كذا كذا من البنات أراسلهن وأغازلهن. وذاك يقول: أنا أفعل الفاحشة في بنت فلان وبنت فلان، وواحدة من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧) من حديث ابن عباس ﷺ.

البلاد الفلانية. وآخر يقول: هل تريد من هذا؟ فإنه أمر يسير. فمن جالس أصحاب الفواحش وأرباب هذا المنكر، يوشك أن يقع فيه؛ ولهذا حذر النبي ﷺ من مجالسة هؤلاء: «**مثل الجليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير**»، قال: «**فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا منتنة**»(١)، فمثل هؤلاء الأصناف لا يُجالَسون ولا كرامة، بل يُزجرون ويُنبذون في المجتمعات، فإنهم قد كثروا، وكثر شرهم، لا كثرهم الله، فصار كثير منهم يتبجحون بهذا المنكر، ويدعون إليه غيرهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

من أسباب الوقوع في فاحشة الزنا: أن تخضع المرأة بصوتها وقولها وكلامها، قال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]، المرأة إذا احتاجت أن تخاطب الرجل الأجنبي للضرورة أو للحاجة، فلها ذلك، لكن لا يكون بالخضوع مع القول، ولا يكون بالخلوة، ولا يكون بالاختلاط، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فخضوعها سواء كان باتصالها بالتليفون، أو كان بمحادثة من يسألها عن زوجها، أو أو، إلىٰ غير ذلك، هذا يسبب الفتنة، ويدخل في القلوب المرض، كما أخبر الله ﷻ، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

يا أيها الناس، من الأسباب أيضًا وهي كثيرة سفر المرأة بغير محرم، ولو كان حتىٰ لفريضة الحج، فإن النبي ﷺ منع ذلك المجاهد أن يترك امرأته تسافر للحج بغير محرم، والنبي ﷺ يقول كما في الصحيحين، عن جماعة من الصحابة: «**لا**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

تسافر المرأة إلا ومعها محرم»[١]، وفي رواية: «**لا تسافر مسيرة ليلة**»[٢]، وفي رواية: «**مسيرة ليلتين**»[٣]، وفي رواية: «**مسيرة ثلاث**»[٤]، ما دام سفرًا، فإنه لا يجوز لها أن تسافر، إلا ومعها محرمها، الذي يحافظ عليها، ويصونها، ويدفع عنها، ويحافظ عليها، حتىٰ لو كان صغيرًا، لم يكن بالغًا، فإنه لا يصلح أن يكون محرمًا، فإلىٰ أولئك الذين لا يبالون بنسائهم وبناتهم، همُّهم أن يحصلوا علىٰ المال، فيرسل امرأته أو بنته إلىٰ بلاد بعيدة، تذهب لتدرِّس في بعض المدارس، أو تعمل في بعض المرافق، والعجب والأشد قبحًا أن يرسل بنته مع بعض المنظمات التنصيرية، ويا لها من مصيبة، تتنقل المرأة الشابة من قرية إلىٰ قرية، ومن مدينة إلىٰ مدينة، مع مجموعة من الرجال، لا يدري أين تبيت، ولا أين تذهب، ولا أين تحل، وآخر يرسل ابنته لتدرس في العراق، أو لتدرس في فرنسا، أو لتدرس في أوربا، أو في غيرها من البلدان، كل ذلك طمعًا في الدنيا، ليحصل علىٰ المال، لكنه لا يبالي بعرضه، لا يبالي بما يلحقه من الإثم والوزر، لا يبالي بما ربما يلحقه من الفضيحة والعار في الدنيا، كيف يرسل هذه المسكينة تسافر من بلد إلىٰ بلد، وتخالط الرجال وهو لا يبالي؟ كيف يفعل ذلك؟ أين غيرته؟ أين شهامته؟ أين دينه؟ أين رجولته؟ الذي يرسل امرأته أو ابنته أو أخته تذهب هنا وهناك، تسافر المسافات البعيدة، ربما تمرض، ربما يتسلط عليها السفهاء، ربما ربما، فإذا رجعت بعد سنين من دراستها، رجعت وهي تدعو إلىٰ ما تربت عليه، من الاختلاط والمنكرات

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (١١٦٨١) وصححه الأرنؤوط.

(٤) أخرجه البخاري (١٠٨٦)، ومسلم (١٣٣٨).

والأقوال الشاذة، والعقائد الفاسدة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها الناس، ينبغي للمسلم أن يحرص علىٰ الحفاظ علىٰ عرضه، وأن يصون أهله وبناته، لو كانت المرأة تخرج إلىٰ سوق قريب، أو إلىٰ مكان ليس ببعيد، ليس بسفر، وخشي عليها الفتنة، فإنه لا يجوز له أن يتركها أن تخرج بغير محرم، فكيف بالسفر؟ جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ اعتكف في رمضان، فكانت تأتي إليه نساؤه، فجاءت إليه ليلة من الليالي صفية ﵂، فتحدث معها النبي ﷺ، فلما أرادت أن ترجع إلىٰ دارها، وكان دارها قريبًا من دار أسامة بن زيد، فلما أرادت أن ترجع خرج معها ليقلبها، انظروا عبادَ الله، أم المؤمنين، زوجة النبي الأمين، في مجتمع الصالحين من المهاجرين والأنصار، تخرج من المسجد إلىٰ بيتها، وهو قريب من المسجد، فيخرج معها، ويترك الاعتكاف الذي لا يُترك إلا لأمور مهمة، وحاجات ملحة، يخرج النبي ﷺ مع زوجته، حتىٰ يوصلها إلىٰ دارها، فيمرُّ به بعض الأنصار، رجلان من الأنصار، فيقول: «**إنها صفية**»، فتعجبا وقالا: وأنت رسول الله. يعني: نحن لا نشك فيك. «**إنها صفية**»، قال: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم**»(١)، فانظروا يا عبادَ الله، إلىٰ ما كان عليه النبي ﷺ من الصيانة والديانة، وعلىٰ ذلك ربىٰ أصحابه الكرام، ربىٰ أصحابه الكرام علىٰ هذا المبدأ العظيم من الحفاظ علىٰ الأعراض.

يا أيها الناس، أسباب الوقوع في فاحشة الزنا كثيرة، وإنما ذكرنا بعضها، ذكرنا بعضها، وهي تدل علىٰ غيرها، ومن حَذِر مما ذُكر، فلعل الله ﷻ أن يسلمه، ويسلم عرضه، ويسلم أبناءه، ويسلم أهله، فعلينا أن نتقي الله، علينا أن نتقي الله، فإن هذه

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٢١٧٥).

الفاحشة تنتشر مع وجود الخير والسنة، مع وجود العلم، مع وجود العلماء، مع وجود الوعظ، مع سماع الآيات، مع سماع الأحاديث، كل هذا بسبب هذا التساهل في هذه الوسائل، بسبب التفريط في هذه الأمور، لا يشعر العبد إلا وقد وقع في مثل هذه البوائق، إما في نفسه أو أهله أو أقاربه أو أبنائه أو بناته، إن كان من المتساهلين في ذلك، وبعد ذلك إذا وقع الفأس بالرأس، ما الذي ينفعه بعد ذلك؟ فعلينا أن نتقي الله ﷻ، وأن نمتثل أمر الله ﷻ، وأن نسعىٰ ما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلًا، إلىٰ أن نبتعد عن الأسباب التي توصِّل إلىٰ الشر، وتوصِّل إلىٰ الفتن، وتوصِّل إلىٰ الفواحش، فإن الزنا فاحشة عظيمة كما أخبر الله ﷻ في هذه الآية: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، وإيانا أن نتأثر بأعداء الإسلام، فإن من الناس من يتأثر بهم، ويقلدهم في ذلك، فيرىٰ أن المرأة لا بد أن تختلط بالرجال، لا بد أن تتعرىٰ، لا بد أن تتكشف.

يا أيها الناس، المجتمعات الكافرة يعيشون حياة جحيمية، يعيشون حياة بهيمية، هل نرضىٰ لأنفسنا أن نعيش كما يعيش أولئك؟ البنت إذا بلغت الثامنة عشر، فإنها تصاحب من شاءت، وتذهب مع من شاءت، وتبيت أين شاءت، وتسافر إلىٰ ما شاءت من البلدان، لا يستطيع والدها ولا وليها أن يحرِّك ساكنًا، هل نرضىٰ بهذا لأنفسنا؟ هل نرضىٰ بهذا لأنفسنا عبادَ الله؟ أكرمنا الله ﷻ بالإسلام، أكرمنا الله بسنة النبي ﷺ الذي فيه الحفاظ علىٰ هذه المرأة، الحفاظ عليها، وهي طفلة، والحفاظ عليها، وهي شابة، والحفاظ عليها بعد تزويجها، يحافظ عليها أولًا أبوها وأمها، ثم يحافظ عليها زوجها، يصونها صيانة عظيمة، ثم يحافظ عليها أبناؤها، إلىٰ أن تفارق الحياة، جعل الله ﷻ لها من الحقوق الكثيرة والأحكام الحديدة، ما أعظمه من دين، وما أجلها من قيم لمن عرف حقها وحقيقتها، ﴿ٱلْيَوْمَ

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، أما من التفت يمنة ويسرة إلىٰ أعداء الإسلام، فإنه ربما يقع في هذه الرذائل، ويقع في هذه الأوحال التي تذهب دنياه وآخرته، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نسأل الله السلامة والعافية، ونسأله ﷻ أن يجنبنا وإياكم وسائر المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.



وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦] أرسل الله ﷻ نبيه محمدًا صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم يدعو إلىٰ الله ﷻ، ويبشِّر العباد بالخير والجنة، ويحذِّرهم من النار والعذاب، فبلَّغ أتمَّ البلاغ، وأوضح أتمَّ الإيضاح، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا

﴿بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧]، فبلَّغ النبي ﷺ، وتركَنا علىٰ البيضاء ليلها كنهارها، ما من خير إلا وأرشد الأمة إليه، وما من شرٍّ إلا وحذرهم منه، عليه السلام، وبذل جهدًا عظيمًا في زمن قصير في نشر هذا الإسلام والخير، فدخل الناس في دين الله أفواجًا، وقُذف الإيمان في قلوب كثير من المشركين والكافرين، بعد أن كانوا دعاةً إلىٰ الباطل، صاروا من أنصار الحق ودعاته وحملته، وذلك كله بما رزق الله نبيه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، بما رزقه الله ﷻ من الوحي، وبما كان من الجهد، فقد بذل النبي ﷺ جهدًا عظيمًا بقوله وفعله وماله وأخلاقه وسَيْره، وفي كل ما يأتي ويذر، وهو يدعو الناس إلىٰ دين الله ﷻ، وبذَلَ كل ما يقدر عليه من الأساليب الشرعية التي أذن الله ﷻ له فيها لدعوة الناس إلىٰ دين الله ﷻ، قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال له: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

أمره الله ﷻ بإبلاغ الرسالة، وتحمُّل الأعباء، فبلَّغ عليه السلام، وقذف الله ﷻ الإسلام في قلوب كثير من العباد، حتىٰ قال الله ﷻ في آخر حياته ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ١، ٢] في خلال ثلاث وعشرين سنة كان النبي عليه السلام في أول أمره يتمنىٰ أن يجد واحدًا يوافقه، أو يقبل منه، أو يستجيب لدعوته، وبعد هذه الفترة القصيرة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١- ٣]، أهل مكة الذين لاقَوْه في أكثر من مشهد، وفي أكثر من وقعة؛ للقضاء عليه، وعلىٰ أصحابه وأتباعه، ما مرَّت إلا سنين معدودة، وإذا بهم من حملة هذا الدين، ومن المؤمنين برب العالمين ﷻ.

ما الذي جعل العباد هكذا ينقلبون؟ ما الذي جعل العباد هكذا يستجيبون؟ ما الذي جعل الكافرين يرجعون إلىٰ حظيرة التوحيد؟

لو نظرنا إلىٰ سيرة النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، لوجدنا العجَبَ العُجاب من دعوته العظيمة التي ينبغي لنا أن نمتثلها، وأن نحذو حذوها، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، والقراءة في سيرته العظيمة تشتاق لها النفوس، ومشاهدها كثيرة، ومواقفها عديدة، ولكن حسْبُنا في هذا المقام أن نذكر بعض الأمثلة من دعوة النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم للعباد بدعوته إياهم إلىٰ دين الله ﷻ، هذا النبي الذي أكرم الله بهذه الأمة، وكان من أعظم المنن: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال في آخر التوبة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩]، ملأ الله ﷻ قلبَه رحمةً وشفقةً علىٰ العباد، فدعاهم إلىٰ الله ﷻ، وبذَلَ ما يقدر عليه من تلك الأسباب في دعوة الناس إلىٰ دين الله ﷻ، فمنهم من دعاه عن طريق الأخلاق، ومنهم من دعاه ربما عن طريق المال، ومنهم من دعاه ربما عن طريق العفو والصفح عن جريرته وأخطائه، وهكذا كان ﷺ، ومنهم من دعاه عن طريق الأعمال التي يزاولها والمعاملات التي يقوم بها، ومنهم من كان دعوته له عن طريق أخلاقه التي شاهدها الناس أجمعون.

من تلك المشاهد العظيمة: ما جاء في «صحيح مسلم»، من حديث عبد الله بن

عباس ﷺ، قال: جاء ضماد الأزدي، وضماد هو زعيم الأزد، سيدهم، وكبيرهم، قدم إلىٰ مكة، والنبي ﷺ في بدء دعوته في مكة، وكان مُستضعفًا، ليس معه من الأنصار إلا الشيء اليسير، والمشركون قد نشروا الدعايات الكاذبة، والتشويهات والأقاويل والأباطيل، فوصل ضماد الأزدي، فما أن وصل مكة، وإذا به يسمع الأخبار أن هناك رجلًا يُقال له: محمد. مجنون مسحور شاعر، وحذَّروا منه الناس، وكل من قدم مكة حذَّروه من النبي ﷺ، لا تأت محمدًا؛ فإنه ساحر. فقال ضماد الأزدي: إني أعالج من الريح، والله لآتين محمدًا، لعل الله أن يشفيه علىٰ يدي. فذهب إلىٰ النبي ﷺ، وقال له: يا محمد، إني سمعت قول قومك لك، وما قالوا فيك، وإني أرقي من هذه الريح، فماذا عندك لعل الله أن يشفيك علىٰ يدي؟ فقال له النبي ﷺ، تصوَّر، الرجل في ذهنه أن هذا رجل مريض يحتاج إلىٰ علاج، يا سبحان الله، كيف تقليب الحقائق وإظهار المبطل في صورة المحق، وإظهار المحق في صورة المبطل؟! هكذا أهل الباطل، قال له: فماذا عندك؟ فقال النبي ﷺ: «**اسمع يا ضماد: إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له**» فتعجَّب هذا الرجل، وهو من سادات العرب وقاداتهم وشعرائهم وزعمائهم، وكان من أذكىٰ الناس، فقال: ما هذا يا محمد؟ أعد عليَّ هذا الكلام، فأعاده عليه مرة أخرىٰ، فقال: يا محمد، والله لقد قلتُ الشعر فلا يستقيم علىٰ قوافيه، وعرفْتُ الكهانة والسحر، فليس بسحر، ولقد بلغن ناقوس أو قاموس البحر، ابسط يدك. فبسط يده، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٨).

وقر الإيمان في قلبه، رجل عربي يفهم معنىٰ هذا الكلام العظيم، فاخترق سويداء قلبه، وآمن من لحظته، وقال: يا رسول الله، إني لا أبايعك علىٰ نفسي فحسب، بل علىٰ نفسي وعشيرتي، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

مشهد آخر: روىٰ مسلم في صحيحه أيضًا من حديث أنس بن مالك ﷺ، أن رجلًا من بني عامر جاء إلىٰ النبي ﷺ، من المؤلَّفة قلوبهم، يسأله شيئًا من أمور الدنيا، فأعطاه غنمًا بين جبلين. وافق عنده شيء من الغنائم، أو الفيء، فأعطاه غنمًا بين جبلين، أي: قطيع كبير من الغنم، وهو من المؤلَّفة، فرجع فرحًا مسرورًا إلىٰ قومه، يقول: يا آل بني عامر، أسلموا، فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشىٰ الفقر. قال أنس: فوالذي نفسي بيده إن الرجل ليسلم، وهو لا يحب الإسلام، فما هي إلا أيام وإذا بالإسلام أحب إليه من الدنيا وما فيها.

هكذا كان نبينا صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ولهذا قَبِلَ الناس دعوته، واستجابوا لما جاء به ﷺ، آمن به الأوس والخزرج، ثم فتح البلدان، ودخل مكة المكرمة، ودُعي في المسجد الحرام بتوحيد الله ﷻ في زمن قصير.

وهكذا من مشاهده ﷺ التي كان عليها من عظيم الرحمة والشفقة والحرص علىٰ هداية الخلق: أنه كان له جار يهودي كما في صحيح البخاري، وكان هذا الجار له غلام، كان هذا الغلام يخدم النبي ﷺ، فمرض الغلام، فلما سمع النبي ﷺ بمرضه، ذهب إليه يعوده، يعوده وهو يهودي؛ لأنه جاره، ولأنه كان يخدمه، ولأنه صغير، ربما ما قد بلغ، ولا كُلِّف، انظروا، ذهب يعوده وهو يهودي؛ لأنه جاره، وهذا من حق الجار علىٰ جاره، لو سأل كل واحد منا كيف حاله مع جاره المسلم، الذي ربما يصلي هو وإياه في المسجد؟ ما أكثر النزاعات بين الجار وجاره والخصومات والأذية، لو ذهبت إلىٰ المحكمة، ونظرت في القضايا

المطروحة فيها، لوجدت أن خمسة وتسعين بالمائة بين الجيران، إما في الدار، أو في الأرض، أو في العقار، أو في التجارة، أو في غير ذلك، الجار له حق عظيم؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه**»(١)، إن كان مسلمًا فله حق الجوار، وحق الإسلام، وإن كان كافرًا، فله حق الجوار، فأما إذا كان مسلمًا من القرابة، فله ثلاثة حقوق: حق الإسلام، وحق الجوار، وحق القرابة. قُطعت الأرحام، وصارت العداوات بين الجار وجاره، فتفرقت الأمة، وامتلأت القلوب بالضغائن والأحقاد والحسد والبغي والتعدي. الجار لا يأمن جاره في الغالب، يخاف علىٰ بناته، علىٰ نسائه، علىٰ عرضه، علىٰ ماله، وهكذا، يخاف علىٰ داره إذا غاب؛ خوفًا من جاره، إلا من رحم الله ﷻ، ربما يقتتل الجيران علىٰ شبر من الأرض، أو علىٰ قطعة لو دُفنوا فيها ما وسعت أن تكون قبورًا لهم، هكذا وصل الحال بكثير من الناس.

النبي ﷺ دخل علىٰ هذا الغلام، وهو علىٰ فراش الموت، فقال له، وعنده أبوه، أبوه اليهودي عند رأسه، فقال له: «**يا غلام، قل: لا إله إلا الله**»(٢)، الغلام يعرف من هو رسول الله؛ لأنه خدمه وجالسه، وعرف أخلاقه، أراد أن يقول هذه الكلمة، لكن يخاف من أبيه، فالتفت إليه كأنه يستأذنه، هكذا في الرواية، قال: فالتفت إلىٰ أبيه، كأنه يستأذنه، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم. فقال الغلام: لا إله إلا الله. ومات، مات من حينها، فخرج النبي ﷺ من هذا الدار وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**».

إذا كان الذين يدعون إلىٰ الله ﷻ هدفهم أن يُنقَذ الناس من عذاب الله، وأن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

يسلموا من الشر، وأن يُقبلوا علىٰ الخير، فليُبْشِروا بقلوب العباد، وإذا كان همهم أن يكونوا في من أجل مصالح دنيوية، يجمعونهم عليها، أو يريدونها منهم، أو يريدون أن يعطوهم إياها، فالدعوة فاشلة.

خرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**»، هذا هو الغرض من دعوته: العودة إلىٰ الإسلام، أن يُنقذوا من النار، وأن يسلموا من سخط الجبار ﷻ، هذا هو الغرض، ليس الغرض جمع المال، ولا الدنيا، ولا حطام الدنيا، ولا أن يكون في صفه ﷺ ولو كانوا علىٰ باطل، بل أن يُنقذوا من النار.

وهكذا من مشاهده العظيمة كما في «صحيح البخاري ومسلم»، عن أنس في البخاري، عن أبي هريرة قال: بينما أنا عند رسول الله ﷺ، وإذا برجل أعرابي دخل المسجد، فما لبث أن اعتزل، فبال في طائفة من المسجد، مسجد الرسول ﷺ كان من الطين والرمل، وهذا رجل أعرابي جاء من البادية، لا يدري ما معنىٰ المسجد، ولا ما هي أحكام المساجد، ولا كيف تُعظَّم المساجد، رجل في البادية يعيش مع الإبل والغنم، إذا أراد أن يقضي حاجته ربما يقضي في جانب الجمل، أو خلف صخرة، أو تحت شجرة، وهكذا إذا أراد أن يبول، فلما جاءه البول، اعتزل في جهة من المسجد، وجعل يبول، يبول في أحب البقاع إلىٰ الله، هذه جريمة، لو رأينا رجلًا دخل المسجد يبول في زاوية من الزوايا، كيف سيكون وضعنا؟ هذا الرجل لمَّا كان يبول، التفت الصحابة، وقاموا إليه مسرعين، قاموا إليه يريدون أن يضربوه، كيف يبول في المسجد؟ المساجد يجب أن تُنظَّف، وأن تُطيَّب، وأن تُطهر، وأن يُعتنىٰ بها، كما جاء عن النبي ﷺ، أنه أمر ببناء المساجد في الدور، وأن تُنظف وأن تُطيب وأن تُطهر، فكيف يُبال فيها؟ فالتفت النبي ﷺ، وقال: «**دعوه**» الأعرابي لا يدري ما هي جريمته، وكأنه يقول: أنا ماذا صنعت؟ ما لهؤلاء القوم قد قاموا إليَّ

لضربي؟ ثم لماذا أوقفهم رسول الله؟ ما هي الجريمة؟ هذا أمر طبيعي، يبول كما يبول في باديته، فقال: «**دعوه، ولا تزرموه**»، اتركوه، فبال حتىٰ انتهىٰ، في المسجد النبوي، الذي فيه الصلاة بألف صلاة، مسجد رسول الله ﷺ، فلما انتهىٰ من بوله فقضىٰ، قال: «**أريقوا علىٰ بوله سَجْلًا من ماء**» صبوا عليه الماء؛ حتىٰ تذهب النجاسة، وتذهب عينُها، وهكذا تُطهَّر النجاسة إذا كانت بالأرض، ثم قال: «**يا أعرابي**»، دعاه وقال: «**يا أعرابي، إن هذه المساجد لا تصلح لهذا البول، ولا لهذا القَذَر، إنما بُنيت للصلاة، ولقراءة القرآن**، أو: **وللذكر، ولقراءة القرآن**»[(١)]، الأعرابي من أين يعرف هذه الأحكام؟ ما كان يعلمها، فإذا كان العبد جاهلًا فعُلِّم، ربما ينتفع بهذا التعليم، لكن إذا زُجر قبل أن يُعلَّم، وأُهين قبل أن يُعلَّم، ربما نفر، لو أنه تركهم فضربوه، والصحابة عندهم حق أن يحموا المسجد ممن يدنسه ويبول فيه وينجِّسه، لكن النبي ﷺ أرسله الله رحمة للعالمين، علم أن هذا جاهل، لا يدري بهذا الحكم، فيحتاج إلىٰ تعليم، فقال له: «**يا أعرابي، إن هذه المساجد لا تصلح لهذا البول، ولا للقَذَر، وإنما بُنيت لذكر الله، وللصلاة، ولقراءة القرآن**» أو كما قال، فاستبشر ذلك الأعرابي، وعرف أنه أخطأ، ولما انتهىٰ من أمره وأراد أن ينصرف إلىٰ بلده، فكَّ عقالَ الناقة، وجعل يقول في رواية أنه في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا. فانظر عباد الله.

وهاك قصة أخرىٰ، وهي عند أبي داود من حديث ركانة بن زيد، هذا الرجل كان مشركًا من أهل مكة، وكان رجلًا قويًّا، لا يستطيع أحد أن يغلبه، وكان رجلًا بعيدًا عن دين الله، فلَقِيَه النبي ﷺ في بعض شعاب مكة، وقال له: «**يا ركانة، أما آن**

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٩)، ومسلم (٢٨٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

لك أن تسلم؟، أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟» قال: لا. قال: «**يا ركانة، أرأيت إن صارعتك فصرعتك، أتشهد أن لا إله إلا الله؟**»، فانظر، جاء من هذا الجانب، لعله يكون سببًا لهدايته، فقال: جَرِّب يا محمد. فقام إليه النبي ﷺ فصارعه، فصرعه، فتعجب، قال: يا محمد، والله ما وضع ظهري علىٰ الأرض أحد قبلك، فأعد مرة أخرىٰ. فقام إليه فصارعه، فصرعه، فاشتد عجبه، وعلم أن وراء ذلك سرًّا، فقال له: «**إذا أريتك ما هو أعجب من هذا، أتشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟**» قال: وما هو؟ فأشار إلىٰ شجرتين بعيدتين، فناداهما النبي ﷺ، فجاءتا تَخُدَّان الأرض، حتىٰ وقفتا بين يديه، ثم رجعتا إلىٰ مكانهما، فقال ركانة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّك رسول الله[(١)].

وإليك أيضًا قصة أخرىٰ، وهذه القصة صححها العلَّامة الألباني في صحيح السيرة، وأما القصة الأخرىٰ فهي قصة الأعرابي الذي أراد أن يقتل النبي ﷺ، انقضَّ عليه وهو نائم، والحديث في البخاري ومسلم عن جابر، وهم في غزوة، نام الناس تحت الأشجار، ونام النبي ﷺ تحت شجرة، وعلَّق فيها السيف، فجاء الأعرابي، وأخذ السيف، واخترطه، ثم قال: يا محمد، من يمنعك مني؟ هو علىٰ رأس النبي ﷺ، والسيف في يده يريد قتله، فالتفت إليه النبي ﷺ، وقال له: «**الله**»، فسقط السيف من يد الأعرابي، فأخذه النبي ﷺ، ثم قال: «**يا أعرابي، من يمنعك مني الآن؟**» فقال: يا محمد، كن خير آخذ. قال: «**أتشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟**» قال: لا. مشرك، أراد قتل النبي ﷺ، أبىٰ أن يدخل في الإسلام، ماذا بعد هذا؟ ما بعده إلا أن تُضرب عنقه، ويُقتل، ويُستراح منه، مجرم، أراد أن يرتكب

---

(١) أخبار مكة – الفاكهي (٤/ ٢٨ ط ٤)، وفي «صحيح السيرة» للعلامة الألباني (ص ٢١٧).

هذه الجريمة، قال: «**أتشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟**»، قال: لا، ولكني أعاهدك علىٰ ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. قال جابر: فخلَّىٰ سبيله ﷺ(١). وهذا هو العفو الجميل، عفا عنه في مثل هذا الموطن الذي قدر عليه، لعلَّه أن يدخل في الإسلام، ولعل هذا الموقف أن يؤثر علىٰ قلبه، وأن يعود إلىٰ الله.

جاء عند الحافظ ابن حجر في فتح الباري أن هذا الأعرابي ما مكث إلا يسيرًا، وإذا به دخل في دين الإسلام، وأنزل الله بعد هذه الحادثة قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

يا أيها الناس، مشاهد النبي ﷺ كثيرة، التي فيها بيان رحمته ودعوته، التي ينبغي أن نتأسىٰ به فيها، ولهذا أقبل الله ﷻ بقلوب العباد، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، بل عظَّمه الشجر والحجر والبشر والحيوان والنبات، عظم النبي ﷺ التعظيم الشرعي، وقدروه حق قدره؛ ولهذا قال ﷺ، قال: «**ليس أحد في السموات والأرض إلا ويعلم أني رسول الله، إلا عاصي الجن والإنس**»(٢). والحديث عند الطبراني، عن جابر، وهو حديث صحيح.

وانظر إلىٰ بعض الأمثلة التي فيها بيان تعظيم الحيوان والجماد لرسول الله ﷺ، والاستجابة له، ونحن ربما نقرأ القرآن، ونقرأ السنة، ونسمع الأحاديث، ولا تؤثِّر فينا، ولا نستفيد منها، ولا ننتفع بها، وهذا كله بسبب ذنوبنا الكثيرة، التي

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٣٥)، ومسلم (٨٤٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١٤٣٣٣)، الدارمي (١٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٠٩)، من حديث جابر رضي الله عنه.

طرأت علىٰ القلوب، فربما أفسدت كثيرًا منها.

كان النبي ﷺ يخطب الجمعة في أول أمره حين بنىٰ المسجد، ويتَّكئ علىٰ جذع نخلة يابس، يقوم عليه حين يخطب الناس، فجاءت امرأة من الأنصار، وعندها غلام نجار، فأرسلت إلىٰ النبي ﷺ، وقالت له: يا رسول الله، هل أصنع لك منبرًا تقوم عليه تحدث الناس، وأنت جالس في هيئة القائم؟ فقال: «**نعم**»، فصُنع له من المنبر من ثلاث درجات من الخشب من طرفاء الغابة، من تلك الشجرة، وهي شجرة الإثل، كما في البخاري ومسلم عن سهل بن سعد، فلما جيء بذلك المنبر في جمعة كما في البخاري عن جابر، قام عليه النبي ﷺ يخطب، وترك الجذع ذلك اليابس الذي كان يتكئ عليه، ولما بدأ ﷺ في خطبته، وإذا بذلك الجذع يحنُّ ويئنُّ، يئنُّ جذع من خشب، فنزل النبي ﷺ من علىٰ المنبر، ثم أخذه واحتضنه، وقال: «**لو لم أحتضنه، لحنَّ إلىٰ يوم القيامة، إنه يبكي؛ لما كان يسمع من الذكر**»(١). أما نحن ما نبالي، ربما الإمام يقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] والمصلون يقولون: آمين. بصوت مرتفع، ويخرج أحدهم باب المسجد وإذا به علىٰ صراط اليهود والنصارىٰ، ما يدري ما معنىٰ الصراط المستقيم، ولا يدري ما معنىٰ الذين أنعم الله عليهم، وما يدري ما هو الدعاء الذين أمَّن عليه ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، فتجده علىٰ طريقتهم في لبسه، في أخلاقه، في عبادته، في معاملته، وفي أقواله، في أفعاله، وربما يؤدي العبادة وهو لا يدري ما هذه العبادة، ولا ما عظمتها، ولا ما قيمتها، ولا ما فائدتها، جذعٌ من خشب يتألم؛ لأن النبي ﷺ تركه، وتحوَّل علىٰ منبر من خشب الإثل، قال: «**إنه**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٩٥).

يبكي لما كان يسمع من الذكر»، ثم أمر ﷺ بدفنه، جاء في رواية قال: كان يبكي بكاء الصبي إذا كان يُسكَّت. فأمر بدفنه .ﷺ

وفي «صحيح مسلم» من حديث جابر بن سمرة قال: «**وإني لأعرف حجرًا بمكة - حجر معين في بعض الطرق**، يعرفها جابر بن سمرة، حجر معلومة، والناس ربما يعرفون بعض الأحجار الكبيرة في مكان ما يمرُّون عليها دائمًا فتصير معروفة - قال: **إني لأعرف حجرًا بمكة، كان إذا مر بها النبي ﷺ، سلَّمت عليه**»(١). حجر تسلِّم علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وهي ليست مكلفة، هي جماد من الجمادات، ومع ذلك تسلِّم علىٰ النبي ﷺ.

في «مسند أحمد» من حديث أنس بن مالك، وهو في «الصحيح المسند من دلائل النبوة»، لشيخنا الإمام الوادعي رحمه الله، أنَّ بعض الأنصار جاءوا إلىٰ النبي ﷺ، وقالوا: يا رسول الله، إن لنا جملًا، وإنه استصعب علينا، وصار كالكلب الكَلِف - تَوحَّش - ومنعنا ظهره، فجف الزرع والضرع. ما استطاعوا أن يحملوا عليه ماء، ولا أن يعملوا عليه؛ لأنه صار متوحشًا، يريد أن يأكل كل من اقترب إليه، فانطلق النبي ﷺ، وقال: «**أروني هذا الجمل**»، ومعه بعض الصحابة، فوصل إلىٰ البستان ودخل، قال: «**أين هو؟**»، قالوا في تلك الناحية. فاتجه إليه، فقالوا: يا رسول الله، إنا نخافه عليك. قال: «**ليس عليَّ منه بأس**» فانطلق إليه، فلما اقترب منه، أقبل الجمل يطأطئ رأسه، ويسجد للنبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، يسجد للنبي ﷺ، وجعل النبي ﷺ يمسح رأسه ودِفْراه، ثم قال أنس: يا رسول الله، هذه بهيمة لا تعقل، وتسجد لك، أفلا نكون نحن أولىٰ أن نسجد لك؟ فقال ﷺ: «**لو**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٧).

كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»، إلَّا أن هذا محرم، «**ما ينبغي لأحد أن يسجد لبشر، ولو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها؛ من عظيم حقه عليها**»(١)، جمل يسجد لرسول الله، قال: فأخذه بخطامه، وأدخله في العمل، فصار يعمل أحسن مما كان.

وفي حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ﷺ، عند الإمام النسائي، وأصله في مسلم: أنه دخل ﷺ حائطًا لبعض الأنصار، وإذا بجمل قد لحق ظهره ببطنه، يعني من شدة الجوع، فاقترب منه النبي ﷺ، ومسح رأسه، وإذا بعينيه تدمعان، وإذا بعيني الجمل تدمعان، فقال: «**من رب هذا الجمل؟ من صاحبه؟**» فجاء غلام من الأنصار وقال: أنا يا رسول الله. فقال: «**إنه يشكوك إليَّ، أنك تجيعه وتدئبه**- أي: تتعبه- **فاتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، اركبوها صالحة وكلوها صالحة**»(٢).

فهذه حيوانات وجمادات تعظِّم النبي ﷺ، وتحترمه، وتقدره، وتستشعر مكانته، ونحن في بعدٍ إلا من رحم الله .ﷺ

جاء في «مسند أحمد» من حديث عائشة قالت: كان للنبي ﷺ ولآل النبي ﷺ وحش، وكان في بيته، فكان إذا خرج النبي ﷺ من البيت، جعل يدخل ويخرج ويلعب ذلك الوحش، حيوان، يعني يضطرب ويخرج ويلعب ويقفز، قالت: وإذا دخل النبي ﷺ سكن(٣)؛ خشية أن يؤذي النبي ﷺ، حيوان يتأدب؛ لأن الرسول

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٦١٤)، والبزار (٦٤٥٢) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٣٦) من حديث أنس ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٤٨)، وابن خزيمة (٢٥٤٥) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٤) من حديث سهل بن الحنظلية ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٨١٨) وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات.

موجود، لا يزعجه، ولا يرفع صوته، ولا يجري، ولا أيضًا يدخل ويخرج بكثرة، وهو حيوان.

فهكذا يا عباد الله، بهذا نبينا ﷺ فتح الله له قلوب العباد، واستجابوا لدين الله ﷻ، كان أحدهم يقول: يا رسول الله، إنه لم يكن علىٰ وجه الأرض أحد أبغض علي منك، وإنك الساعة لأحب أهل الأرض إليَّ. سبحان الله، كيف انقلبت الموازين؟

هذا اسمه ثمامة بن أثال، سيد أهل اليمامة، جاء في «الصحيحين» عن أبي هريرة، أن نبينا ﷺ أرسل سرية، وهم راجعون من نجد وجدوا ثمامة، فأخذوه؛ لأنه مشرك، وقبضوا عليه، وأسروه، وجاءوا به إلىٰ النبي ﷺ، وأدخلوه المسجد، وربطوه علىٰ سارية من سواري المسجد، وهذا من الأحكام الشرعية التي يجهلها بعض الناس، المشرك نجاسته ليست حسِّيَّة، نجاسة معنويَّة؛ لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، أي: نجاسة معنوية، وليست حسية، ولهذا كانوا يدخلون إلىٰ المسجد، ما كان النبي ﷺ يمنعهم من ذلك، وإنما مُنعوا من المسجد الحرام، فرُبط بسارية من سواري المسجد، فجاء النبي ﷺ فقال: «**يا ثُمامة، أتشهد أن لا إله إلا الله؟**» أو قال له: «**يا ثمامة، ماذا عندك؟ ماذا عندك يا ثمامة؟ أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟**»، قال: يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم - هو سيد أهل اليمامة، معنىٰ كلامه: إن قتلتني، فقومي سيثأرون لي - إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تريد المال، أعطيناك ما تشاء - أي: فداء - وإن تنعم تنعم علىٰ شاكر. فتركه مربوطًا، وانصرف، وجاءه في اليوم الثاني، طبعًا هو في المسجد، ليس معناه أن يُترك بدون طعام وشراب، لا، هو أسير، فجاء في اليوم الثاني، فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**»، قال: ما عندي إلا ما قلت لك: إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم علىٰ

شاكر، وإن تريد المال أعطيناك ما تشاء. فتركه، هذا سيد أهل اليمامة، إذا أسلم، هذا مكسب عظيم، ولهذا حرص النبي ﷺ علىٰ إسلامه، فجاءه في اليوم الثالث، «**يا ثمامة، ماذا عندك؟**»، قال: ما عندي إلا ما قلت لك. فقال النبي ﷺ لأصحابه: «**أطلقوا ثمامة**»، ففكوا قيده، فخرج مسرعًا إلىٰ نخل قريب من المسجد، فيها بئر، فاغتسل، ثم رجع، ودخل المسجد، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك محمد رسول الله. أو: أنك رسول الله[(١)]. هذا في «صحيح البخاري ومسلم» من حديث أبي هريرة. ثم قال: يا محمد، يا رسول الله، والله ما كان أحد أبغض إليَّ منك ومن أصحابك، فوالذي نفسي بيده، لإنك أحب أهل الأرض إليَّ، والله يا رسول الله لا تصل إلىٰ أهل مكة حبةُ حنطة من اليمامة، حتىٰ تأذن فيها. كان أهل مكة ميرتهم من اليمامة، حبوبهم من اليمامة، انظروا في لحظات، وإذا به يعلن ما يُسمىٰ بالحصار الاقتصادي علىٰ المشركين، علىٰ أهل مكة، والله يا رسول الله لا يصل إلىٰ أهل مكة حبة حنطة، حتىٰ تأذن فيها، ثم قال: يا رسول الله، إن خيلك أمسكتني، وأنا أريد العمرة. فأمره النبي ﷺ بإتمامها، والمشركون كانوا يعتمرون، وكانوا يحجون، لكنهم كانوا يشركون في حجهم، ويشركون في عمرتهم، ويقعون في الباطل، بل يطوفون حول البيت وهم عراة.

وهكذا من القصص العظيمة عن نبينا ﷺ، أن راعيًا كان يرعىٰ غنمه، فجاء الذئب وأخذ شاة، فتبعه الراعي، حتىٰ أدركه، وأخذ منه الشاة، فقال له: يا أيها الراعي. جلس الذئب، وقال: يا أيها الراعي، من لها يوم السَّبُع، يومَ لا راعيَ لها غيري؟ فقال: سبحان الله، ذئب يتكلم؟ قال: نعم، ألا أخبرك بما هو أعظم من

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧٢) ومسلم (١٧٦٤).

هذا؟ قال: وما هو؟ قال: رسول الله بين الحرتين، يحدث الناس بأخبار ما سبق(١).

انظر، راعي يرشد هذا الرجل إلىٰ النبي ﷺ، وأنه يحدث الناس، وأنه رسول الله، فتعجب الرجل، وأخذ يسوق غنمه، ودخل المدينة، فجاءه ووجد النبي ﷺ، وهو يحدث الناس، ويتكلم معهم.

هكذا صار حب النبي ﷺ، حتىٰ في الحيوانات، وحتىٰ في الجمادات، وحتىٰ في الأشجار والأحجار، فُتحت له القلوب، واستجاب له العباد، ودخلوا في دين الله ﷻ، هذا الدين العظيم، وهذه الطريقة النبوية، التي ينبغي لنا أن نسلكها، وأن نسير عليها، التي لا نجاة للعباد إلا بها، ولا سلامة لهم في عقيدتهم، ولا في عباداتهم، ولا في معاملاتهم، ولا في أخلاقهم، ولا في أُسَرهم، ولا في مجتمعاتهم، إلا بها، وإن ذهبوا شرقًا أو غربًا، فلا سلامة لهم إلا بطريقة محمد ﷺ، فإن الله ﷻ الذي خلقنا من العدم، وأوجدنا من العدم، وأمدنا بالنعم - أمرنا أن نتبع رسوله ﷺ، وبيَّن لنا أن سعادتنا منوطة بهذا، مرتبطة بهذا.

وانظر إلىٰ هذا الحديث الذي نختم به مجلسنا؛ حتىٰ لا نطيل عليكم، حديث عمر وهو عن عمر في الصحيحين، قال: خرج النبي ﷺ في بعض سبايا الحرب، بعد الحرب أُخذ السبي من الكفار، نساء، وأطفال، وهكذا رجال، فخرج في السبي ينظر، وإذا بامرأة من السبي تمشي هنا وهناك، وتتحرك، فإذا بها تجد طفلها الصغير، تبحث عنه بين السبي، حتىٰ وجدت طفلها، فأخذت هذا الطفل، وألصقته ببطنها، وجعلت ترضعه، وهي تبكي، فالتفت النبي ﷺ إلىٰ الصحابة الذين كانوا معه، فقال: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟**» هل يمكن أن الأم ترمي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧١)، ومسلم (٢٣٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولدها الرضيع في نار؟ قالوا: لا يا رسول الله. هذا لا يمكن أن تصنعه الأم، فالأم عندها حنان عظيم وشفقة ومحبة لطفلها، ربما تقدم روحها وحياتها من أجل أن يسلم طفلها، حتىٰ لو كانت مجنونة وعندها طفل صغير، لا يمكن أن ترميه، قالوا: لا يا رسول الله. فقال ﷺ: «**لله أرحم بنا من هذه بولدها**»(١)، فربنا أرحم بنا، ولهذا شرع لنا دينه، وأنزل إلينا كتابه، وأرسل إلينا رسوله، وجعل هذا الدين صالحًا في كل زمان، وفي كل مكان، ولكل إنسان، ذكرًا أو أنثىٰ، صغيرًا أو كبيرًا، وكم من الوقائع الكثيرة عن نبينا ﷺ التي نحتاج أن نقرأها بين الحين والآخر، وأن نستفيد منها، وأن نتعظ بها.

نسأل الله الله ﷻ بمنه وكرمه وجوده وإحسانه، أن يوفقنا وإياكم لما يحبُّ ويرضىٰ.

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.



(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٩) ومسلم (٢٧٥٤).

وأذن في الناس بالحج

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، عباد الله: يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٦، ٢٧] أمر الله ﷻ إبراهيم الخليل عليه السلام أن ينادي بحج بيت الله الحرام في ذلك الوادي القفر الذي ليس فيه أحد، كما أخبر الله ﷻ عنه أنه قال:

﴿إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ينادي إبراهيم الخليل ويؤذن بحج بيت الله الحرام، فيستجيب الله ﷻ دعاءه، ويقذف ذلك في قلوب أهل الإيمان في كل زمن، فيأتون من كل فج عميق، ويتوافدون من كل بلد، حتىٰ صار في ملة أهل الإسلام ركنًا وواجبًا، وصار فرضًا عظيمًا، بل صار ركنًا من أركان هذا الدين العظيم، ففرضه ﷻ في العام التاسع، كما أنزل ﷻ قوله في سورة «آل عمران»: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**» رواه مسلم من حديث ابن عمر، وهو في «الصحيحين»(١) بتقديم الحج. فكان مما فرض الله ﷻ.

وفي حديث أبي هريرة: قال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحُجُّوا**». فقال الأقرع بن حابس: يا رسول الله، أفي كل عام؟ قال: «**أَمَا لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ، مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ أَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ**»(٢).

صار ركنًا وواجبًا عظيمًا أوجبه ﷻ علىٰ من كان مستطيعًا من هذه الأمة، ورغَّب فيه بالأدلة الكثيرة، وبيَّن فضائله ومراتب أهله، ولهذا قال ﷺ مرغبًا وحاثًّا لأهل الإيمان: «**تَعَجَّلُوا إِلَىٰ الْحَجِّ** -يَعْنِي: الْفَرِيضَةَ-؛ **فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا**

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

يَعْرِضُ لَهُ»، كما جاء عند الإمام أحمد وغيره عن ابن عباس ﷺ[(١)]، بل جاء في «الصحيحين» عن أبي هريرة أنه سئل ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «إِيْمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ». قيل: ثم أي؟ قال: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ». قيل: ثم أي؟ قال: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»[(٢)].

وروىٰ الإمام البيهقي والدارمي عن أبي هريرة وأبي سعيد، والمعنىٰ متقارب، قال ﷺ: «قَالَ اللهُ ﷻ: إِنَّ عَبْدًا أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ، تَمْضِي عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لا يَفِدُ إِلَيَّ؛ لَمَحْرُومٌ»[(٣)]، كل هذا الترهيب العظيم من النبي ﷺ ومن ربه ﷻ؛ لما في هذه العبادة من المنافع الدنيوية والمنافع الأخروية، فإنه من أعظم أسباب تكفير الذنوب وغفرانها؛ فقد قال ﷺ: «مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». متفق عليه[(٤)]، «وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ»، كما جاء في الحديث[(٥)].

ولما جاء عمرو بن العاص يبايع النبي ﷺ اشترط أن يُغفر ذنبه، فقال ﷺ:

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٦٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٣٦٢) برقم (٩٦٦٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٥٧)، وأخرج أحمد -أيضًا- وابن ماجه (٢٨٨٣) عن ابن عباس، عن الفضل، أو أحدهما عن الآخر، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرَضُ الْمَرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣).

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٤٨٢) برقم (٤١٣٢)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٢/ ٣٢٨) برقم (١٠٣١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

«أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟»(١). والشاهد: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ؟»، فهو من أعظم أسباب مغفرة الذنوب وذهابها، ولهذا قال ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمر عند البزار وغيره: «لَا تَرْفَعُ إِبِلُ الحَاجِّ قَدَمًا أَوْ رِجْلًا، وَلَا تَضَعُ أُخْرَىٰ؛ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً»(٢). قال: «إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً»، فالحج من أسباب محو السيئات والذنوب، ورفعة الدرجات عند الله ﷻ، ولهذا عباد الله يقول نبينا ﷺ كما عند الإمام الترمذي عن سهل بن سعد الساعدي، قال: «مَا مِنْ مُلَبٍّ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّىٰ مَنْ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ أَو شَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ، حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ الأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا»(٣).

كل ذلك في بيان فضل هذه العبادة العظيمة التي أمر الله ﷻ بها، الحج، كما جاء عن النبي ﷺ أنه جهاد الضعفاء والمرضىٰ وجهاد النساء، كما في حديث أبي هريرة عند الإمام أحمد والنسائي وغيرهما قال ﷺ: «جِهَادُ الْكَبِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَرْأَةِ- وفي رواية: وَالْمَرِيضِ- الحَجُّ وَالْعُمْرَةُ»(٤)، وتقول عائشة كما في «صحيح البخاري»: يا رسول الله، نرىٰ الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ: حَجٌّ مَبْرُورٌ»(٥)، وروىٰ الإمام أحمد عنها أنه قال ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٤٧٩) برقم (٤١١٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩٦) بنحوه، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١١٠٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٨٢٨)، وابن ماجه (٢٩٢١)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٥٥٠).

(٤) أخرجه أحمد (٩٤٥٩)، والنسائي (٢٦٢٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١١٠٠)، وهو في «الجامع الصحيح» لشيخنا الوادعي (٢/ ٣٨٤).

(٥) أخرجه البخاري (٢٧٨٤).

«عَلَيْكُنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ»(١).

كم ينال من قام بهذه العبادة وأخلص لله ﷻ من الأجور العظيمة؟

تقول عائشة كما في «صحيح الإمام مسلم»: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عِبَادَهُ مِنْ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ»(٢). وعند الإمام الترمذي عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص، وجاء عن غيرهما قال: «يَقُولُ اللهُ ﷻ: انْظُرُوا عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا، مَاذَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»، وفي رواية يقول: «أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ»(٣)، وفي حديث بلال بن رباح أنه قال ﷺ ليلة جمع: «يَا بِلَالُ، اسْتَنْصِتِ النَّاسَ»، فلما استنصتهم قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَطَوَّلَ عَلَيْكُمْ فِي لَيْلَتِكُمْ هَذِهِ، فَوَهَبَ مُسِيئَكُمْ لِمُحْسِنِكُمْ، وَأَعْطَىٰ مُحْسِنَكُمْ مَا سَأَلَ، فَادْفَعُوا بِاسْمِ اللهِ، فَادْفَعُوا بِاسْمِ اللهِ»(٤).

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾ [البقرة: ١٩٧- ٢٠٠] الآية.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥٣٢٢)، وابن ماجه (٢٩٠١)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٩٨١).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤٨).

(٣) أخرجه أحمد (٧٠٨٩)، والطبراني في «الكبير» (١٣٥٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٦٨).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٠٢٤)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٦٤٨).

جعل الله ﷻ فيه منافع دنيوية ومنافع أخروية، ولهذا قال ﷺ: «**تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ عَنْ ابْنِ آدَمَ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**»(١)، وفي رواية: «**وَالذَّهَبِ وَالفِضَّةِ**»(٢)، من حديث عبد الله بن مسعود وابن عباس وعمر بن الخطاب(٣).



(١) أخرجه النسائي (٢٦٣٠)، والطبراني (١١١٩٦)، وقال الألباني في «صحيح النسائي» (٢٦٣٠): «حسن صحيح».

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٦٩)، والترمذي (٨١٠)، والنسائي (٢٦٣١)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١١٠٤).

(٣) «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» لشيخنا مقبل بن هادي الوادعي (١/ ٥٦١) برقم (٦٩١).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا أيها الناس، ما أجمل هذه الأيام وحجاج بيت الله الحرام يتوافدون من كل بلد، ومن كل قطر، يتأهبون لأداء هذا الركن العظيم، وهم يقولون في مسيرهم بعد مجاوزة الميقات: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ**»(١)؛ أي: نجيبك إجابة بعد إجابة، وطاعة بعد طاعة، واستجابة بعد استجابة، يلبون بصوت واحد مع اختلاف لغاتهم، ومع اختلاف ألوانهم، ومع اختلاف بلدانهم، ما الذي حدا بهم؟ وما الذي جرهم إلىٰ تلك البلاد القاحلة التي ليس فيها من المناظر الجميلة ولا الأماكن السياحية، وإنما هي واد قفر كما أخبر الله ﷻ في الذكر؟! إنها طاعة الله ﷻ، والاستجابة لأمر الله ﷻ، يجتمعون بلباس واحد لا يفخر أحدهم علىٰ أحد، يلبسون لباسًا موحدًا؛ غَنِيِّهم وفقيرهم، رئيسهم ومرؤوسهم، أبيضهم وأسودهم، عربيهم وعجميهم، ويتجهون لأداء هذه العبادة، تواضعًا لله، واستجابة لأمر الله ﷻ، يجتمعون في زمان واحد، وفي مكان واحد، وعلىٰ نظام واحد، هذا يدل علىٰ عظمة الإسلام، واجتماع أهله، لو أنهم رجعوا إلىٰ الله ﷻ، ووحدوا صفوفهم وأجمعوا كلمتهم، ولهذا يقول

(١) أخرجه البخاري (١٥٤٩)، ومسلم (١١٨٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الله ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وهم راحلون إلىٰ البيت العتيق يتذكرون الرحلة إلىٰ المَلِك العَلَّام ﷻ، يتذكرون الجمع الأكبر بين يدي الله ﷻ، أحدهم ربما يذهب ولا يعود، يؤدي هذه الفريضة، وربما مات محرمًا، قال النبي ﷺ في قصة ذلك الذي وقصته الناقة يوم عرفة فمات، قال ﷺ: «**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ بِثَوْبَيْنِ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ؛ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا**»(١)، هنيئًا لمن ختم الله ﷻ له بهذه العبادة فيبعث بين الخلائق ملبيًا يوم القيامة، جاء عند ابن حبان من حديث أبي هريرة قال ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ حَاجًّا فَمَاتَ؛ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الحَاجِّ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَمَاتَ؛ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ المُعْتَمِرِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**»(٢).

إذا صلحت النوايا فما أعظمها من عبادة، ولهذا يقول نبينا ﷺ: «**الحُجَّاجُ وَالعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ**»(٣).

وعن أبي هريرة: «**وَفْدُ اللهِ ثَلَاثَةٌ: الحَاجُّ، وَالمُعْتَمِرُ، وَالغَازِي**»(٤) إذًا فهم وفود الرحمن، حري بهم أن يقبل الله عبادتهم، ويستجيب دعاءهم إذا صدقوا مع الله ﷻ، يا أيها الناس، كيف يستشعر المؤمن المقصر الذي فرط في هذه العبادة وهو يسمع

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٦٧)، ومسلم (١٢٠٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ (٦٣٥٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٣٢١) ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٠٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١١١٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٨٩٢)، والبزار (١١٥٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٧٣).

(٤) أخرجه النسائي (٢٦٢٥)، وابن خزيمة (٢٥١١)، وابن حبان (٣٦٩٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١١٠٩).

الناس يتأهبون لحج بيت الله الحرام، وقد أضاع المال هنا وهناك، وأسرف فيه، وفرط فيه، وفي عنقه واجب عظيم وركن من أركان هذا الدين؟، «**إِنَّ عَبْدًا أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ، تَمْضِي عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لَا يَفِدُ إِلَيَّ؛ لَمَحْرُومٌ**»(١)، فكيف إذا مرت عليه عشرة أعوام؟ بل عشرون، بل ثلاثون، بل خمسون، بل بعضهم ربما يموت ثم يبحث أهله وورثته عمن يحج عن هذا المسيء، وعن هذا المتأخر المفرط الذي أضاع عمره ولم يؤدِّ هذه العبادة العظيمة!

فالله الله عباد الله، في الحرص علىٰ أداء هذه العبادة، ووالله ما أنفقت من مال فيها ليس بخسارة، بل هو أعظم الربح، وقد يجعل الله لك من ورائه كذلك فرجًا ومخرجًا ورزقًا حسنًا في الدنيا، «**تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ عَنْ ابْنِ آدَمَ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالفِضَّةِ**»(٢).

نسأل الله ﷻ أن يبلغنا وإياكم حج بيته الحرام، إنه علىٰ كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين.



(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٤٨٢) برقم (٤١٣٢)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٢/ ٣٢٨) برقم (١٠٣١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٠٩).

(٢) أخرجه النسائي (٢٦٣٠)، والطبراني (١١١٩٦)، وقال الألباني في «صحيح النسائي» (٢٦٣٠): «حسن صحيح» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وإذا مرضت فهو يشفين

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، عبادَ الله، روىٰ الإمام الترمذي وغيره من حديث عبيد الله بن محصن الأنصاري، أن النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم قال: «**من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافىٰ في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا**

بحذافيرها»[(١)]، نعمة الصحة والعافية نعمة عظيمة، إذا حصل عليها العبد مع وجود الأمن والأمان والاطمئنان، «**من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافىٰ في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»، وإن كان لا يملك شيئًا أو لا يملك إلا شيئًا يسيرًا، ما دام أنه يملك العافية سواء كان في دينه أو في بدنه، ويعيش في أمن وأمان، «**فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»، لعظم العافية كان النبي ﷺ يحث أصحابه أن يدعو الله ﷻ بها، فيقول: «**يا عباس، سلوا الله العافية**»[(٢)]، ويقول ﷺ: «**ما أُعطي أحد عطاء بعد اليقين خيرًا من العافية**»[(٣)].

وحديثي معكم في هذا المقام عن عافية البدن وصحته وذهاب الأسقام والأمراض، هذه نعمة ينعم الله ﷻ بها علىٰ من شاء من عباده ويسلبها ممن شاء من عباده، هذه النعمة العظيمة التي يجب علىٰ العباد شكرها، فقد كان نبينا صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم يستعيذ بالله ﷻ من أن تذهب عنه النعم، ويكون ذلك تعليمًا لأمته وأصحابه، ففي حديث ابن عمر في صحيح الإمام مسلم أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك**»[(٤)]، إذا تحولت العافية إلىٰ بلاء وإلىٰ أسقام وإلىٰ ضلال وإلىٰ انحراف، إذا زالت النعم وحلت في ساحة العباد النقم، هذه

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٣٣) من حديث سلمة بن عبيد الله بن محصن الأنصاري، عن أبيه رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٨٣)، الترمذي (٣٥١٤) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٦٢/ ٧٢٦) من حديث العباس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٥٨) وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٣٦٣٢) من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٣٩).

مصيبة عظيمة، ولهذا كان النبي ﷺ يستعيذ بالله ﷻ من ذلك، «**اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك**»(١)، ومع هذا كله عبادَ الله ينبغي لنا أن نعلم أن العبد في هذه الدنيا مبتلىٰ وممتحن ومختبر، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧]، ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١- ٣]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١، ٢]، وقد يُبتلىٰ المرء في بدنه، فتذهب عنه الصحة، أو يُبتلىٰ في زوجته أو ولده أو أبيه أو أمه، فيُبتلىٰ بالأسقام والأمراض، فما هو الذي ينبغي له أن يكون عليه في هذا الحال؟ عليه أن يرضىٰ، وأن يسلم لأمر الله ﷻ وأن يصبر، قال النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، كما في حديث أنس بن مالك عند الترمذي وغيره: «**إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**»(٢)، أن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيرضىٰ بقضاء الله ﷻ ويسلم، إذا ابتلاك الله ﷻ بالأسقام والأمراض، فعليك بالصبر والدعاء، عليك بالصبر، إياك أن تتضجر، إياك أن تتسخط، إياك أن يصيبك القنوط، دخل النبي ﷺ علىٰ أم السائب وقد أصابتها الحمىٰ وهي تزفزف، فقال: «**ما لك يا أم السائب تزفزفين؟**»، فقالت: الحمىٰ، لا بارك الله فيها. فقال ﷺ: «**لا**

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣١) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

تسبي الحمىٰ، فإنها تذهب خطايا ابن آدم كما يذهب الكير خبث الحديد»، «**تذهب خطايا ابن آدم**»(١).

لو أن العبد تفكر وهو يتقلب علىٰ فراشه ويجد ألم المرض وشدة الحرارة، كم له من الدرجات عند الله، وكم تُكفر عنه من السيئات، لهانت عليه الأمراض وسهلت، روىٰ البخاري ومسلم في صحيحيهما، من حديث أبي سعيد الخدري، وجاء نحوه عن أبي هريرة، قال ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن، حتىٰ الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه**»(٢).

وما أكثر ذنوبنا وخطايانا التي نحن بحاجة إلىٰ تكفيرها وإذهابها حتىٰ الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه، عند الاحتساب، وعند الرضا والتسليم، من كان كذلك فهنيئًا له، فإن حياته كلها طاعة في صحته ومرضه، وفي سفره وحضره، وفي شدته ورخائه، «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»(٣)، فالصبرَ الصبرَ عبادَ الله، والرضا بقضاء الله، والاجتهاد بالدعاء بدعاء الله ﷻ، فإنه منفس الكروب، وإنه ﷻ هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، كما أخبر في كتابه الكريم.

جاء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ عاد رجلًا، وقد بلغ به الجهد أي من المرض، حتىٰ صار كالفرخ، فقال له النبي ﷺ: «**أما كنت تدعو الله، أما كنت تسأل الله العافية؟**». فقال الرجل: كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فقال النبي ﷺ: «**سبحان الله، إنك لا تطيقه، ألا قلت:**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه.

اللهم إنا نسألك العافية في الدنيا والآخرة»(١). رواه الإمام الترمذي. الدعاء يا عباد الله من أعظم ما ينبغي للعبد أن يلازمه في كل أحواله، واقرءوا في كتاب الله ﷻ عما ذكر الله عن نبيه أيوب عليه السلام، حين ابتلاه بتلك الأسقام والأمراض التي لا يتحملها أحدنا، فتضرع إلىٰ الله ﷻ ورجع إليه، فكشف ما به، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤]، وهكذا ذكر الله ﷻ قصته في غير ما موضع من كتابه الكريم، وأنه تضرع إلىٰ الله ﷻ وكان في شدة عظيمة، فأنجاه الله، وسلمه الله، وأعاد إليه صحته وأهله، ومثلهم معهم.

الذي ينبغي للمؤمن إذا ابتلاه الله ﷻ بالأمراض، أن يرضىٰ بقضاء الله ﷻ وقدره، وأن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الله ﷻ قد كتب أجله وهو في بطن أمه، فكم من العباد من يمرض الأيام العديدة والشهور المديدة، ولم يكن أجله قد قُضي فيعيش بعد ذلك حياة سعيدة، ومن الناس من ربما يمرض لساعات، ثم يفارق الحياة، قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، ينبغي أن يكون إيمان العبد قويًّا، وتوكله علىٰ الله ﷻ عظيمًا، فهو مع الله ﷻ في الشدة والرخاء، في الصحة والمرض، في سائر أحواله، فإن من كان كذلك فإنه علىٰ خير عظيم، فإن من أركان الإيمان، الإيمان بالله ﷻ، الإيمان بالقضاء والقدر، إياك يا عبد الله أن يصيبك الهلع، وأن يضعف إيمانك وتوكلك علىٰ الله ﷻ، والله

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

لو اجتمع أهل الأرض أجمعون علىٰ أن ينفعوك بشيء ما أراده الله ﷻ، ما استطاعوا، ولو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيء ما أراده الله ﷻ، ما استطاعوا، كما قال النبي ﷺ لابن عباس: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيء، لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء، لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف**»(١).

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

يا أيها الناس، في هذه الأيام مع انتشار هذه الأوبئة والأمراض، التي ما من بلد إلا ووصل إليها شيء من ذلك، الذي ينظر إلىٰ حال العباد يرىٰ أنه في حالة مرتبكة أمام هذه الأسقام والأمراض، وكل ذلك بما يسمعونه ويرونه في وسائل الإعلام.

يا أيها العبد، أنت عبد لله ﷻ مملوك له ﷻ، فإياك أن تصيبك تلك الإشاعات وتلك الدعايات التي ربما أصابت كثيرًا من الناس، وكانت والله عليهم أشد من المرض، كانت عليهم أشد من المرض، انزعجوا وهلعوا، تركوا العبادات، وتركوا الطاعات، ووقفوا أمام الشاشات ينظرون الأخبار هنا وهناك.

ينبغي أن نعلم عباد الله أنه كما قال بعض الأطباء الصلحاء: ما من بلدة إلا ووصلت إليها مثل هذه الأسقام والأمراض. وإن شئت فقل: ما من أسرة إلا وقد مرض بعض أهلها إن لم يكونوا كلهم. ومع ذلك سلم الله ﷻ كثيرًا من العباد، فأصحاب تلك الوسائل والأخبار لا ينشرون مثل هذه النتائج الإيجابية، وإنما ينشرون الأخبار المفزعة، والأشياء المفجعة، في ذكر الأموات وأعدادهم، مات في البلد الفلاني كذا، ومات في البلد الفلاني كذا، ولم يذكروا أن المرض مر علىٰ كثير من الناس فنجا جلهم، ونجا أكثرهم، ولم يمت إلا العدد القليل من الناس، فلماذا الفزع ولماذا الهلع، فإن من الناس من ربما يمرض وليس عنده مرض بسبب هذه

الأخبار الكاذبة، يا أيها الناس، إن هذا المرض الذي انتشر في العالم ضُخم فوق حجمه، والدليل علىٰ ذلك أن كثيرًا من الدول التي انتشر فيها بقوة، بالمئات بل بالآلاف، تريد أن ترجع الآن إلىٰ طبيعتها، وإلىٰ أعمالها، وإلىٰ فتح مرافق العمل، لماذا عباد الله؟ لتعلموا أن هذا المرض ضُخم فوق حجمه، فينبغي لنا عبادَ الله ألا يصيبنا الهلع والفزع، وألا يصيبنا الارتباك، بل نقبل علىٰ الله ﷻ، نكثر من التضرع إليه سبحانه، نعمل بالأسباب الشرعية، ليس معنىٰ هذا أنك لا تعمل بالأسباب الشرعية، والوقاية الطبية التي ثبتت، فإن النبي ﷺ يقول: «**فروا من المجزوم فرارك من الأسد**»(١)، الأمراض لا تعدي بطبعها، ولكن مجالسة المريض إذا كان ممن به مرض يعدي، فإن ذلك سببًا، والأمور كلها بيد الله ﷻ، فنعمل بالأسباب الشرعية، ونتوكل علىٰ رب البرية، ﷻ، ولا نشغل أنفسنا بالأخبار، ولا بالدعايات، ولا بما يقال، وإنما نقبل علىٰ الله ﷻ ونكثر من التضرع إليه، ونقبل علىٰ شأننا وعلىٰ ما نحن فيه من الخير، هذا هو الواجب علىٰ المؤمن، كان السلف الصالح رضي الله تعالىٰ عنهم، عند حلول الطاعون، يقبلون علىٰ الصلاة، يقبلون علىٰ بيوت الله، يقبلون علىٰ الطاعات، وليس معنىٰ هذا أن من وُجد مريضًا وبه مرض مما ينتشر ويعدي أن يخالف الناس وأن يجلس في أوساطهم، لكن الأمر فيه مبالغة، وفيه تضخيم، ولا يُستبعد أن يكون أعداء الإسلام لهم من وراء ذلك مآرب لا يعلمها إلا الله، فإن الله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يا أيها الناس، هناك أمراض منتشرة في العالم، يموت بسببها الآلاف، بل يموت بسببها أضعاف ما يموت بسبب الكورونا، لتعلم عبد الله أن وراء الأمر ما وراءه، فلهذا لا تنزعج، وأقبل علىٰ الله، واعلم أن ما يصيبك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فاعلم بالأسباب المشروعة المباحة وتوكل علىٰ الله ﷻ، وإذا قبضك الله سبحانه وأنت مقبل علىٰ طاعته، فهنيئًا لك، «**إذا أراد الله بعبده خيرًا استعمله**»، قالوا: وكيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: «**يوفقه إلىٰ عمل صالح بين يدي موته، ثم يتوفاه عليه**»(١).

اللهم ارفع ما بنا من الوبا والأمراض والأسقام، اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم أعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.



(١) أخرجه أحمد (١٢٠٣٦)، الترمذي (٢١٤٢) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه.



ظهر الفساد في البرِ والبحرِ بما كسبت أيدي الناس

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، عباد الله، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

حديثنا معكم عن بعض معاني هذه الآية العظيمة، التي بيَّن الله ﷻ فيها هذا الأمر الجَلَل، الذي يحصل علىٰ ظهر هذه البسيطة، في برها وبحرها، ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ

﴿فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ البر والبحر المراد به الأرض بكاملها، برها، وبحرها المالح، وبحرها العذب، علىٰ الصحيح من أقوال أهل العلم، فهو يشملها كلها، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ فأما فساد البر فهو بقلة الخيرات والبركات، وضعف الثمرات، وحلول الزلازل والخسف، وظهور الأمراض والأسقام والطواعين والآفات، وأما فساد بحرها بقلة خيره، وذهاب صيده وسمكه، حتىٰ صار الناس يجدون المشاق في الحصول علىٰ أرزاقهم في البحار المالحة.

روىٰ الإمام أحمد ﷺ في «مسنده»، عن أبي قحدم، وهو ضعيف، لكنما يأتي من قوله، لا من منقوله، قال: وُجد في بعض خزائن بني أمية، قيل: في خزائن زياد، أو ابن زياد، وُجد فيه شيء من الحبوب، أي: من الذرة، الحبة الواحدة مثل النوىٰ، أي: مثل نوىٰ التمر، مكتوب عليها: نبت هذا في زمن العدل(١).

يقول الإمام ابن القيم ﷺ كما في «الداء والدواء»: ولقد أخبرني جماعة من شيوخ الصحراء أن الثمار لم تكن في زمنهم، أو في الأزمان الماضية، كالثمار في أزماننا، أي في حجمها وكبرها، ولم يكن يطرأ عليها من الآفات كما هو الحال، أي في ذلك الزمن، فما بالك بالأزمان بعدها؟(٢).

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وهكذا من ذلك الفساد فساد هوائها، فابتُلي الناس بالأمراض والأسقام المعدية والمستعصية، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، وقوله: ﴿ظَهَرَ﴾ بمعنىٰ: أنه انتشر وعلا وكثر، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ هذه الآية أُنزلت

---

(١) أخرجه أحمد (٧٩٤٩)، وقال أحمد شاكر: «هذا خبر عن رجل ليس بثقة. وليس بحديث، ولا صلة له بمسند أبي هريرة».

(٢) «الداء والدواء = الجواب الكافي»، ط دار المعرفة (ص٦٥).

علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم في زمن الخيرات، في زمن البركات، في زمن الطاعة لرب الأرض والسماوات، فكيف بالأزمان المتلاحقة والأزمان المتأخرة التي حصل فيها الفساد والإفساد، والتي حصل فيها التغيير والتبديل؟

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ أي: بسبب ذنوبهم، وما جنت أيديهم، حصل هذا الفساد، فهو عقوبة من الله ﷻ، فإن معصية الله سبحانه إفساد في الأرض؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، فالطاعة إصلاح للأرض، والمعصية فساد لها، وقد وقع الناس في الذنوب والسيئات صغيرها وكبيرها، ابتداءً بالشرك الأكبر، وما دونه من الكبائر، فحلَّ بهم ما حلَّ من العقوبات، الشرك منتشر، والسحر متفشٍّ، والزنا علىٰ مصراعيه، بل تُجعل له الدعايات والأموال والهيئات والشركات، والتبرُّج والسفور، واللواط والخنا، والقتل والسرقة، والنهب والخيانة، وما أكثر الذنوب التي يتعاطاها العباد، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، والله ﷻ يقول في هذه الآية: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]، والناس يشمل الكفار والمؤمنين، ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ فالذنوب عواقبها وخيمة، وأخطارها جسيمة؛ ولهذا قال ﷺ كما عند الإمام أحمد من حديث ثوبان: «**إن العبد ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه**»(١).

وبالمقابل تحل البركات والخيرات في الأبدان والعقول والأموال والأرواح والثمار والزروع والهواء بحلول الطاعة، والقيام بشريعة الله ﷻ، ولقد ذُكر في الأحاديث الصحاح الثابتات أنه في آخر الزمان عند نزول عيسىٰ بن مريم عليه السلام وقتل الدجال وإهلاك يأجوج ومأجوج، وأنه يحكم بشريعة الإسلام، ويكسر الصليب،

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٨٦)، وابن ماجه (٩٠)، وابن حبان (٨٧٢)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (١٤٥٢).

ويقتل الخنزير، فتحلُّ البركات، فيقول الله ﷻ للأرض: «**أخرجي بركاتك، أخرجي بركاتك**». قال: «**فتكون الحبة الرمانة يأكلها الفئام من الناس، ويستظلون بقِحفها**[١]، **ويكون لبن اللِّقحة**[٢] **يشربه الفئام**[٣] **من الناس**»[٤]، هذه البركات بإقامة طاعة الله، والوقوف عند حدود الله ﷻ.

وبالمقابل معصية الله ﷻ سبب للهلاك والدمار، ولهذا روىٰ الإمام ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لحدٌّ يُقام في الأرض خير لأهلها من أن يُمطَروا ثلاثين صباحًا**»[٥]، فإقامة طاعة الله خير لهم لو كانوا يعلمون.

إذًا ما يحلُّ بالعباد من النقص والضعف والعقوبات، إنما هو بمعصية الله ﷻ، بسبب البعد عن الله، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾، قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٥]، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، إذًا فذنوب العباد هي السبب في نزول العقوبات، ولو أنهم رجعوا إلىٰ الله ﷻ لكُشِف ما بهم.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الروم: ٤١] وانظر إلىٰ سعة رحمة الله ﷻ، فإنه لم ينزل العقوبات كاملة، وإنما يذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون، قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا

---

(١) القحف: مقعر قشرها؛ شبهها بقحف الرأس، وهو الذي فوق الدماغ.

(٢) اللقحة: القريبة العهد بالولادة، وجمعها: لقح. واللقوح ذات اللبن، وجمعها لقاح.

(٣) الفئام: الجماعة الكثيرة.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أحمد (٨٧٣٨)، ابن ماجه (٢٥٣٨) وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٥٠).

﴿تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ [فاطر: ٤٥]، ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]، ويقول الله ﷻ: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۚ﴾ [يونس: ١١] إنما هذا تنبيه من الله ﷻ لعباده لمَّا كثرت الفتن، وكثرت الذنوب، وكثر العصيان والتمرد على الله ﷻ، ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الروم: ٤١] عقوبةً من الله، وتنبيهًا من الله.

ولقد سمعتم فيما مضى حديث ابن عمر قال ﷺ: «**وما فشت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها، إلا ابتُلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، وما منع قوم زكاة أموالهم إلَّا مُنعوا القطر من السماء**»(١)، فسدت المعايش، فسدت الأراضي، خربت الثمار، حصل الهلاك، ابتُلي الناس بكثير من الأسقام والأمراض، ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، قال: نبلوكم بشيء. ولم يقل: بكل هذه العقوبات، وإنما بشيء منها، لعل من يعتبر، وإلى ربه يرجع ويتذكر ويتوب.

﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ [الروم: ٤]، لم يكن من الله ﷻ ظلم، وإنما هو بسبب ذنوب العباد؛ لأنه أمرهم بالطاعة، فخالفوه فعصوه، أمرهم بإقامة دينه، فضيعوه، نهاهم عن معصيته، فوقعوا فيها، ألحدوا في دين الله ﷻ، وخالفوا شرع الله، فحُقَّ لهم أن يُعاقبوا بمثل هذه العقوبات.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، والبزار (٦١٧٥) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٠٤).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحبُّ ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

كل هذا من الله ﷻ من رحمته ولطفه بالعباد، أنه يجعل لهم ما ينبههم لعلهم إليه يتوبون، ولعلهم إليه ينيبون، ولهذا قال بعد هذا: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، لكن من الذي ينتفع بمثل هذا ويتعظ؟ فإن الكفار والزنادقة لا يزيدهم ذلك إلا بعدًا، ولا يزيدهم ذلك إلا نفورًا، لا يزيدهم ذلك إلا بعدًا، ولا يزيدهم ذلك إلا نفورًا كما ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم، قال: ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، كل هذا ليرجع العباد إليه، ويقول الله ﷻ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

يا أيها الناس، ما يحلُّ بالعالم في أيامنا من هذا الوباء المتسارع، الذي لم يترك قارة من قارات العالم إلا ووصل إليها، وأخذ من أهلها، وقد وصلت الإحصائيات المُعلنة إلىٰ أكثر من عشرة آلاف قتيل، وأما المصابون فبعشرات الآلاف، كيف حال الناس عند هذه المصيبة وحلول هذا الوباء؟ إنك لتعجب من مواجهة الناس لهذا، وحالهم عنده، تتعجب غاية العجب، ترىٰ أهل الإسلام يقلِّدون أعداء الله ﷻ حتىٰ عند مثل هذه المصائب والبلايا والرزايا، مع أن الحلول في دين

الله ﷻ، وفي شرع الله ﷻ، فقوم أصابهم الهلع والفزع، ودبَّ إلىٰ قلوبهم، فصار جلُّ حديثهم إن لم يكن كله ليلًا ونهارًا، فينشرون الشائعات، ويبثُّون الدعايات؛ ممَّا يسبب في أوساط الأمة الهلع، ويضعف في قلوبهم اليقين والتوكل علىٰ الله ﷻ، وآخرون تركوا أماكن اللهو والفساد، وأماكن التجارات، وانطلقوا مباشرة لإغلاق بيوت الله ﷻ، ونحن لسنا ضد هذه الفتوىٰ، إن نزل الوباء، وخُشي انتشاره، وصار في كل بلدة، وتُيقن من ذلك، ولكنك تعجب كيف يتجهون إلىٰ إغلاق أماكن الطاعة والعبادة، التي رجوع العباد إليها وتضرعهم إلىٰ الله ﷻ فيها قد يكون سببًا للفرج والمخرج، مع أن الناس يسرحون ويمرحون في السواحل والنوادي والمتاجر والأسواق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهكذا آخرون يفرُّون من بلد إلىٰ بلد، وقد تقدم هذا وحكمه في جمعة ماضية، يا أيها الناس، انظروا إلىٰ هذا الفيروس الذي ظهر، كيف أوقع العالم كله في هذا الذعر الشديد، فأين صناعة الصين التي اجتاحت العالم؟ والذي كان قاداتها يتحدون قوة تقف في طريقهم، وأين طب أوربا وعلاجها الذي يُضرب به المثل؟ وأين التكنولوجيا الحديثة؟ وأين كبر أمريكا وروسيا ودول الكفر؟ فيروس أرسله الله ﷻ، فأذلَّ أنوف الأكابرة، أذلَّ الأكابرة، وأهانهم أيَّما إهانة، وأعلنوا في صحفهم وقنواتهم الرسمية أنهم قد عجزوا عن إيقافه، وعن الحد منه، ولو أنهم رجعوا إلىٰ هذه الآية، لعلموا ما هو السبب، وكيف المخرج: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، المخرج من ذلك كله الرجوع إلىٰ الله ﷻ، والتوبة إليه، والرضاء بقضائه وقدره، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، أهل الإيمان في

سعادة، في سرائهم وضرائهم، «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له**»(١)، أهل الإيمان يواجهون ذلك بالتحصُّن والتوكل علىٰ الله ﷻ، بالتحصينات الشرعية، وقد ذكرنا ذلك في جمعة ماضية، والتوكُّل علىٰ رب البرية، والاعتصام به ﷻ، وأن يعلموا أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، ويعملون بالأسباب الشرعية الحديثة الطبية، فيحافظون علىٰ النظافة وغيرها بلا مبالغة، ولا نشر للإشاعات، بل تطمئن قلوبهم لما قضىٰ رب الأرض والسماوات، فإن ذلك ظاهره شر، ولعل في ورائه خير، فالله ﷻ كل أحكامه وأقداره في مصالح العباد ومنافعهم، ما قضىٰ الله كائن لا محالة، والشقي الجهول من لا محالة، إنما الواجب علينا أن نعود إلىٰ الله، وأن نتوب إلىٰ الله، وأن نقبل علىٰ الله، وأن نتضرع إلىٰ الله ﷻ، إن ذهبت الأجساد والأرواح مؤمنة بربها وخالقها، فإن ذلك لا يضرها، ولكن إن فسدت القلوب، وانحرفت الفطر، وابتعد العباد عن دين الله ﷻ، وإن عاشوا في أجمل حياة وأنعم طبيعة، فإن ذلك ليس بنافع لهم في الدنيا والآخرة.

يا أيها الناس، لو نظرنا في هذه البلدة، وفي هذه المدينة الطيبة، وفي بلاد اليمن عامة، فالخير فيها موجود، الخير فيها موجود، المساجد تمتلئ، والحشمة والحجاب والعفة والحياء، وكثير من أمور الإسلام، فالحذرَ الحذرَ عبادَ الله من أن نغيِّر عبادة الله، ومن أن نغيِّر دين الله ﷻ، فإن هناك من يريد إفساد العباد والبلاد، المخدرات تنتشر في مدينة عدن بقوة عارمة، وهناك من يدعو إلىٰ التبرُّج، وهناك من يدعو إلىٰ الشر والخنا، وهناك من يدعو إلىٰ فساد الفطر، فاتقوا الله يا عباد الله،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه.

اتقوا الله يا عباد الله، فبلاد اليمن لا يزال الخير فيها موجودًا، ما دامت السنة النبوية وأهل العلم وحفاظ القرآن في أوساطهم، فما كان الله ﷻ ليجمع علىٰ أهل اليمن وباء الرافضة ووباء الكورونا، وهذا ظنُّنا بالله ﷻ، وإن حصل شيء من ذلك، فنحن متوكلون علىٰ الله، وداعون الله ﷻ أن يصرف عنَّا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

يا أيها الناس، من الشرور التي يسعىٰ أعداء الإسلام لإفساد بلادنا بها هو ما انتشرت من تلك المنظمات التنصيرية التي تدعو إلىٰ تدنيس الشرف، وإخراج المرأة من حيائها، واختلاطها بالرجال، وإبعادها عن دين الله ﷻ، وهذا شرٌّ مستطير، ومرض خطير، يوشك أن تنزل عقوبة الله ﷻ بمن فتح المجال لهذا، فعلىٰ المسؤولين في هذه البلد أن يتقوا الله ﷻ، وأن يراقبوه، وأن يقيموا شرع الله ﷻ، وأن يقيموا حدوده، وأن يتعظوا بغيرهم، وأن يعتبروا بغيرهم ممن ابتلاهم الله ﷻ، فنرجع إلىٰ الله ﷻ حكامًا ومحكومين، رجالًا ونساءً إلىٰ دين الله، توبة صادقة، ورجوعًا صحيحًا، إلىٰ الله ﷻ، وما كان الله ﷻ ليضيِّعنا، ولا أن يخيِّب آمالنا، ولا أن يردَّ دعاءنا، ولكن العبرة أن نرجع إلىٰ الله ﷻ في بعض البلدان أغلقوا المساجد، لكنهم ما أغلقوا السواحل والأماكن اللهو والمتاجر والأسواق، فانقلب الناس إلىٰ اللهو، بعضهم نسي أن هناك صلاة جماعة، أو صلاة جمعة، فبقي الناس علىٰ التلافز والدشوش والإنترنت ليلهم ونهارهم، ما هكذا تُواجَه الابتلاءات، وإنما بالرجوع إلىٰ رب الأرض والسماوات، والتوبة إلىٰ الله، والإقلاع عن الذنوب، والرجوع إلىٰ علَّام الغيوب، فنسأل الله ﷻ أن يدفع عنا وعنكم وعن سائر المسلمين الفتن والبلايا والرزايا والأسقام والأمراض، إنه علىٰ كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين.

من المؤمنين رجال

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، عبادَ الله، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

هذه الآية الكريمة أنزلها الله ﷻ في أصحاب محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله

وصحبه وسلم، الذين جاهدوا في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله ﷻ، ونصروا دين الله ﷻ بأقوالهم وأفعالهم ومعتقداتهم، وحركاتهم وسكناتهم؛ ولهذا جاء في الصحيح من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: غاب عمي أنس بن النضر عن معركة بدر، فقال للرسول ﷺ: غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن أدركني مشهد ليرينَّ الله ما أصنع. فلما كانت غزوة أحد، وانكشف المسلمون، قال أنس ﷺ: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء- يعني: أصحابه- وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء- يعني: المشركين. ثم استقبله سعد بن معاذ ﷺ، فقال له أنس بن النضر: إني لأجد ريح الجنة من دون أحد. ثم قاتل أنس بن النضر ﷺ، قال سعد: فوالله ما استطعت ما صنع يا رسول الله. قال: فقُتل ومثَّل به المشركون. أو ومُثِّل به، ووجدنا به بضعًا وثمانين بين ضربة بسيف وطعنة برمح أو رمية بسهم، فما عرفه أحد إلا أخته ببَنانِه. قال أنس: فكنا نرىٰ أو نظن أن الله ﷻ أنزل فيه وفي أمثاله هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾(١).

وإذا نظرت في التاريخ والسير، وفيما كان عليه أصحاب محمد ﷺ، لرأيت العجب العُجاب مما قاموا به رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم، في سبيل الله ﷻ، ومن أجل إعلاء كلمة الله ﷻ، فمنهم من قُتل في سبيل الله، ومنهم من صبر وصابر حتىٰ لقي الله ﷻ، فقدموا الغالي والنفيس، قدموا أرواحهم في سبيل الله ﷻ، واسمع إلىٰ بعض تلك المشاهد منهم:

فقد جاء في البخاري من حديث ابن عمر ﷺ، قال: قال النبي ﷺ لما أرسل الصحابة في غزوة مؤتة، قال: أمَّر النبي ﷺ زيد بن حارثة، قال: «**فإن قُتل أو**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).

استُشهد، فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتل فعبد الله بن رواحة»، قال عبد الله بن عمر ﷺ: فكنت في تلك المعركة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب ﷺ، فوجدناه مقتولًا وبه بضع وتسعون بين طعنة ورمية، ليس فيها واحدة في دُبرِه، أي: في ظهره، رضي الله تعالىٰ عنه وأرضاه(١).

وروىٰ الإمام النسائي من حديث شداد بن الهاد، وهو في «الصحيح المسند»: أن النبي ﷺ جاءه رجل، فبايَعه علىٰ الإسلام، ثم قال: أهاجر معك يا رسول الله. فاستوصىٰ النبي ﷺ بأصحابه أوصىٰ به خيرًا، فكان يرعىٰ لهم الظَّهر، فلما خرج المسلمون إلىٰ غزوة خيبر، كما في بعض الروايات، قال: فلما حصلت المغانم، أرسل النبي ﷺ إليه نصيبه وسهمه، وكان يرعىٰ ظهرًا لهم، فلما رفعوه إليه، قال: ما هذا؟ قالوا: قِسمٌ قسمه لك رسول الله ﷺ. فأخذه وانطلق إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ما هذا؟ قال: «**سهمك من المغانم**»، قال: ما علىٰ هذا اتبعتك يا رسول الله، ولكني اتبعتك علىٰ أن أُرمَىٰ هاهنا- وأشار إلىٰ عنقه- حتىٰ أُقتل فأدخل الجنة. فقال النبي ﷺ: «**إن تصدق الله يصدقك**»، فقاموا إلىٰ معركة، فلما انتهت المعركة، جيء بذلك الرجل الأعرابي، فسأل النبي ﷺ، قال: «**أهو هو؟**» قالوا: نعم. فنظر إليه وإذا بالسهم في ذلك الموضع الذي أشار إليه ﷺ، فقال ﷺ: «**صدق الله فصدقه**»، فكفَّنه النبي ﷺ في جُبته، ثم قال يصلي عليه، فقال: «**اللهم إن هذا عبدك، خرج مهاجرًا في سبيلك، فقُتل شهيدًا، وأنا شهيد علىٰ ذلك**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦١).

(٢) أخرجه النسائي في «المجتبىٰ» (١٩٥٣)، والحاكم (٦٥٢٧) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٣٦)، وشيخنا الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١/ ٤٠١).

وفي «صحيح الإمام مسلم» من حديث أنس ﷺ، أن النبي ﷺ قال للصحابة في معركة بدر: «**لا يتقدمنَّ أحد منكم حتىٰ أكون أنا دونه**» فلما اقترب المشركون قال ﷺ: «**قوموا إلىٰ جنة عرضها السماوات والأرض**»، فقال عُمير بن الحُمَام: جنة عرضها السماوات والأرض يا رسول الله؟ قال: «**نعم**»، قال: بخٍ بخٍ. قال: «**فما حملك علىٰ ذلك؟**»، قال: رجاءً أن أكون من أهلها. قال: «**فأنت من أهلها**»، قال: فقام ﷺ، فأخرج تمراتٍ كُنَّ في قَرنِه، وجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن حييت حتىٰ آكل تمراتي، إنها لحياة طويلة. ثم رمىٰ بالتمرات، فقاتل حتىٰ قُتل ﷺ (١).

وكم ترىٰ من المشاهد العظيمة، التي قام بها أصحاب محمد ﷺ، ففي «صحيح الإمام البخاري» من حديث البراء بن عازب رضي الله تعالىٰ عنه وأرضاه، أن رجلًا يُقال له: أبو رافع اليهودي، عبد الله بن أبي الحُقيْق، كان تاجرًا من تجار الحجاز، وكان يؤذي رسول الله ﷺ، فقال: «**من لأبي رافع؟**»، فأرسل إليه النبي ﷺ سريَّة، وأمَّر عليهم عبد الله بن عَتِيك، فانطلق النفر إلىٰ ذلك الرجل اليهودي، فلما اقتربوا من حصنه ومكانه، وكان قبل غروب الشمس، قال عبد الله لأصحابه: مكانكم لعلي أتلطف، فأدخل. فلمَّا اقترب من الحصن، جعل الناس يُدخلون مواشيهم، فقال ذلك الذي يحرس الباب: يا فلان، إن كنت تريد أن تدخل، فإني سأغلق الباب. فانتهز الفرصة ﷺ، ودخل ذلك الحصن، واختبأ في مكان، فانتظر حتىٰ دخل الناس، ونظر أين وضع المفاتيح، فأخذها، قال: فانتظرت، وكان أبو رافع يسمر مع أصحابه في عَلَالِيَّ له، قال: فانتظرت حتىٰ نام الناس، وترك الناس أبا رافع، فقمت فدخلت داره، فكنت لا أدخل بابًا إلا وأغلقته بعدي، قلت: إن نذر القوم بي، أو عثروا علي، لا يصلون إليَّ إلا وقد قتلته. يدخل الباب

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠١).

ثم يغلقه، فلما وصل إلىٰ المكان الذي فيه أبو رافع، قال: وإذا هو في غرفة مظلمة بين أبنائه، فما عرفت أين هو، فقلت: يا أبا رافع. قال: نعم. فانطلقت إليه وضربته بالسيف وأنا دَهِش. قال: ثم خرجت من الدار وقد أخطأته، ثم مكثت هنيهة، ورجعت، وقلت له: ما لك يا أبا رافع؟ وغيرت صوتي. قال: لك الويل، فإن رجلًا في الدار ضربني بالسيف. قال: فلمَّا عرفت مكانه، ضربته مرة أخرىٰ حتىٰ أثبتُّه، ثم اعتمدت علىٰ السيف فوضعته في بطنه حتىٰ خرج من ظهره، ثم خرجت أفتح الأبواب بابًا بابًا، فلما كان في آخر ذلك المكان، سقط فانكسرت رجله ﷺ، فخرج إلىٰ باب السور، فقال: لا أنصرف حتىٰ أتأكد هل قُتل هذا الرجل. فلما كان في الصباح خرج الذي يؤذن أو يعلم بأن أبا رافع قد قُتل. فخرج ﷺ، وقد ربط رجله، وقال لأصحابه: النجاةَ النجاةَ، فقد قتل الله ﷻ أبا رافع. ثم رجع إلىٰ النبي ﷺ، وأخبره الخبر، ففرح النبي ﷺ، وبصق في رجله، فبرئ كأن لم يكن به وجع[(١)].

وكم ترىٰ من تلك المشاهد العظيمة، التي عاشها أصحاب محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ولهذا قال الله فيهم في هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾، فمنهم من قدَّم روحه ودمه، ومنهم من قدَّم ماله كله، ومنهم من فارق أهله وعشيرته، كل ذلك من أجل نصرة دين الله ﷻ، فنصر الله ﷻ بهم الإسلام، وقهر ﷻ أعداءهم، وكسر شوكتهم علىٰ قلة أعدادهم، وعلىٰ قلة عتادهم، لكن لِمَا يحملونه في قلوبهم من تعظيم شرع الله، والعمل بدين الله، والدفاع عن رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

(١) أخرجه البخاري (٤٠٣٩).

الخطبة الثانية

الحمد لله، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحبُّ ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون، هذه أمثلة قليلة، وغيرها كثير، مما كان عليه أصحاب محمد ﷺ، فبذلك نَصَرهم الله ﷻ، ومكَّن لهم، ألا وإن الله ﷻ قد وصفهم في هذه الآية بقوله سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾، فهم قوم صدقوا مع الله، وصدقوا في عبادتهم لله، وفي نصرتهم لدين الله ﷻ، فإذا أردنا أن يمكِّن الله لنا، وأن يسددنا الله، وأن ينصرنا الله، فعلينا أن نصدق مع الله ﷻ، وأن نصلح نوايانا، وأن نصلح ظاهرنا وباطننا، ولهذا قال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل ما امرئ ما نوىٰ، فمن كانت هجرته إلىٰ الله ورسوله، فهجرته إلىٰ الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه**»(١)، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، فمن صدق الله صدقه الله، ومن صدق مع الله ﷻ، سدده الله، وأعانه الله، ووفقه الله، وحماه الله ﷻ، فالصحابة رضي الله عنهم قال الله عنهم في هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾، ثم قال: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾، ينبغي أن يعلم كل مسلم أنه إن كان من أتباع محمد ﷺ أنه يلاقي من الأذىٰ ما

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

لاقىٰ أصحاب محمد ﷺ من القتل، من الجراح، من الأذية، من السب، من غير ذلك من البلاء، قال: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾، ونستفيد من هذه الآية أن الله ﷻ إنما نصرهم بالثبات، وإنما نصرهم بالصبر والمصابرة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقال ﷺ: «**يا أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموه فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**»(١).

وهكذا يقول الله ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، فالصبر عاقبته حميدة، سواء كان علىٰ طاعة الله، وعلىٰ تحصيل العلم النافع، وعلىٰ جهاد أعداء الله من الكفار والرافضة وغيرهم، أو كان كذلك في أمور دين الله ﷻ، عاقبته حميدة، ولهذا يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، فأصحاب رسول الله ﷺ صبروا علىٰ طاعة الله، صبروا علىٰ توحيد الله، صبروا علىٰ مجاهدة أعداء الله، صبروا علىٰ مجاهدة أنفسهم، صبروا علىٰ تلقِّي العلم من رسول الله ﷺ، فينبغي لنا أن نتأسَّىٰ بهم، وأن نسير في طريقهم، وأن نسلك دربهم إذا أردنا أن ينصرنا الله ﷻ.

أيها المؤمنون عبادَ الله، وينبغي لنا أيضًا أن نرضىٰ بقضاء الله ﷻ وقدره، وأن نعلم أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، قال ﷺ لابن عباس: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٦٥)، ومسلم (١٧٤٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه.

عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف»(١)، ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥] فالآجال محسومة، والأرزاق مقسومة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**إن روح القدس قد نفث في رَوْعِي أنها لن تموت نفس حتىٰ تستوفي رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجْمِلوا في الطلب**»(٢)، فالله ﷻ ناصر دينه، وناصر عباده، وهو الذي يؤيد المؤمنين، وهو الذي ينصرهم، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، ويقول الله ﷻ في كتابه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ويقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧]، فينبغي للمؤمن أن يرضىٰ بما قسم الله له، وبما قدَّر الله ﷻ عليه، وعليه أن يقيم دين الله، وأن يستقيم علىٰ شرع الله، وأن يبتعد عن معصية الله ﷻ، فإنما يُخذَل العباد بسبب معاصيهم، وبسبب مخالفاتهم، وبسبب بعدهم عن دين الله ﷻ، فنعمل بشرع الله ﷻ ظاهرًا وباطنًا ما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلًا، فوالله ما نصر الله ﷻ المهاجرين والأنصار بكثرة أموالهم، ولا بكثرة أسلحتهم، ولا بكثرة عتادهم، وإنما كان ذلك بطاعتهم بسبب طاعتهم لربهم سبحانه، وعملهم بشرعه، واستقامتهم علىٰ دينه، والعمل بما جاء عن رسوله ﷺ.

ألا واعلموا رحمكم الله أنه وحتىٰ في هذه الأوقات وفي هذه المواطن، أنه لا ينبغي لنا أن نُشغل عن العلم النافع، بل نحرص علىٰ أوقاتنا، ونحرص علىٰ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦٩)، الترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٤٢).

أعمارنا، فمن وُكِّل إليه أمر يقوم به خير قيام، ومن لم يُوكَّل إليه أمر، فينبغي عليه ألا تضيع أوقاته، وألا تذهب عليه سدىٰ، بل يستغلها في طاعة الله، وفي عبادة الله، وفي تحصيل العلم النافع، وفي حفظ القرآن الكريم، وفي مدارسته، وفي المحافظة علىٰ الحلقات العلمية، فإن دعوة أهل السنة والجماعة إنما تقوىٰ وإنما تُنصر بهذه الأمور، ومنها الحفاظ علىٰ العلم النافع، والمواصلة فيه، والسير عليه، والعمل به.

وهكذا عبادَ الله، ينبغي لنا جميعًا أننا لا نترك شيئًا من دين الله ﷻ، ما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلًا، فبذلك ينصرنا الله، وبذلك يؤيدنا الله، وبذلك يحفظنا الله، وبذلك يدفع عنا كيد الأعداء من اليهود والنصارىٰ ومن الرافضة ومن المنافقين، ومن غيرهم، ونتناصح فيما بيننا أن نتعاون علىٰ البر والتقوىٰ ما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلًا، وإياك يا عبد الله أن تشرِّق أو تغرِّب، فإنك في دار عامرة، وفي دار عظيمة، وبين يدي عالم جليل[1] تأخذ بنصحه في كل ما تفعله، وفي كل ما تقوم به، إياك والذهاب يمنةً ويسرةً بغير ما تستشير، وبغير ما تستأذن، فإن ذلك ربما يسبب لك الضرر في الدنيا، ويُخشىٰ عليك أن يسبب عليك الضرر في الآخرة.

نسأل الله ﷻ بمنه وكرمه أن يعيننا وإياكم علىٰ طاعته، وأن يعيننا وإياكم علىٰ الاستقامة علىٰ دينه، وأن يجمعنا بكم في دار كرامته، وأن يرزقنا وإياكم الشهادة في سبيله، والحمد لله رب العالمين.



(١) المراد به: شيخنا يحيىٰ بن علي الحجوري حفظه الله.

وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس عبادَ الله، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

هذه النعمة الكبرىٰ والمنَّة الإلهية والمنحة من رب العالمين سبحانه لهذه

الأمة- أنْ بعث فيهم هذا النبي الكريم وهذا الرسولَ الأمين ﷺ؛ ليزكي رب العالمين به نفوس من شاء من العباد، ويخرجهم من الظلمات إلىٰ النور بإذنه ﷻ، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويهديهم إلىٰ صراط مستقيم بإذنه .ﷻ

وأمر الله ﷻ بطاعته، وجعل طاعته سبيلًا إلىٰ الجنة، وحذَّر من معصيته، وبيَّن أن ذلك سبيل يوصل إلىٰ النار؛ ولهذا يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، ويقول الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، ويقول الله ﷻ آمرًا عباده بأن يطيعوه في كل صغير وكبير، وفي كل نقير وقطمير، وهذا معنىٰ أشهد أن محمدًا رسول الله، فهو طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والانتهاء عما نهىٰ عنه وزجر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ويقول الله ﷻ أيضًا في كتابه الكريم: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، لا يصلون إلىٰ مرتبة الإيمان الكامل، إلا إذا كان عندهم التسليم الكامل والانقياد المطلوب الذي أراده الله ﷻ إلىٰ دين الله ﷻ، وإلىٰ ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ، في عقائدهم، في عباداتهم، في معاملاتهم، في أقوالهم وأفعالهم، وهكذا يقول ربنا ﷻ في كتابه الكريم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، فجعل الله ﷻ مغفرة الذنوب وإثبات محبته لعبده باتباع نبيه وطاعته ﷺ، يا من تدَّعي محبة الله ﷻ، فإنه لا يقابلك بها، إلا إذا اتبعت نبيه ﷺ، وأطعته، وقدمت أمره وقوله علىٰ رأيك وفكرك وشهوتك

ورغبتك، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ومفهوم الآية: أن من أعرض عن سنته، ولم يتبع هديه، فإنه يُسخط ربه، وربما أبغضه وعاقبه.

وهكذا معاشرَ المؤمنين، يقول نبينا ﷺ، كما في البخاري عن أبي هريرة: «**كلُّ أمتي يدخلون الجنة، إلا من أبىٰ**». قيل: ومن يأبىٰ يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ**»(١).

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة(٢)، وفي مسلم(٣) عن جابر، قال ﷺ: «**مَثَلي ومَثَلكم كمثل رجل أوقد نارًا، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذبُّهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلَّتون من يدي**»، فجعل طاعته ﷺ وتصديقه والعمل بسنته أعظم سبيل يوصل إلىٰ جنة عرضها السماوات والأرض، والعكس بالعكس، فإن من خالف أمره، وابتعد عن هديه ولم يعمل بسنته، فقد فتح علىٰ نفسه باب شر، ربما يوصله إلىٰ نار الجحيم؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وكم حذَّر الله ﷻ عباده من أن يخالفوا أمر رسوله ﷺ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، ويقول الله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، ربما يُفتن العبد في دينه، ويزيغ قلبه، وينحرف عن الصراط المستقيم،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٨٥).

بمخالفة الرسول الكريم، ولو كان في أمر يسير، وخصوصًا لمن علم أن هذا هديه، وأن هذه سنته، وأن هذا حديثه، وأن هذه طريقته، ثم يخالف بعد ذلك عن علم، فإنه يُخشىٰ عليه من الزيغ والانحراف.

جاء رجل إلىٰ الإمام مالك، فأراد أن يحرم من مسجد النبي ﷺ، فنهاه، وقال له: الإحرام من ميقات ذي الحليفة. فقال: لماذا؟ قال: أخشىٰ عليك من الفتنة. قال: وأيُّ فتنة في أميال أزيدها في سبيل الله؟ قال: أَوَمَا سمعت قول الله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

ولنا بما حصل في التاريخ عبرة في زمن النبي ﷺ ومن بعده، لمن خالف أمره، وابتعد عن سنته، كيف عاقبهم الله ﷻ؟ فها هي قريش بخيلائها وكبريائها وأموالها وعدتها وعتادها يوم أن أعرضوا عن دين رسول الله وعما جاء به عن الله، كيف حالهم؟ وكيف مآلهم؟ وماذا صار لهم؟ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩]، ويقول الله ﷻ في سورة النحل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣].

كان النبي ﷺ في غزوة من الغزوات، وهي غزوة تبوك، فقال: «**إنها ستهبُّ هذه الليلة ريحٌ شديدة، فليربطْ كلُّ رجل منكم بعيره، وليقعد**»(٢)، فقام رجلان، واعترضا، وقالا: ما الذي يحصل؟ فقاما ولم يجلسا، فهبت تلك الرياح، وأخذت

---

(١) انظر: «الاعتصام» للشاطبي (١/ ١٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٨٢)، ومسلم (١٣٩٢) من حديث أبي حميد رضي الله عنه.

هذين الرجلين من ذلك المكان إلىٰ جبلي طي في بلاد اليمن. انظر إلىٰ هذه العقوبة مع أنهما من أهل الإسلام.

ولمَّا أراد ذلك الرجل عند النبي ﷺ أن يأكل بشماله، كما في حديث سلمة، فقال له: «**كُلْ بيمينك**»، قال: ما استطعت، أو: لا أستطيع. قال: ما أصابه إلا الكبر، فقال له النبي ﷺ: «**لا استطعت**»(١). دعا عليه، فشُلَّت يده، فما استطاع أن يرفعها إلىٰ فيه.

وأصحاب محمد ﷺ أولئك الأخيار البررة الذين بشرهم الله بالجنة ورضي الله عنهم، وبيَّن منازلهم ودرجاتهم في كتابه العظيم، لمَّا كان بعضهم في غزوة أحد، وجعل جماعةً علىٰ جبل الرماة، فأمرهم ألا ينزلوا من ذلك المكان، وإن تخطَّفتهم الطير، فتأوَّل بعضهم عند هزيمة المشركين، فقالوا: الغنيمةَ، الغنيمةَ. وحصل الخلاف فيما بينهم، فنزلوا وتركوا مكانهم، متأوِّلين ليسوا بعاصين، ولا متمردين، ولا معاندين، وإنما تأوَّلوا أن المعركة قد انتهت، وهذا في الحقيقة تركٌ لأمر رسول الله ﷺ، فلمَّا نزلوا، حصل ما حصل، والتف خالد بن الوليد علىٰ الجيش، وحصل ما حصل من القتل، قُتل سبعون من أصحاب محمد ﷺ في تلك المعركة، ﴿**أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ**﴾ [آل عمران: ١٦٥]، إذا كان هذا العتاب لأصحاب رسول الله ﷺ الذين أبلوا بلاء حسنًا، والذين ناضلوا وكافحوا وجاهدوا، وقدموا أنفسهم وأموالهم وأرواحهم؛ من أجل دين الله ﷻ، فحصل لهم ما حصل بسبب هذا الخطأ الذي كان عن تأويل من بعضهم، وليس من جميعهم، فكيف بمن يرد سنة رسول الله ﷺ، ويخالف أمره، ويتعدىٰ ما

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

أمر به ﷺ؟ ألا يخشىٰ عقوبة الله ﷻ؟ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

ولهذا فإنَّ ما يحل بالأمة الإسلامية من العقوبات الإلهية، ممَّا يحلُّ بهم من الذل والهوان والخَوَر وتسلط الأعداء وتمزق الصفوف وتشتتها ونشر الشحناء والبغضاء والعداوات- إنَّما ذلك بسبب الذنوب والسيئات والمخالفات، والمُحادَّة لسنة رسول الله ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠]، ويقول ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧]، ويقول عليه السلام: «**وجُعلت الذِّلَّة والصَّغار علىٰ من خالف أمري**»(١)، وهكذا يقول بعض السلف: والله إنهم مهما طقطقت بهم البغال(٢)، وهملجت بهم البراذين(٣)؛ إن ذل المعصية لا يُفارق قلوبهم، أبىٰ اللهُ إلا أن يُذل مَن عصاه(٤).

(١) أخرجه أحمد (٥١١٤) وصححه الألباني في «تخريج مشكلة الفقر» (ص٢٥).

(٢) الطقطقة: صوت قوائم الخيل علىٰ الأرض الصلبة.

(٣) **الهملجة**: حُسن سَيْر الدابة في سرعة. **والبراذين**: جمع يرذون، وهو غير العربي من الخيل والبغال.

(٤) من كلام الحسن البصري رحمه الله. انظر: «الداء والدواء»- (الجواب الكافي) (ص ٥٩).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحبُّ ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

أيها الناس عبادَ الله، إن الله ﷻ من رحمته بهذه الأمة أرسل إليها هذا النبيَّ الكريم، الذي أوضح لها الطريق، وأنار لها السبيل بإذنه ﷻ، فربَّاه ربُّه، فزكىٰ فؤاد ولسانه وقلبه، وأوحىٰ إليه قرآنه، أوحىٰ إليه كلامه ﷻ، وأعطاه القرآن ومثله معه، وأعطاه جوامع الكلم، كلُّ ذلك؛ رحمة بالأمة؛ ليدعوها إلىٰ الخير والفلاح، ويرشدها إلىٰ ما فيه الصلاح، قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فهو أرحم بنا من أنفسنا، وأرحم بنا من أقرب الناس إلينا، ولهذا أرشدنا إلىٰ ما فيه نجاحنا وفلاحنا، قال ﷺ: «**إنه ما من نبي قبلي إلا وكان حقًّا عليه أن يدلَّ أمته إلىٰ خير ما يعلمه لهم، ويحذِّرهم شرَّ ما يعلمه لهم**»(١). الحديث رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

نبينا ﷺ تركَنا علىٰ مثل البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، أتانا بدين شامل كامل، بدين يصلح لكل زمان ومكان، بدين اختاره الله وارتضاه، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]،

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

جعله الله ﷻ دينًا حاكمًا علىٰ الأديان الماضية، وناسخًا لها، ودينًا كاملًا، لا يحتاج إلىٰ تكميل، ولا إلىٰ إضافات، وإنما يجب علىٰ العباد أن يأخذوه بكلِّ ما جاء فيه من الخير والنفع والصلاح، فكله خير، وكله سعادة للبشرية، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، أي: خذوا الإسلام من جميع جوانبه؛ ولهذا حذَّر الله سبحانه عباده من أن يحدثوا في دين الله ﷻ بدعًا وخرافات ومخالفات، فإن هذا أمر خطير، أعظم من تركهم لبعض الواجبات، أن يُضاف إلىٰ دين الله ﷻ ما لم يُنزِل به سلطانًا، فإن هذا يُعدُّ طعنًا في الله، وطعنًا في رسول الله ﷺ، ويُعدُّ طعنًا في دين الله ﷻ، فربنا أكمل دينه، وأتم نعمته، فمن زاد شيئًا، أو أحدث بدعًا، فكأنَّه يطعن في رسول الله ﷺ؛ ولهذا يقول بعض السلف كعمر بن عبد العزيز وغيره، وابن الماجشون، يقول: من اعتقد، أو من قال بأن في دين الله ﷻ بدعًا حسنة، فإنه يتَّهم محمدًا بأنه خان الرسالة، أي: وأخفىٰ شيئًا أضافه هذا المحدث والمبتدع(١).

ولهذا كان نبينا ﷺ كثيرًا ما يحذر من البدع، يلقي تلك الخطب والمحاضرات والمواعظ علىٰ أصحابه الكرام، الذين كانوا دائمًا حربًا علىٰ البدع وأهلها، ليست في أوساطهم، ولا من أعمالهم، ولا من أخلاقهم، ومع ذلك كان يكرِّر، ويقول: «**أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل**

---

(١) قال ابن الماجشون: «سمعت مالكًا يقول: مَن ابتدع في الإسلام بدعة يَراها حسنة، زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا». «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٦٤، ٦٥).

ضلالة في النار»[(١)]. يكرِّر هذا في خطبه، لمجتمع صالح سني سلفي، مطيع لربه، ومتبع لرسوله؛ ليبيِّن لنا جميعًا خطورةَ البدع وشدة ضررها؛ ولهذا فقد جاء في الصحيحين من حديث عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردٌّ**»[(٢)]، أي: فهو مردود عليه.

وكم أحدث المسلمون من بدع كثيرة في العقائد والعبادات والأعمال والأخلاق والمعاملات في سائر شؤونهم، أحدثوا بدعًا كثيرة، وأزاحوا سننًا كثيرة، فما حلَّت بدعة، إلا وذهبت من مكانها سنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والذي نحب أن ننوِّه إليه في هذا المقام- بدعة شهيرة اشتهرت بين كثير من المسلمين، ألا وهي بدعة المولد النبوي، الذي يُحدثه كثير من الناس في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، هذه البدعة المنكرة التي ما أنزل الله ﷻ بها من سلطان، يا أيها الناس، أتدرون متىٰ أُحدثت هذه البدعة؟ ومن أحدثها؟ ومن يدعو إليها؟ ومن يرفع عقيرتَه فيها؟ ومن يهتمُّ بها؟ ومن يسعىٰ لنشرها؟ هذه البدعة لم يحدثها الصحابة، ولا الرسول الكريم، ولا السلف الصالحون، هذه البدعة أُحدثت في القرن الرابع الهجري، يعني بعد مرور نحو أربعمائة سنة من موت النبي ﷺ، هل أحدثها الخلفاء العباسيون؟، هل أحدثها العلماء المحدثون؟ لا والله، وإنما أحدثها العُبَيْدِيُّونَ الفاطميُّون، الذين تولَّوا واستولوا علىٰ بلاد مصر، وما جاورها، هذه الطائفة المارقة التي حكم أهل العلم بزندقتها وكفرها ومروقها من الإسلام، والذي بيَّن شيخ الإسلام وغيره من الأئمة الكرام أنهم يدعو زورًا وبهتانًا وكذبًا أنهم يرجعون إلىٰ نسب فاطمة ﵂، وهم كاذبون في ذلك، هذه الفرقة الفاجرة التي

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

حطمت المساجد، وبنت المشاهد، هذه الفرقة التي سحلت العلماء في زمنها، هذه الفرقة التي كُتب في أيامها سبُّ أبي بكر وعمر وسائر الصحابة علىٰ جدران البيوت والمساجد والشوارع في بلاد مصر، هذه الفرقة المارقة هي التي أحدثت هذا الاحتفال بالمولد النبوي، ويدَّعون زورًا وبهتانًا أنه من دين الله ﷻ، ليس عندهم أدنىٰ من برهان، ولا سنة، ولا قرآن، وما ذكروه عن أبي جهل، ويا ويحهم، وما أقبح ما يستدلون به، يقولون: لما وُلد رسول الله ﷺ، وجاءت جارية تخبر أبا جهل بمولده، فرح أبو جهل واستبشر، وأعتق تلك الجارية، فلما مات أبو جهل، رُئي في المنام، فقيل له أنه يُسقىٰ في ذلك اليوم، يُسقىٰ ماءً، أو نحو ذلك، فلما سُئل، أو يُخفف عنه العذاب، فلما سُئل قال: بإعتاقي لتلك الجارية يوم أن وُلد محمد بن عبد الله. وهذا كذب، فلم تصح هذه القصة، فهي مرسلة عن عروة بن الزبير، ولو صحَّت هذه القصة فهي رؤيا منامية، وهل تُبنىٰ الأحكام الشرعية علىٰ الرؤىٰ المنامية ولو كانت صحيحة؟ فهذه محبة طبيعية، ولم يفعل ذلك رسول الأمة ونبي الهدىٰ، فقد عاش ﷺ بعد أن بعثه الله ﷻ أكثر من عشرين عامًا، فلم يعمل احتفالًا لمولده، ولم يصنعه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي، ولا الخلفاء الأمويون، ولا العباسيون، ولا سائر المسلمين، وإنما فعله هؤلاء الزنادقة، ثم انظروا في هذه الأيام من يُشيع هذه البدعة؟ ويدعو إليها ويُشيعها وينشرها؟ إنما هم الرافضة الأنجاس الأرجاس، وهكذا بعض الصوفية الحمقىٰ، الذين يدعون إلىٰ هذه البدعة، يُنشدون القصائد الضالة التي فيها الشركيات، والتي فيها الكفريات، كالبُردة التي يقول صاحبها:

يـا أكـرم الخلـق مـن لـي مـن ألـوذ بـه ... سواك عنـد حـدوث الحـادث العِمـم

فـإن مـن جـودك الـدنيا وضـرتها ... ومـن علومـك علـم اللـوح والقلـم

لم يبقِ لله ﷻ شيئًا، جعل نبيَّنا ﷺ في مرتبة الألوهية والربوبية، هذه القصيدة مما يُنشد في تلك الموالد، يقرءون سيرته، ويتحدثون عن نسبه، ونحن بحاجة إلىٰ أن نكون كذلك في كل وقت، ليس في زمن معين، ليس في الثاني عشر من ربيع الأول، بل من ديننا واعتقادنا أن نتعلم نسب النبي ﷺ، وأن نقرأ سيرته العطرة، وأن نأخذ بأوامره، وأن ننتهي عن نواهيه، وأن نكون مع دينه ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا، سفرًا وحضرًا، في السراء والضراء، ليس في يوم واحد تحصل تلك الاحتفالات، وتقع تلك المنكرات، وربما في بعض الأماكن يكون الاختلاط من الرجال والنساء، الرافضة في مثل هذا الموقف يستغلونه في جمع الأموال، فلقد جمعوا الملايين، بل المليارات، في المناطق التي يسيطرون عليها بحجة المولد النبوي، ينشرون سمومهم، وينفضون باطلهم في مثل هذه الحادثة، ويا قبَّحهم الله، يا قبَّحهم الله، أين هم من طاعة رسول الله ﷺ يوم أن يدَّعوا تعظيمه في ذلك اليوم، وهم يتهمون زوجته بأنها ارتكبت الفاحشة، يتهمونها بالزنا، يتهمون أصحابه الكرام بأنهم زنادقة، وبأنهم وبأنهم؟ إنما هذا لتعلموا عبادَ الله أنه لا يدعو إلىٰ هذه البدعة إلا ردي، إما زنديق، وإما مبتدع ضال، وإما جاهل يحتاج إلىٰ أن يُعلم تعظيم رسول الله ﷺ، يجب علىٰ كل مسلم، لكنه التعظيم الشرعي، الذي أمر الله ﷻ به، ودعا إليه في كتابه، والذي كان عليه الصحابة الكرام، فهم أعلم الناس برسول الله، وأحب الناس إلىٰ رسول الله، وأشدهم له طاعة وتعظيمًا وإجلالًا وانقيادًا واتباعًا، ومع ذلك لم يصنعوا من هذه البدع والمحدثات، وإنما كانوا مطيعين له في أقوالهم وأفعالهم، فرضي الله تعالىٰ عنهم.

فاحذروا عبادَ الله من البدع، احذروا من البدع وأهلها، ولو كانت بصورة الحرقة علىٰ الدين، والدعوة إلىٰ محبة الرسول الأمين، فإن هذا من المكر بأهل

الإسلام، من المكر بأهل الإسلام، ولا يأتي مبتدع ببدعة، إلا وأظهر أنه يريد الخير، حتىٰ إبليس الرجيم، لما دعا أبانا آدم إلىٰ أن يأكل من الشجرة، أظهر له أنه من الناصحين، وأنه من المشفقين، ﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، وهكذا كل مبطل مهين في كل زمان ومكان يدعو إلىٰ باطل- يظهره في صورة الحق، فالحذرَ الحذرَ عبادَ الله، ولنكن متمسكين بكتاب الله، وبسنة رسول الله ﷺ، ولا تَنفُق علينا مثل هذه الدعايات الكاذبة البراقة، ومن كان محبًّا لرسول الله، فليدافع عن دينه، من كان محبًّا لرسول الله، فليحفظ القرآن الذي جاء به، من كان محبًّا لرسول الله، فليعتقد عقيدته، من كان محبًّا لرسول الله، فليعمل بشرعه، ويتحاكم إليه، في كل صغير وكبير، أمَّا الدعاوىٰ، فإنها لا تنفع أصحابها، إن لم يكن معها عمل واعتقاد وصدق في الظاهر والباطن.

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لما يحبُّ ويرضىٰ، إنه علىٰ كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين.

يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم

الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

أهمية القلوب وشأنها أمر عظيم عند الله ﷻ، وينبني علىٰ صلاحها وفسادها نجاة العباد وهلاكهم، ولهذا قال الله ﷻ في شأن أعظم ما يُصلَح به القلوب: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤]، فجبريل عليه السلام نزل بالوحي علىٰ قلب محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وقبل أن أبدأ كلمتي أنبه علىٰ أمر يتعلق بما مضىٰ، أن من الناس من ربما يستخدم جوارحه في معصية الله ﷻ، فإذا نصحته أو وجهته، قال: أهم شيء القلب، فإن قلبي سليم. فتراه يخالط النساء، ويصافحهنَّ وهن أجنبيات، وينظر إليهن، ويستمع الأغاني والمزامير، ويسب، ويلعن، ويسخط، ويبطش بيده المحرمات، وبسائر جوارحه، فإذا نُصح قال: أهم شيء القلب. فيقال لهذا الذي طاش فهمه، وأخطأ سهمه في هذا الحديث المتقدم الذي ذكره أخونا: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله**»[(١)]، فإذا فسد البصر

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

دل علىٰ أن هناك فسادًا في القلب، وإذا فسد اللسان دل علىٰ أن هناك فسادًا في القلب، وإذا فسد السمع فكذلك، وإذا فسدت اليدان فكذلك، فصلاح الظاهر يدل علىٰ صلاح الباطن، وفساد الظاهر يدل علىٰ فساد الباطن، ولو كان القلب سليمًا، لسلمت الجوارح كلها، «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله**»، وإنما هي مغالطة ممن يقول هذه العبارة.

أيها الإخوة المؤمنون، في هذا المقام أذكر نفسي وإياكم بأمر عظيم، ألا وهو ما ذكره الله ﷻ في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩- ١١]، موعظة بليغة، وموعظة كافية، ولكن ما أكثر المواعظ التي نسمعها، وما أكثر السور والآيات التي نقرأها، وما أكثر الأحاديث التي تمرُّ بنا، لكن هل ننتفع بها؟ هل نستفيد منها؟ هل نتعظ بها؟ يقول لنا ربنا سبحانه في كتابه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢]، ويقول لنا: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، فما أكثر الغفلة والإعراض عن فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، في هذه الآية يخاطب الله ﷻ أهل الإيمان، فأنا وأنت وسائر أهل الإيمان داخلون في هذا الخطاب، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [المنافقون: ٩] أموالكم التي أباحها الله ﷻ لكم، أولادكم الذين رزقكم الله ﷻ إياهم، ومع ذلك نهانا الله ﷻ أن نُشغَل بهما عن ذكر

الله، وعن عبادة الله، وعن طاعة الله، فكيف بمن يُشغل بالمحرمات؟ فكيف بمن يُشغل بالشبهات؟ فكيف بمن يُشغل بالشهوات؟ فكيف بمن يُشغل بالباطل بالكفر بالنفاق بالشقاق بالزندقة؟ إذا كان هذان الأمران اللذان أباحهما الله ﷻ وأضافهما إلىٰ العبد: ﴿أَمْوَٰلُكُمْ﴾ و﴿أَوْلَٰدُكُمْ﴾، ومع ذلك إذا شُغل الإنسان بهما عن ذكر الله ﷻ وطاعته، فقد وقع في محذور، وارتكب ممنوعًا، وذكر الله ﷻ أن عقوبته عظيمة دينية ودنيوية، حسية ومعنوية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩] ما أكثر الذين يُشغلون بالدنيا والأموال والأولاد، فيتركون شرائع الإسلام وأركانه، يتركون أركان الإسلام، فضلًا عن غيرها من الواجبات، لو نظرت مثلًا فيما نحن فيه في هذا السوق الذي أنتم فيه، ما أكثر الذين يجرُون ليلًا ونهارًا في تجارتهم، وفي بيعهم لسياراتهم في الليل والنهار، أحدهم لا ينام الليل كله، لكن هل يستجيب للمنادي إذا قال: حي علىٰ الصلاة، حي علىٰ الفلاح. هل كل من في هذا السوق والشارع ينطلقون إلىٰ بيت الله ﷻ؟ الجواب: لا، بل الذين بالخارج أضعاف مضاعفة لمن يؤدون صلاة الجماعة، فانظر يا عبد الله، ركن من أركان الإسلام يُترَك من أجل الدنيا، يُضيع ركنًا من أركان الإسلام من أجل شيء تافه، أيُّ شُغل أعظم من هذا؟ وأيُّ لهو أعظم من هذا؟ يُلهىٰ به العبد عن ذكر الله .ﷻ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ فيا من تظن أنك تربح الألوف المتراكمة والملايين الكثيرة، وأنت قد قدمت الدنيا علىٰ الآخرة، وتركت عبادة الله ﷻ، فإنك خاسر لا محالة، خاسر لا محالة، لكنها ليست بخسارة المال، ولا بخسارة الدنيا، وإنما

خسارة الآخرة، خسارة أرض المحشر، الخسارة بين يدي الله ﷻ، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

ثم قال الله ﷻ بعدها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ [المنافقون: ٩، ١٠]، ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ هذا أمر من الله لعباده أن يجعلوا وقاية من عذابه ﷻ، أن يجعلوا حاجزًا بينهم وبين ناره بالأعمال الصالحة، ومنها النفقات، ومنها الصدقات، أن يُقبل علىٰ الذكر، وأن يبتعد عما يشغله عنه، وأن يبادر إلىٰ الطاعة، ومن ذلك النفقات، ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾، وفيه تنبيه من الله سبحانه أن ما أعطىٰ العبد إنما هو منه، ليس لك فيه حق، إنه مال الله، إنه رزق الله، ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ ليس بذكائكم، ولا بحيلتكم، ولا لمكانتكم في المجتمع، وإنما ﴿مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ فهو رزق الله ﷻ؛ ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، وفي هذه الآية يقول: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ [المنافقون: ١٠]، إذا كان الإنسان يؤمن بهذه الآية، وأن الرزق من الله ﷻ، فإنه يسعىٰ إليه بالطرق الشرعية والمعاملات الصحيحة التي لا خلل فيها، ولا غبش، ما أكثر الذين يخوضون في باب الرزق بالباطل، ويخوضون في باب الرزق بغير حق، فيسعون إلىٰ أخذ المال من أي طريق جاء، ولهذا قال النبي ﷺ، كما في البخاري من حديث أبي هريرة: «**يأتي علىٰ الناس زمان لا يبالي المرء من أين أخذ المال، أمن حلال، أم من حرام**»(١).

فاتق الله يا عبد الله، واعلم أن رزقك مقسوم عند الله ﷻ، وأنه ما من لقمة قد كتبها الله ﷻ لك، فإنك لن تفارق الحياة حتىٰ تصل إليك، وحتىٰ تقع في يديك،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨٣).

قال النبي ﷺ: «**إن روح القدس قد نفث في روعي أنها لن تموت نفس حتىٰ تستوفي رزقها وأجلها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب**»(١)، والإجمال في الطلب أخذ الحلال وترك الحرام.

لو نظرت إلىٰ الباعة والمشترين في أيامنا، وغيرهم ممن يتعاملون في باب البيع والشراء، لوجدت المخالفات الكثيرة، لماذا؟ كل ذلك حرصًا علىٰ المال، يريد أن يكون تاجرًا في أقرب فرصة، وأن يكون من أرباب الملايين في وقت قصير، فيسعىٰ إلىٰ جمع المال، ولو بالطرق المحرمة، أحدهم ربما يبيع شيئًا مغشوشًا، ويخدع به من يشتريه، والنبي ﷺ يقول: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيَّنا، بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما مُحِقت بركة بيعهما**»(٢)، متفق عليه. مسكين من كان هذا حاله، يُخفي العيوب؛ ليجمع المال، أَوَما علم أن بفعله هذا تذهب البركة؟ وربما يذهب ماله كله، وربما تصيبه فاجعة، أو تحلُّ به نقمة، فيذهب ذلك كله، والعياذ بالله.

وهكذا من الناس من ربما يتعامل بالربا، لماذا يتعامل بالربا؟ من أجل أن يكثر ماله، والعياذ بالله، وما عرف المسكين أن هذا سبب للمحق وذهاب المال والبركة في العمر والصحة والولد، وغير ذلك، قال الله ﷻ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، ويقول ﷺ: «**ما أكثرَ أحدٌ من الربا، إلا كان عاقبة أمره إلىٰ قلَّة**»(٣)، وإن جمع المال في أول أمره، وحصل له شيء من المال،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٢٧٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥١٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ولكنَّ نبيَّنا ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ، إن هو إلا وحي يوحىٰ - يخبرنا أن مآله إلىٰ القلة والذلة؛ لأنه عصىٰ الله ﷻ، ولم يرضَ بما قسم الله له.

وهكذا من الناس من يظن أنه لا بد أن يصل إلىٰ المال ولو بالكذب والأيمان الفاجرة، فتراه لا يبيع إلا بيمينه، ولا يشتري إلا بيمينه، وربما يحلف الأيمان المتكررة علىٰ سلعة لا تساوي شيئًا، يكرر عليها الأيمان، ويكون كاذبًا، يكون كاذبًا والعياذ بالله، قال النبي ﷺ كما في الصحيح عن أبي هريرة: «**ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنَّان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»(١)، فانظر إلىٰ هذه العقوبات الكثيرة، هذا مسكين، ربما يكون عنده سلعة تساوي عشرة آلاف، فيحلف عشر مرات عشرين مرة في اليوم أنه اشتراها بكذا، وهو كاذب، أو أنه أُعطي بها كذا، وهو كاذب، أو أنها من صناعة كذا، وهو كاذب، فتلحقه هذه العقوبات الكثيرة من أجل عشرة آلاف، لا يزكيه الله، ولا ينظر إليه، وله عذاب أليم، ومنهم: «**المنفق سلعته بالحلف الكاذب**».

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**إياكم وكثرة الحلف، فإنه منفقة للسلعة، ممحقة للبركة**»(٢)، جاء في «الصحيحين» عن أبي قتادة، وجاء في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة بنحوه، السلعة ربما تذهب وتُنفَق؛ لأنه قد جعل عليها أيمانًا مغلظة مكررة، لكن تذهب البركة، ويذهب الخير عنه، لكن من علم أن الرزاق ذو القوة المتين هو الذي يعطي ويمنع - يرضىٰ بما قسم الله له، لا يقع في الخلل، ولا في الخداع، ولا في الغش، ولا في الكذب، يرضىٰ بما قسم الله ﷻ له؛ لأنه يعلم أن

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦).

المال مال الله، وأن الرزق من الله، وأن الأمور بيد الله، ﷻ، فيصلح حاله، ويطمئن قلبه، وينشرح صدره، وإن لم يحصل له شيء من المال كما حصل لغيره.

﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] الذي يُشغل بالدنيا ويعرض عن ذكر الله ﷻ، ويبتعد عن الطاعات، ويحرم النفقات والزكوات والصدقات، وهكذا يعرض عن طاعة رب الأرض والسموات - يكون في حالة لا يعلمها إلا الله ﷻ من الخوف والوجل والحَزَنِ عند سكرات الموت؛ لأنه أيقن بالرحيل من الدنيا، والإقبال علىٰ الآخرة، والقدوم علىٰ الله ﷻ، وهو يعلم أنه صِفْرُ اليدين، ليس عنده من الأعمال ما تؤهله إلىٰ أن ينجو من عذاب الله ﷻ، مَن مِنَّا عباد الله لا يؤمن بتلك اللحظات التي يفارق فيها العبد أهله، ويفارق فيها أولاده، ويفارق فيها زوجته، ويفارق فيها ماله وداره، وينتقل من هذه الدنيا إلىٰ الآخرة؟ تذكروا يا معاشر المؤمنين، تذكروا تلك اللحظات التي يهجم فيها هادم اللذات، ومفرق الجماعات، فينزع الأرواح من الأجساد، ويوقن العباد بالرحيل إلىٰ الدار الآخرة، تذكر تلك اللحظات، وأنت منطرح علىٰ فراش الموت، مضت كذا كذا من عمرك من السنين، عشرين سنة، ثلاثين سنة، خمسين سنة، وأنت تقلب صفحاتها ولياليها وأيامها، وإذا هي مليئة بالمخالفات، مليئة بالسيئات، مليئة بالتفريط والغفلة، مليئة بالمغالطات، وقد هجم هادم اللذات.

﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ هو لا يريد أن يرجع إلىٰ الدنيا ليبني عمارته، ولا ليبقىٰ عشرين سنة، ولكن إلىٰ أجل قريب، ولو إلىٰ لحظات، يقول فيها: لا إله إلا الله. يقول فيها: سبحان الله. يقول فيها: أستغفر الله. يتصدق فيها بشيء من المال، يصلي فيها، ولو ركعة، ولو

سجدة لله ﷻ، ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ يتمنىٰ أن يرجع إلىٰ الدنيا، ويكون في صفوف الصالحين في المقدمة، ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، وفي الآية الأخرىٰ في سورة «المؤمنون» يقول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

يا أيها المؤمن، لماذا ننتظر إلىٰ تلك اللحظة، ونحن باستطاعتنا أن نعمل الأعمال الصالحة؟ باستطاعتك أن تقوم لصلاة الفجر، وتصليها في جماعة في بيت من بيوت الله ﷻ، باستطاعتك أن تحافظ علىٰ سمعك وبصرك ولسانك وجوارحك في طاعة الله ﷻ، باستطاعتك أن تفتش عن أمراض قلبك، فتصلح منها ما فسد، وتستعين بكلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ، باستطاعتك أن تراقب الله ﷻ في السر والعلن، في السفر والحضر، باستطاعتك أن تحسن إلىٰ جيرانك، باستطاعتك أن تبر والديك، باستطاعتك أن تحافظ علىٰ أبنائك وبناتك، فتربيهم التربية الطيبة، باستطاعتك أن تتعلم توحيد الله والعقيدة الصحيحة التي بها ينجو العباد يوم المعاد، باستطاعتك أن تتوب من ذنوبك كلها، وأن تنخلع من سيئاتك كلها، وترجع إلىٰ الله ﷻ، إذًا لماذا نفوت هذه الفرصة وأنفاسنا لا زالت نملكها، ولا زلنا نستطيع أن نرجع إلىٰ الله ﷻ؟ لماذا ننتظر إلىٰ تلك اللحظات الحرجة التي لا يستطيع أحدنا أن يستدرك ما فات؟ يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٦- ٣٠]، تصوروا معاشر المؤمنين رجل عنده مال، وعنده قصر، وعنده سيارة، رزقه الله ﷻ بنين وبنات، فهجم عليه هادم اللذات، وطُرح علىٰ الفراش، فاجتمع إليه أهله وأبناؤه، يريدون إنقاذه، تارة يذهبون إلىٰ المستشفىٰ الفلانية وإلىٰ

الطبيب الأخصائي، وأحيانًا ربما يسعفونه بسيارته إلىٰ المستشفىٰ، ما نفع معه العلاج؛ لأنه قد جاء هادم اللذات، أرادوا أن يخرجوه إلىٰ خارج بلاده، ربما لو كان ثريًّا، لاستأجروا له طيارة خاصة، لكنه قد جاء أمر الله، من الذي يدفعه؟ ومن الذي يمنعه؟ ومن الذي يرده؟

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦] إذا وصلت الروح الحلقوم، وصار العبد ينازع لا يستطيع حراكًا، ينظر إلىٰ أبنائه الصغار وهم يقولون: ما لك يا أبتاه؟ إلىٰ أين تذهب؟ لماذا تتركنا؟ وهو لا يستطيع أن يجيبهم.

﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ [القيامة: ٢٧] من يرقي هذا المريض؟ من يعالجه؟ من يدفع عنه هذا الخطب؟

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ [القيامة: ٢٨] والظن في هذه الآية بمعنىٰ اليقين، أيقن أنه مفارق لهم، هم يريدون مساعدته، ولكنه علم أنه لا جدوىٰ من تلك المساعدة، ولا نفع من ذلك الدواء؛ لأنه قد جاء أمر المولىٰ ﷻ، وفي هذه الآية يقول: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١] لا يستأخرون ساعة، ولا يستقدمون، آجالنا محتومة.

يا أيها الإخوة، أذكر لكم قصة حصلت معنا قبل ثلاث ليال، قبل ثلاث ليال كنا خارجين دعوة إلىٰ الله ﷻ في بلاد عدن، ومررنا علىٰ نقطة عسكرية، وفيها بعض إخواننا من العسكر الجُدد، فسلمنا علىٰ أحدهم، ثم قلنا له: ما شاء الله، صرت في هذه النقطة؟ قال: نعم، وقد أخبرونا أنهم سيأتون لنا بالراتب، لكن ما سأذهب للراتب إلىٰ الصولبان، إلىٰ معسكر الصولبان، ما سأذهب، إما أن يأتوا بالراتب إلىٰ مكاننا، وإلا ما سأذهب إلىٰ الصولبان. هكذا يقول في يوم الجمعة قبل

أمس، وفي هذا اليوم قُتل مع الذين قُتلوا في الصولبان، ذهب ليأخذ الراتب، فمات في المكان الذي ما كان يريد أن يموت فيه، ولا أن يذهب إليه، ذهب مع الذين ذهبوا، واجتمع مع الذين اجتمعوا، وقد كتب الله ﷻ أنه سيموت في ذلك المكان، شاب نعرفه من تلك البلدة حادثناه بعد صلاة العشاء في يوم هذه الجمعة التي مضت، في يوم الجمعة التي مضت.

إذًا؛ فلتعلم يا عبد الله، أن الأمور بيد الله ﷻ، وأن الموت إذا جاء لا تستطيع دفعه، ولا تستطيع رده، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ﴾ [لقمان: ٣٤]، وهكذا يقول النبي ﷺ: «**إذا أراد الله قبض عبد بأرض، جعل له إليها حاجة**»(١)، صح عن النبي ﷺ، يقول المولىٰ ﷻ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨] ما عساك أن تهرب، كم عساك أن تغفل، كم عسىٰ العبد أن يتمرَّد، بعض الناس يتمرد ويغالط نفسه، كم ستغالط نفسك؟ عشرين سنة، خمسين سنة، ستين سنة، ثم بعد ذلك إلىٰ أين المرجع؟ ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، المردُّ إلىٰ الله ﷻ، ترجع إليه ﷻ كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤]، بل إنك ستُبعَث بين يديه حافي القدمين، عاري الجسد، شاخص البصر، كما قال الله ﷻ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، فلماذا الغفلة عن تلك اللحظات؟ ولماذا الغفلة عن تلك المراحل العظيمة التي نؤمن بها ولا ينكرها أحد منا؟ الموت يتخطىٰ الرقاب، ما أكثر الذين يموتون، فأناس يموتون بانفجار حزام ناسف أو عبوة ناسفة، وآخر تنقلب به سيارته، فيموت مع

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٤٧)، وابن حبان (٦١٥١) وصححه الألباني في «الأدب المفرد» (٧٨٠) من حديث أبي عزة رضي الله عنه.

أفراد أسرته بكاملهم، وإذا بقي أحدهم ربما كان مكسر الأطراف والأعضاء، وربما انكسر العمود الفقري، أو ربما يحتاج إلىٰ علاج بالملايين، وآخر يصاب ببعض الأمراض في بطنه ومعدته، فيموت ربما من الدود، وآخر تصيبه الذبحة الصدرية، وآخر يموت بالفجأة، وآخر بالسرطان، وهكذا، تارة يموت كبير السن، وتارة تموت عجوز، وتارة يموت شباب، وتارة كهلًا، وأحيانًا الموت يأخذ من الأطفال، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، أما الذين يهلكون في الحروب والقتال، فبالعشرات، بل بالمئات، بل بالآلاف، كما نسمع ونشاهد ذلك في بلاد أهل الإسلام وغيرها، فإذا كنا موقنين بأن الموت آتٍ وفي لحظة لا نعلمها، لماذا الغفلة عن طاعة الله ﷻ؟

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١]، من أقبل علىٰ طاعة الله ﷻ، فإنه لن يُهزم، ولن يُفضح، ولن يخيب ظنه، عند سكرات الموت يوفقه الله ﷻ لقول لا إله إلا الله، فيخرج من هذه الدنيا وهو موحد لربه ﷻ، ومن كان آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلا الله. دخل الجنة، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه، ومن فرَّط في حياته وغفل عن طاعة ربه ﷻ، فلا هو من أهل القرآن يقرأه ولا يتدبره ولا يعمل به ولا يستمع إليه، ولا هو من أهل الذكر والتسبيح والتمجيد لله ﷻ، ولا هو من أهل المساجد، فلا يعرف أبوابها إلا ربما في صلاة الجمعة، ونحو ذلك، لكن في أبواب الشر تجده من المتسارعين، ومن المتسابقين، فإذا جاءته سكرات الموت، فُضح في ذلك الموطن، يقال له: يا فلان، قل: لا إله إلا الله. فإذا به يعجز عن هذه الكلمة اليسيرة، وربما يتذكر معاصيه ومآسيه، ويتذكر أمواله ودنياه.

وقد ذكر أهل العلم جملًا من هذا كما في تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزي

رحمة الله عليه، وغيره من كتب أهل العلم: أن من الناس من يقال له: قل: لا إله إلا الله. وإذا به يغني، من الناس من يقال له: قل: لا إله إلا الله. فيقول: الأرض الفلانية أوراقها في مكان كذا وكذا، انتبهوا من فلان بن فلان أن يأخذ أموالكم، والدار الفلانية، والسيارة الفلانية، وهكذا الدَّين الفلاني، وغير ذلك مما يقع فيه كثير من العباد؛ لأن قلوبهم مُلئت بحب الدنيا، وشُغلت عن حب الآخرة، وصاروا عبيدًا للدينار والدرهم، فلحقهم الشقاء في حياتهم، ولاحقهم حتىٰ عند موتهم؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**»(١)، تنقلب أموره، تنقلب أحواله، قال: «**تعس وانتكس**»؛ أي: ينقلب علىٰ أمِّ رأسه، ويُعامل بنقيض قصده، «**وإذا شيك فلا انتقش**» عقوبة من الله، إذا أصابته شوكة، ربما لا يستطيع إخراجها؛ لأنه فضل الفاني علىٰ الباقي الدائم، وهي جنة عرضها السموات والأرض، ما أعظم هذه الموعظة عبادَ الله.

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ هذا النداء كله لمن؟ هذا النداء كله لأهل الإيمان؛ لأجل ألا تغترَّ يا عبد الله، مهما بلغ إيمانك، مهما بلغت طاعتك، مهما بلغ صلاحك، فأنت بحاجة إلىٰ النصيحة، وأنت بحاجة إلىٰ التوجيه، وأنت بحاجة إلىٰ المبادرة إلىٰ طاعة الله، فالله ما قال في هذه الآية: (يا أيها الذين كفروا)، إنما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [المنافقون: ٩]، وإذا أُطلق الإيمان، فالمراد به الإيمان الصحيح.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إذًا فنحن بحاجة إلىٰ أن نُذكَّر، وبحاجة إلىٰ أن نوعظ، وبحاجة إلىٰ أن نُنصَح، ما أكثر الغفلة التي حلَّت بالأمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١- ٣] لمَّا كثرت الذنوب، طرأت علىٰ القلوب، فحصل فيها الخلل، فصار الناس لا ينتفعون بالمواعظ والذكرىٰ، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، وإذا أقبل العبد علىٰ الطاعة والعبادة، صلُح حاله، ولهذا قال ﷺ: «**إذا أذنب العبد ذنبًا، نُكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب واستغفر ونزع، صُقل قلبه، فإن أذنب ذنبًا آخر، نُكت فيه نكتة سوداء، فإن تاب واستغفر ونزع، صُقل قلبه، فإن أذنب ذنبًا آخر، نُكت فيه نُكتة سوداء، حتىٰ يعلوه الران**»، قال: ثم قرأ الآية: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(١). فآثار الذنوب أول ما تصبُّ علىٰ القلوب، فتفسد القلوب، وربما يسير العبد في الدنيا وهو يحمل قلبًا مريضًا، أو قلبًا ميتًا، فأي حياة يعيشها مَن يعيش حياة بقلب ميت خالٍ من ذكر الله ﷻ، فإن الله ﷻ يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فيا من تريد صلاح قلبك، عليك بالقرآن الكريم، عليك بذكر المولىٰ العليم، ﷻ، يا من تريد صلاح قلبك، تذكر الوقوف بين يدي الله ﷻ، تذكر القبر وظلمته، والحشر وشدته، والسؤال وعظمه، تذكر منكر ونكير، تذكر تطاير الصحف، والناس يأخذونها، منهم بأيمانهم، وآخرون بشمائلهم، تذكر الصراط وشدته ومصاعبه ودقته، والناس

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يمرون عليه علىٰ قدر أعمالهم، تذكر أنك ستقف بين يدي الله ﷻ ليس لك نصير ولا مجير، لا من هنا، ولا من هناك، لا ينفعك مال ولا بنون ولا جاه، ولا عشيرة، ولا قبيلة، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، تذكر أن ربك سيكلمك ليس بينك وبينه ترجمان، فتنظر أيمن منك، فلا ترىٰ إلا ما قدمت، وتنظر أشأم منك فلا ترىٰ إلا ما قدمت، وتنظر تلقاء وجهك فلا ترىٰ إلا النار، فإلىٰ أين المفر عباد الله؟ ولماذا الغفلة عن طاعة الله، ولماذا الإعراض عن دين الله ﷻ؟ الأمة الإسلامية تشكو ما يحل بها من النِّقم، وما يحل بها من الكوارث، وما يحل بها من تسلط الأعداء، وما نشاهد من أنهار الدماء، وانتهاك الأعراض، وهدم البنيان، وقتل الأطفال، سواء كان في حلب، أو في فلسطين، أو في العراق، أو في لبنان، أو في اليمن، أو في غيرها من بلاد أهل الإسلام، فإنما هذا من أعظم أسبابه بعد المسلمين عن ربهم ﷻ، وتركهم لدينهم، وتفريطهم في طاعته، وتركهم للواجبات، وارتكابهم للمحرمات، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

فمتىٰ ما رجعنا إلىٰ الله، واستقمنا علىٰ دين الله، ووحدنا صفوفنا علىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ علىٰ طريقة سلف الأمة من المهاجرين والأنصار، صلحت أحوالنا، ومتىٰ ما عصينا الله ﷻ حلَّت العقوبات، فليس بأعز علىٰ الله ﷻ من عاد وثمود وأصحاب مدين، وهكذا فرعون وقارون وهامان وقوم لوط والأمم الماضية الذين قال الله ﷻ: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: ٥١]، فالذنوب تحلُّ بأصحابها العقوبات الكثيرة، ألم يقل النبي ﷺ: «**وجُعلت الذلة والصغار علىٰ من خالف**

أمري»[(١)]؟ ألم يقل ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعِينة** - وهو نوع من الربا - **وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه عنكم حتىٰ تراجعوا دينكم**»[(٢)]؟ ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧]؟ ألم يقل الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠]؟ فهي ذنوبنا متىٰ ما تركناها ورجعنا إلىٰ ربنا ﷻ، حلَّ في أوساطنا الخير، وانتشر النفع، وحل النصر، وعاد المجد، وهُزم العدو؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ويقول سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

فالله الله عبادَ الله في الرجوع إلىٰ دين الله ﷻ، والتمسك بالعقيدة والتوحيد، التمسك بالعقيدة الصحيحة، والإيمان الصافي، وتوحيد رب العالمين سبحانه، والتفقه في دين الله، فإن الفقه في دين الله من أعظم الأسباب التي تنجو بها الأمة الإسلامية إذا رجعت إلىٰ عقيدتها، إذا رجعت إلىٰ دينها، إذا رجعت إلىٰ كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، وإذا ومتىٰ ما حل الجهل وانتشر، وقل العلم واضمحل، صار المسلمون يُقادون وراء كل ناعق، ووراء كل مضل، ووراء كل منافق، ومتىٰ ما فقه المسلمون دينهم، عاشوا حياة سعيدة علىٰ بصيرة ونور من ربهم ﷻ، يميِّزون بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين السنة والبدعة، وبين التوحيد والشرك، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا

---

(١) أخرجه أحمد (٥١١٤) وصححه الألباني في «تخريج مشكلة الفقر» (٢٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٤٩١٨)، أبو داود (٣٤٦٢) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٢٣).

لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ويقول سبحانه: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

نسأل الله ﷻ بمنه وكرمه وجوده وإحسانه، أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يفقهنا في دينه، وأن يجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين.

اللهم رد المسلمين إليك ردًّا جميلًا، اللهم رد المسلمين إليك ردًّا جميلًا، اللهم رد المسلمين إليك ردًّا جميلًا، اللهم اجمع كلمتهم علىٰ الحق المبين، اللهم وحِّد صفوفهم، اللهم عليك باليهود والنصارىٰ، ومن وقف في صفهم، اللهم عليك بهم، فإنهم لا يعجزونك، اللهم مزِّقهم كل ممزَّق، اللهم انصر إخواننا المؤمنين المضطهدين المستضعفين في كل مكان، اللهم انصر إخواننا في بلاد الشام الذين تُسفك دماؤهم، وتُنتهك أعراضهم، ويُقتل أطفالهم، اللهم كن لهم معينًا ونصيرًا، اللهم ارحم قتلاهم، واشف جرحاهم، وعافِ مبتلاهم، وأيدهم بنصر من عندك، اللهم عليك بمن آذاهم وسفك دماءهم، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.



وبل الغمامة من سورة القيامة

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عبادَ الله، يقول ربنا ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء: ٨٢] جعل الله ﷻ كتابه العظيم شفاءً لجميع الأمراض والأسقام الحسِّيَّة والمعنويَّة؛ لما فيه من الفوائد العظام، ولما جعل الله ﷻ فيه من الخيرات والبركات، قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ

لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨]، ويقول الله ﷻ أيضًا في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء: ٩، ١٠]، وهكذا يقول الله ﷻ في كتابه الكريم معاتبًا أهلَ الإيمان يوم أن أعرض بعضهم عن سماع القرآن والخضوع له والانتفاع به: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦]، ويقول الله ﷻ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١]، ويقول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ ﴾ [الزمر: ٢٣]، ويقول الله ﷻ أيضًا في كتابه الكريم: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

فما أحوجنا معاشرَ المؤمنين إلىٰ أن نرجع إلىٰ كتاب الله ﷻ، فنهتمَّ به اهتمامًا عظيمًا في حفظه وتلاوته وسماعه ودراسته وتفسيره والخشوع لما ذكر الله ﷻ فيه، والخضوع لأحكامه وتطبيقه والعمل به، فإن الله ﷻ عاقب أممًا ممن مضىٰ لقسوة قلوبهم يوم أن أعرضوا عن كتب الله ﷻ، وعمَّا أوحىٰ الله ﷻ علىٰ أنبيائهم، قال الله ﷻ عن بني إسرائيل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤]، ولهذا عبادَ الله، فإني ذاكرٌ في هذا المقام آياتٍ من كتاب الله ﷻ من سورة من سور القرآن؛ لننظر أحوالنا مع هذه

الآيات، وما ذكر الله ﷻ فيها من العظات، وما ذكر الله ﷻ فيها من التذكير والتحذير والزجر والوعظ والتخويف منه ﷻ، ومن لقائه، ومن الدار الآخرة.

قال الله ﷻ في هذه الآيات: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٢٠- ٤٠].

آياتٌ عظيمة، فيها من الوعظ، وفيها من التذكير، وفيها من التخويف، ما لو أوقف المرء نفسه عند هذه الآيات، لكانت كافية له في الرجوع إلىٰ الله، والاستقامة علىٰ دين الله، والبعد عما حرم الله ﷻ، هذه الآيات ذكرناها، ولم نرتلها كما يرتل كثير من المحاضرين؛ لأن هذا لم يثبت عن نبينا ﷺ أنه كان يرتل في الخطب والمحاضرات، ولم يثبت في ذلك حديث واحد عن نبينا ﷺ، وخير الهدي هديه، وهو القائل ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا، فهو رَدٌّ**»(١)، رواه مسلم عن عائشة، وفي رواية «الصحيحين»: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردٌّ**»(٢).

يقول الله ﷻ في أوائل هذه الآيات من سورة القيامة: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١] وكلا في هذا الموضع بمعنىٰ حقًّا، فالله ﷻ يؤكِّد أمرًا العباد عليه سائرون إلا من رحم الله ﷻ، وهو الاغترار بالدنيا، والإقبال عليها، والانشغال بها، والإعراض عن الآخرة، حب الدنيا الذي يُغرَس في القلوب،

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

فيبعدها عن علَّام الغيوب، إلا من رحمه الله ﷻ، فانتفع ونفع وأقبل علىٰ الله ﷻ، ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ هذه الدنيا التي أخبر الله ﷻ عنها في كتابه، وبيَّن حقارتَها ودناءتها وقلة أيامها، وما فيها من المنغِّصات، وما فيها من العراقيل والعقبات، وما فيها من الأضرار علىٰ العباد، بل أخبر الله ﷻ أنها لا تساوي مقابل الآخرة شيئًا، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]، ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، فالذي يعلم أن تلك الدار هي دار الحياة الأبدية السرمدية، دار السعادة، دار النعيم المقيم، دار الرضوان، لا يُقدِّم عليها الدار الفانية، الدار الزائلة، التي قال عنها النبي ﷺ: «**لو كانت الدنيا تَزِنُ عند الله جناح بعوضة، ما سقىٰ منها كافرًا شربة ماء**»(١).

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ ومن أحب الدنيا وأقبل عليها، نسي بقدر تلك المحبة أمور الآخرة والإقبال عليها؛ ولهذا قال النبي ﷺ، كما عند الترمذي: «**من كانت الدنيا همَّه، فرق الله عليه شمله، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له. ومن كانت الآخرة همَّه، جمع الله عليه شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**»(٢)، الأرزاق مقسومة، والآجال محتومة، وما علىٰ العبد إلا أن يُقبل علىٰ طاعة الله ﷻ، قُسمت الأرزاق كما أخبر الله ﷻ في كتابه، وكما أخبر نبينا ﷺ، فليس من رزق كتبه الله لك إلا يصل إليك، وليس من أمر

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١١٠) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٩٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (٢٤٦٥)، والبزار (٦٧٠٤) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥١٠).

ليس لك لا يصل إليك، قال النبي ﷺ: «**إن روح القدس قد نفث في رُوعي أنها لن تموت نفس حتىٰ تستوفي رزقها وأجلها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب**»(١)، رواه الحاكم وغيره من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وربنا يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦- ٥٨]، فمن صفاته ﷻ أنه كثير الرزق، وأنه يرزق عباده، وهو الذي يعطيهم، وهو الذي يمنعهم، فمَن شُغل بجمع الدنيا والبحث عنها علىٰ حساب الآخرة، كان من الخاسرين.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ ثم ذكر الله ﷻ بعد ذلك أحوال العباد عند نقلتهم إلىٰ الدار الآخرة، ووقوفهم بين يدي الله ﷻ في ذلك اليوم العظيم، الذي مقداره خمسون ألف سنة، ذلك اليوم الذي يقف فيه الأولون والآخرون في صعيد واحد، حافية أقدامهم، عارية أجسامهم، شاخصة أبصارهم، وهم ينتظرون فصل القضاء، وإذا بأقوام منهم يُكرمون وينعمون، ويعطيهم الله ﷻ الثواب الجزيل والدرجات الرفيعة، وهكذا أقوام آخرون يُعذَّبون ويتحسرون ويتندمون في موضع لا ينفع فيه الندم، ولا تُقبل فيه الحسرات، ولا العبرات، قال: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٠- ٢٣] وما أعظمَ هذا النعيم، لطالما عبده العابدون، وصلىٰ له المصلون، وصام له الصائمون، وتصدق المتصدقون، وقام القائمون بالليل وذكروه وعبدوه وشكروه، وأنفقوا في سبيله، وجاهدوا من أجل دينه، كل ذلك خوفًا من عقابه، ورجاءً في رحمته وثوابه، ومحبةً فيه ﷻ، فيكرمهم الله ﷻ أن يتلذذوا بالنظر إلىٰ وجهه الكريم من غير ضرَّاء مضرَّة،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٩٨).

ولا فتنة مضلة؛ إكرامًا من الكريم سبحانه لمن أطاعه وعبده، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ يعلوها الجمال، يعلوها البهاء، يعلوها الحسن، وإن كانوا في الدنيا ربما لا يملكون صورًا جميلة، ولا ألوانًا برَّاقة، ولكنهم جعلوا تلك الوجوه لله ﷻ، فخضعوا لربهم، وسجدوا له، وأطاعوه، وأعرضوا عن شهوات أنفسهم، وملذاتها، وقدموا طاعته ومرضاته ﷻ، فأكرمهم بذلك، أن جعلهم في ذلك اليوم العظيم أصحاب وجوه نيرة مضيئة مستبشرة، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] مع ذلك الجمال وذلك البهاء وذلك الحسن، يُكرمهم الله ﷻ بأن ينظروا إلىٰ ربهم ﷻ. وفي هذه الآية ردٌّ علىٰ المبتدعة الضُّلَّال، الذين ينكرون رؤية الله ﷻ، فإن الله سبحانه في هذه الآية أضاف النظر إلىٰ الوجه الذي هو محله، وعدَّاه بـ(إلىٰ)، وإذا عُدِّيَ النظر بـ(إلىٰ)؛ كان النظر بالعين حقيقة، فما أعظم هذا الإكرام، وما أعظم هذا الثواب، قال النبي ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تُضَامُّون في رؤيته**»(١)، وفي رواية: «**لا تَضارون في رؤيته**»(٢)؛ أي: أنكم ترونه بسهولة ويسر، ما دام أنكم من أهل الإيمان، ترونه بسهولة ويسر، كما أنكم ترون القمر، لا تزدحمون، ولا يمنعكم من ذلك مانع، فأهل الإيمان في عرصات القيامة يرون الله ﷻ بسهولة ويسر، وليس ذلك تشبيه لله ﷻ بالقمر، فهو تشبيه للرؤية بالرؤية، وليس للمرئي بالمرئي، ما أعظم هذا النعيم، في حين يُحجب أقوام أعرضوا عن دينه وكتابه وسنة نبيه في الدنيا، فيحرمهم ﷻ من رؤيته، وهو القائل في كتابه الكريم: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] ما أشدَّ حسرتهم، وما أعظم موقفهم، يوم أن يأتي أهل الإيمان فيُكرَمون بالنظر إلىٰ الله ﷻ، وإذا بهم

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).

يُحجَبون، وإذا بهم يُوبَّخون، وإذا بهم يُمنَعون، ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾.

قال الله في هذه الآية: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ٢٤ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٥] هذا القسم الثاني الذي ما عَمَرَ حياته بطاعة الله ﷻ، وما خضع لله، ولا سجد له، ولا أقام دينه، بل عاش متمرِّدًا وعاصيًا ومستهترًا ومفرطًا، ففي ذلك اليوم مهما كان جماله، ومهما كان بياض بشرته، ومهما كان جاهه، فإنه يصير في حالة لا يعلمها إلا الله ﷻ، من قُبحِ المنظر، وشدَّة الهول، ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ﴾؛ أي: كالحة، ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ٢٤ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ﴾ والظن في هذا الموضع بمعنىٰ اليقين، فإن الظن يأتي بمعنىٰ اليقين، فهو موقن أنه سيحصل له عقوبة عظيمة ربما تقصم ظهره، وتحطِّم فَقَار ظهره، ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ٢٤ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ﴾ كل ذلك لماذا؟ لأنه ضيَّع دين الله، ولم يراقب الله، ولم يخف الله ﷻ، ذهبت عليه الليالي والأيام، ضيَّع شبابه، ضيَّع صحته، ضيَّع عمره، ضيَّع أقواله وأفعاله، استعمل جوارحه فيما يغضب الله ﷻ، فحُقَّ له أن يُعذَّب بهذا العذاب، وحُقَّ له أن ينتظر هذه العقوبة، تصوروا يا معاشر المسلمين، والناس في أرض المحشر وهم جميعًا من لدن آدم ﷺ إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهم علىٰ هذين القسمين، وإلىٰ هذين الصنفين: أناس يعلوهم البهاء والجمال، يتمتعون بالنظر إلىٰ الجبار سبحانه، وأقوام وجوههم مُكْفهرَّة، ووجوههم عابسة، وهم في خوف ووَجَل، وفي فزع وغَلَق، ينتظرون عقوبة الله ﷻ، من يأمن علىٰ نفسه؟ من يضمن لها أن يكون من المنعمين؟ أن يكون من السعداء؟ أن يكون ممن ينالون تلك الكرامات؟ أفلا نخشىٰ تلك المواقف، ولا نعد لها العدة؟ أفلا نخشىٰ الوقوف بين يدي الله ﷻ، وحسناتنا قليلة وسيئاتنا كثيرة؟

﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ٢٤ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ٢٥ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٤- ٢٦] ذَكَرَ

حال الدنيا والعباد مع هذه الدنيا والانشغال بها، والإقبال علىٰ الآخرة، ثم ذكر حال العباد في عرصات القيامة، ثم رجع إلىٰ حالهم في الدنيا، عند الرحيل منها، ومغادرتها، وتَركِها خلف الظهور، قال الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ۝٢٧﴾ [القيامة: ٢٦، ٢٧] تصور يا أيها المسلم تلك اللحظة التي تمرُّ علىٰ كل عبد، وعلىٰ كل أحد، علىٰ الكبير والصغير، وعلىٰ الغني والفقير، وعلىٰ الرئيس والمرؤوس، وعلىٰ المؤمن والكافر، وعلىٰ البَرِّ والفاجر، إنها تلك اللحظات التي تفارق فيها الحياة، وتترك فيها الأهل والأحباب، وتفارق الدار والمسكن والبلاد، وتنطلق إلىٰ الله ﷻ، إذا مرضت مرض الموت واشتد بك الألم، واجتمع إليك الأهل والأقارب يحاولون إنقاذك، لا يريدون فراقك، ولا يريدون أن يسلموك، ينظرون لك من هنا وهناك، يبحثون لك عن الدواء، يسعفونك إلىٰ المستشفىٰ، ولكن إذا جاء أمر الله ﷻ، من ذا الذي ينقذك منه؟ ومن ذا الذي يدفعه عنك؟ قال الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾، إذا وصلت الروح الحلقوم، وأنت تتقلب علىٰ ذلك الفراش، تنظر إلىٰ أولادك إن كان لك أولاد، أو إلىٰ زوجتك، أو إلىٰ أبيك وأمك، وقد أيقنت بالرحيل والذهاب، وقد أيقنت بالفراق، وهم ينظرون إليك، ويحاولون مساعدتك، أخذ الموت كثيرًا من الناس، أين نحن عبادَ الله؟ لماذا نغفل عن هذه اللحظة؟ لماذا نغفل عن الرحيل إلىٰ الله ﷻ؟ أين إعداد العدة؟ أين الإقبال علىٰ الله ﷻ؟ كان نبينا ﷺ يقول: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات، أكثروا ذكر هاذم اللذات، فإنه ما ذكره أحد في سعة من العيش، إلا وضيقها عليه، وما ذكره أحد في ضيق من العيش، إلا ووسعها عليه**»(١)، رواه الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك رضي الله عنهما، «**أكثروا**

(١) أخرجه البزار (٦٩٨٧) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٣٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

ذكر هاذم اللذات»[(١)]، هل تذكرنا الموت، وأنه يأتي بغتة، وأننا لا ندري متىٰ الأجل؟ هل تذكرت عبدَ الله أن الموت قد أخذ من أحبابك، وأخذ من جيرانك، وأخذ من أقربائك، وأخذ من آبائك؟ يأخذ الصغار والكبار، والرجال والنساء، لا يفرق بين هذا ولا هذا، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، تنظر يمنة ويسرة، وإذا بالناس يفارقون الحياة، ذاك يموت في سبيل الله، وذاك يموت في سبيل الشيطان، ذاك يموت وهو علىٰ طاعة وبر وإحسان، وذاك يموت وهو علىٰ فجور وعصيان، كيف ننتظر ونحن معرضون عن عبادة الله ﷻ؟ أفلا نخشىٰ هذه اللحظة التي نفارق فيها الدنيا؟ نترك أموالنا، ونترك ديارنا، ونترك أهالينا، هل يستطيع أحد أن يفرَّ منها، وأن يغيب عنها، وأن يتغافل عنها؟ أَوَمَا سمعت الله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: ١٩، ٢٠]؟ هذه اللحظة هي التي طالما نفرُّ منها، ونتناساها، ونتغافل عنها، هذا في أحد التفاسير، وفي التفسير الآخر: هذه اللحظات التي لا مفرَّ لأحد منها، مهما حاول أن ينساها، ومهما حاول أن يغفل، ومهما حاول أن يتمتع، ومهما حاول أن يتكبر، فلا بد أن يذوق مرارتها، ولا بد أن يجد ألمها، ولا بد أن تمر عليه، قال الله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ﴾ لا بد أن نذوق شدة الموت، ومرارة الموت، وعظم الموت، مهما كنا، ومهما كانت أعمارنا، فلماذا نغفل يا عباد الله؟ ولماذا نعرض؟ تصور هذه اللحظة، كم من أناس ربما خسر عليه أهله الملايين؛ لينقذوه

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٠٧)، وابن ماجه (٤٢٥٨) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٣٣).

من هذه الورطة، ولكنه جاءه أمر الله، كم من الناس الذي ربما قد أُخذ إلىٰ خارج البلاد، فمات ولم يرجع إلىٰ بلده، كم من الناس الذين ماتوا علىٰ أبواب المستشفيات، كم من الناس الذين ماتوا وهم يريدون أن ينظروا إلىٰ أبنائهم وأطفالهم، ولكن حالَ الموتُ بينه وبينهم، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]، كم من الناس الذين كانوا يؤمِّلون أن يبنوا القصور والدور، وأن يصلوا إلىٰ المناصب الرفيعة، فقطع عليهم الموت هذا الأمل، واقترب منهم الأجل، وانتقلوا من دار العمل إلىٰ دار الجزاء والحساب.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٖ﴾ [القيامة: ٢٦، ٢٧] من يرقي هذا المريض؟ من يعالجه؟ من يداويه؟ من يسعفه؟ لكن إذا جاء أمر الله ﷻ، لا ينفعه الدواء، ولا العلاج، ولا الأخذ يمنةً ويسرةً، هو في حالة عصيبة؛ لأنه يرىٰ أنه مفارقٌ للدنيا بكاملها، وقد يُوفَّق في تلك اللحظات إلىٰ أن يتذكر الله، ويتلفظ بشهادة لا إله إلا الله، وقد يُخذل إذا كان قد ضيع عمره وحياته في غير طاعة الله ﷻ، ولم يرطِّب لسانه بذكر الله، ما أكثرَ الذين يموتون علىٰ غير الطاعة، وما أكثرَ الذين يقال لهم: قل: لا إله إلا الله. فلا يستطيع أن يقولها، ولا يستطيع أن يتلفظ بها.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٖ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ﴾ [القيامة: ٢٦- ٢٨] وهناك يتيقن أنه مفارق لأهله وأحبابه، الموت يا عباد الله، لا ينتظر غائبًا حتىٰ يعود، ولا مريضًا حتىٰ يُشفىٰ، ولا صغيرًا حتىٰ يكبر، تأتي المنيَّة ولا يدري صاحبها، ما الذي يضمن لنا في هذه الليلة أننا نعيش إلىٰ الصباح؟ من يضمن لك عبدَ الله أنك ستصلي صلاة العشاء مع الجماعة؟ من يضمن لك أن ترجع إلىٰ دارك؟ أين الخوف من الله؟ أين مراقبة الله ﷻ؟ أين الإقبالُ علىٰ عبادته؟ أين الرجوع إليه سبحانه؟ أين المنافسةُ في أبواب الخيرات؟

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٨، ٢٩] بعد أن تفارق روحُه جسدَه، وتخرج من هذا الجسد، فإن كان صالحًا فهنيئًا له، وإن كان غير ذلك، فالويل ثم الويل، إذا خرجت هذه الروح، صار جثة هامدة، لا يستطيع أن يتحرك، ولا يستطيع أن يتكلم، ولا يستطيع أن يُقدِّم ولا أن يُؤخِّر، قال بعض المفسرين: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩] التقىٰ آخر يوم من أيام الدنيا بأول يوم من أيام الآخرة، وشتان بين اليومين، في ذلك اليوم الأول يكون في داره ومع أهله، يأكل من المآكل الطيبة اللذيذة، وينام علىٰ الفُرُشِ الجميلة، ويضحك مع أولاده وأهله، وهكذا يتمتع بصحته، وفي الليلة الثانية التي هي أول ليالي الآخرة، يكون في حفرة مظلمة، لا أنيس ولا جليس، ولا صاحب ولا رفيق، ولا مال ولا جاه، قال النبي ﷺ: «**يَتبَعُ الميت ثلاثة: أهله، وماله، وعمله، فيرجع اثنان، ويبقىٰ واحد، يرجع أهله وماله، ويبقىٰ عمله**»(١)، تذكر تلك الليلة عبدَ الله، تذكر تلك الليلة وأنت وحيد فريد، ليس لك من يعينك، وليس لك من يدفع عنك، وإذا بك الفزع، وإذا بالملائكة يقولون لك: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ يا لهول هذا الموقف لِمَن ضيع دين الله، وأعرض عن كتاب الله، وعن سنة رسوله، ذهبت عليه الأيام والليالي وهو في غفلة يعمه، وهو في إعراض مستمر، وهو في بعد عن الدار الآخرة، كيف يكون جوابه حين يقال له: من ربك؟ وقد ضيع ربه في الدنيا، فلم يعبده كما أمر، ولم يشكره كما أمر، ولم ينته عما نهىٰ عنه وزجر؟ يقال له: من نبيك؟ وهو لا يدري من نبيه، ربما لو سألته عن بعض لاعبي الكرة، لعرف اسمه ونسبه ووصفه وملابسه، ولكنه لا يدري عن نبيه شيئًا، ولا عن سنته إلا اليسير، ولا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥١٤) ومسلم (٢٩٦٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

عن أوامر إلا القليل، ولا حول ولا قوة إلا بالله. يقال له: ما دينك؟ ضيَّع دينَه في الدنيا، كيف تكون إجابته؟ يا لها من ليلة مفجعة، ومن ليلة محزنة، وأنت في تلك الحفرة المظلمة. يقول عثمان ﷺ في حديثه عن النبي ﷺ، قيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وإذا ذُكِّرت بالقبر تبكي؟ قال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: «**القبر أول منازل الآخرة، فمن نجا منه فما بعده أيسر، ومن لم ينج منه فما بعده أشد**»(١)، وفي حديث البراء بن عازب ﷺ: خرج النبي ﷺ فرأىٰ أقوامًا مجتمعين علىٰ شفير قبر، فانطلق إليهم، ثم ظهر علىٰ شفير القبر، والتفت إليهم، وقال لهم: «**إخواني، لِمثْلِ هذا فأعدوا**»(٢)، بعض الناس إذا سُجن في قضية، وجُعل في الزنزانة، يألم ويحزن ويكون في كرب لا يعلمه إلا الله ﷻ، وربما يصاب بالأمراض النفسية، مع أنه ربما يبقىٰ فيه يومًا أو يومين، أو ثلاثة أيام، وهو يأكل ويشرب، ويُعطىٰ من الطعام والشراب، فكيف بمن يُجعل في تلك الحفرة المظلمة إلىٰ قيام الساعة؟ إن كان من أهل الإيمان يُنعَّم فيها، تُفتح له نافذة إلىٰ الجنة، فيأتيه من نعيمها وممَّا أعد الله ﷻ فيها، ويُفسح له في قبره مد البصر، وإن كان من أهل الشقاوة، تختلف عليه أضلاعه، ويُضغط عليه قبره، وتُفتح له نافذة إلىٰ النار، ويأتيه من حرِّها وسمومها، إنه يا عباد الله، إنه ضعف في الإيمان، وضعف في جانب الخوف من الله ﷻ، وإلا لو اطَّلعْنا علىٰ هذه الآيات، وتمعنَّا فيها، وتدبَّرنا ما فيها- لحملنا ذلك علىٰ الخوف من الله ﷻ، والإقبال علىٰ دينه وطاعته، والاستعداد للقائه .ﷺ

قال الله ﷻ: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٨، ٢٩] قال بعض المفسرين عند هذه الآية: التوت قدماه، وكثير من الأموات إذا فارق الحياة تلتوي

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٨٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٩٥) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٣٨).

ساقاه بعضهما فوق بعض، لا يستطيع أن يحرِّكها، ولا أن يعيدها إلىٰ مكانها، لطالما مشىٰ عليها، ولطالما جرىٰ بها، ولطالما وصل بها إلىٰ معصية الله ﷻ، وعند فراق الدنيا وذهابها والانتقال إلىٰ الآخرة، لا يستطيع أن يقوم علىٰ قدميه، فأين الرجوع إلىٰ الله ﷻ؟

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٨- ٣٠] إنه ليس إلىٰ ملك من ملوك الدنيا، ولا إلىٰ حاكم من حكامها، ولا إلىٰ غني من الأغنياء، ولا إلىٰ جبار من الجبابرة، إنه إلىٰ الله، إلىٰ الله ﷻ، ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٩- ٣٠] إلىٰ ربك الذي رباك، إلىٰ ربك الذي خلقك، إلىٰ ربك الذي أوجدك، إلىٰ ربك الذي أعدَّك وأمدَّك، إلىٰ ربك الذي يعلم سرَّك ونجواك، إلىٰ ربك الذي أمرك بطاعته، ونهاك عن معصيته، ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢] كيف يكون حالُنا عبادَ الله إذا وقفنا بين يديه، وقد ضاعت أعمارنا في غير طاعته، وفرطنا في كتابه، وفي سنة نبيه ﷺ؟ قال الله ﷻ: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ بأيِّ وجوه نَقدُم علىٰ الله ﷻ؟ وكيف نقف بين يديه سبحانه، وهو خلقنا من العدم، أعطانا السمع والأبصار والأفئدة، رزقنا العقول والصحة، أعطانا المال والبنين؟ كيف نقفُ بين يديه؟ وبأيِّ وجوه نقابله؟ قال النبي ﷺ كما في الصحيحين، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه: «**ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه، ليس بينه وبينه تُرجُمان، فينظر أيمن منه فلا يرىٰ إلا ما قَدَّم، وينظر أشأم منه فلا يرىٰ إلا ما قدم، وينظر تلقاء وجهه فلا يرىٰ إلا النار، فاتقوا النار ولو بشِقِّ تمرة**»(١)، إنها فضيحة، إذا وقف العبد بين

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).

يدي الله ﷻ وقد ضيَّع دينه، وقد فرط في عبادته، وقد ترك واجباته، وقد عصاه سبحانه، قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، مهما غالطنا في الدنيا، مهما أخفينا في الدنيا، مهما تستَّرْنا في الدنيا، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ فراجع نفسك عبدَ الله، وفتِّش عن قلبك، وانظر في أعمالك، وفي أي طريق تسير؟ وإلىٰ أي مصير تصير؟ راجع نفسك عبدَ الله، وأقبل علىٰ الله، واصدق مع الله ﷻ، فإن الرجوع إليه سبحانه مهما طالت المدة، ومهما تأخر الزمان، ومهما كَثُرَ العمر، ومهما تعمَّرت في الدنيا، كم عسىٰ أحدنا يعيش في الدنيا؟ عشرين سنة، ثلاثين، أربعين، خمسين؟ عساك أن تصل إلىٰ مائة سنة، لا بد أن ترجع إليه، ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾، وفي هذه الآية يقول الله: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٩، ٣٠]، ثم ذكر حال المُضيِّعين، وحال المفرِّطين، قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٠- ٣٦] أَوَ تظن أن هذه الدنيا إنما خُلقْت فيها عبثًا وهملًا؟ إنما وُجدت فيها للمأكل والمشرب والمنكح والمسكن؟ لا والله، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦- ٤٠] أين التواضع لله ﷻ؟ أين الرجوع إليه سبحانه؟ أَوَمَا علمْت أنك قد خُلقتَ من ماء مهين، وأنك تسير علىٰ الأرض وأنت تحمل في جوفك العذرة والأوساخ التي لا تستطيع أن تجلس بجانبها ساعة من الزمان، وما تدري بين لحظة وأخرىٰ وإذا بك تصير جيفة من الجيف، إن لم يبادر أهلك بدفنك في تلك الحفرة المظلمة، وإهلالِ التراب عليك، فأين التواضع لله ﷻ؟ وأين الرجوع إليه سبحانه؟ وأين الاستقامة علىٰ دينه؟ وأين الخوف من

لقائه؟ أعرضنا عن القرآن عبادَ الله، قست قلوبنا؛ بسبب ذنوبنا، فصرنا لا ننتفع، نقرأ القرآن ونحفظه ونصلي به ونخطب به، لكن أين المتعظون؟ أين المنتفعون؟ أين المستفيدون؟ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، إذا كان الله عاتب الصحابة بعد إسلامهم بأربع سنين، بقوله سبحانه: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، فكيف بنا ونحن نمر السنة والسنتين والعشرة والعشرين، نقرأ القرآن ونسمع أحاديث النبي ﷺ، ثم لا ننتفع بها إلا من رحم الله؟ فالإقبالَ الإقبالَ علىٰ كتاب الله، حفظًا وتدبرًا ودراسة وتدريسًا وتطبيقًا وخضوعًا وخشوعًا وسماعًا وعملًا، فإن في ذلك الخير في الدنيا والآخرة، وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضىٰ، ونسأله ﷻ أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، إنه علىٰ كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين.

سورة الانفطار

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ، ونستعينه، ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

أيها الإخوة الكرام، حديثنا معكم بإذن الله ﷻ عن سورة من سور القرآن، وما أحوجنا إلىٰ مدارسة القرآن، وإلىٰ فهم معانيه، وإلىٰ تدبر أحكامه، وإلىٰ الاتعاظ بمواعظه، وإلىٰ الانزجار عما زجر الله ﷻ في هذا القرآن العظيم، وإلىٰ تعلمه وحفظه، وإلىٰ التحاكم إليه، يقول الله ﷻ في هذه السورة: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ

وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١- ١٩].

سورة عظيمة، يبيِّن الله ﷻ فيها ذلك اليوم الذي يتغيَّر فيه نظام هذا الكون، السماء تنفطر، وقد أخبر الله ﷻ في آية أخرىٰ أنها تنشق ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ١، ٢] تناثرت وتبعثرت، وهكذا يقول الله ﷻ في سورة أخرىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ١، ٢] فالنجوم تتساقط، والسماء تتشقق، بل وتتبدل وتتغير، كما قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] الكون كله يتغيَّر، فالشمس تنكدر، وتُكوَّر، والنجوم تتساقط، والسموات تتفطر، السموات السبع التي بناها ﷻ، وأحسن بناءها، وجعلها طباقًا، والجبال تسير، كما أخبر الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٥، ١٠٦].

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ١- ٣] حتىٰ البحار لا تسلم من هذا التغيُّر، فإنها تتفجر مياهها، وتختلط، يختلط الماء المالح بالماء العذب، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٣، ٤] تبعثر ترابها، وأُخرج أهلها، وبُعثوا، وقاموا بين يدي الله ﷻ.

إذا حصلت هذه الأمور العظيمة التي إذا تصفَّحت القرآن، رأيت أن الله ﷻ يكررها في غير ما آية، ويصف قيام الناس لرب العالمين ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿وَيْلٌ

﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١ - ٦]، ويقول الله ﷻ أيضًا في كتابه الكريم: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٨، ٦٩].

إذا حصلت هذه الأمور، وقامت الساعة، قال الله ﷻ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ١ - ٤] ما هو الجواب؟ ما هو جواب إذا التي كررت في هذه الآيات؟ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥] إذا شاهد العبد هذه الأمور العظيمة من تغيُّر هذا الكون بأكمله- علم أن الدنيا قد انتهت أيامها، وأن الساعة قد قامت، وأن من في القبور قد بُعثوا، كما أخبر الله ﷻ، ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، هناك يعلم العبد علم اليقين ما جنت يداه، ما كسبت جوارحه، ما عمل بعينيه، ما عمل بسمعه، ما عمل بلسانه، ما عمل بيديه، هناك يعلم العبد أنه يحتاج إلىٰ العمل الصالح، يحتاج إلىٰ ما يبيِّض وجهه بين يدي الله ﷻ.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ هناك يعلم العبد أن المال لا ينفع، وأن الجاه لا ينفع، وأن الدنيا بأكملها لا تساوي شيئًا إذا كان قد فرَّط في طاعة الله ﷻ، وارتكب ما حرم الله سبحانه.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، ولهذا يرىٰ أعماله ويرىٰ صحائفه التي دُوِّن

فيها الصغير والكبير، والتي كُتب فيها النقير والقطمير، فيراها مملوءة بالأوزار والسيئات، يراها مملوءة بالأقوال المخالفات، يراها مملوءة بالعقائد الفاسدات، يرىٰ فيها ما يغضب الله، يرىٰ فيها ما يبعده عن رحمة الله ﷻ، قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ويقول الله ﷻ أيضًا في كتابه الكريم: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١].

وهكذا يبيِّن الله ﷻ أن الذي يُعرض عن طاعة الله ﷻ يرىٰ أعماله السيئة والمخالفة والموبقات التي ارتكبها، فيتمنىٰ أنه لم يرها، بل يتمنىٰ أن يكون بينه وبينها أمدًا بعيدًا، كما أخبر الله ﷻ في كتابه الكريم.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥] ولكن هل ينفعها هذا العلم؟ وهل تستطيع الاستدراك؟ وهل تقدر علىٰ الرجوع؟ وهل تستطيع أن تقوم بما فات، فتصلح الأعمال والأقوال وتغيِّر الاتجاه والمسار؟ قال الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، ويقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩- ١١]، انتهىٰ الأوان، ذهبت الساعات، انقضىٰ العمر، رحل من الدنيا، لا يستطيع أن يعود إليها، وإنما يعلم فإن كان صالحًا فهنيئًا له، وإن جمع السيئات والأوزار تزداد حسرته وندمه، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾.

ثم يقول الله ﷻ معاتبًا هذا الإنسان الذي فرَّط في طاعة الرحمن، واتبع هواه والشيطان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] ما الذي خدعك؟ ما الذي غشَّك؟ ما الذي أوصلك إلىٰ هذه المرحلة فعصيت؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ وذكر من أسماء الله ﷻ الكريم الذي أكرمك في الدنيا، أنعم عليك، أعطاك، أعزَّك، أمدَّك، أوجدك من العدم، أعطاك السمع والبصر والفؤاد والعقل واليدين والصحة والمال والبنين، ما الذي غرَّك حتىٰ عصيته؟ ما الذي غرَّك حتىٰ خالفت أمره؟ ما الذي غرَّك حتىٰ ابتعدت عما جاء في شرعه ﷻ؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾، والآية تعم كل إنسان، قال بعض أهل العلم: المراد بها الكافر الذي يلقىٰ الله ﷻ بالسيئات والأوزار، ولكنه يُخشىٰ علىٰ المسلم أن يكون من هؤلاء الذين يُخاطَبون بهذا الخطاب، إذا فرَّط في طاعة الله ﷻ، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه، وجاء عن عمر رضي الله عنه أيضًا كما عند ابن أبي حاتم في التفسير قرأ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ قال: غرَّه واللهِ جهلُه، غره جهله بالله، وبعظمة الله، وبقدرة الله، وبلقاء الله، وبعذاب الله، وبجنة الله، وبنار الله، غرَّه والله جهلُه، فارتكب ما حرم الله .ﷻ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ أين الإحسان؟ أين ردُّ المعروف؟ أين شكر الجميل؟ أين شكر النعم؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦، ٧] من الذي خلقك إلا الله؟ من الذي أوجدك؟ إنه الله، من الذي أكرمك؟ إنه الله، من الذي أعطاك سمعًا وبصرًا وعقلًا؟ إنه الله، من الذي أنزل إليك هذا القرآن العظيم؟ إنه الله، من الذي بعث إليك رسولًا بشيرًا ونذيرًا؟ إنه الله.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ جعلك في هذه الصورة الحسنة، وفي هذه الخلقة

الجميلة التي تتفاخر بها، إذًا أين شكر النعم؟ أين الرجوع إلىٰ الله؟ أين عبادة الله؟ أين القيام بما أراد الله ﷻ منك في الدنيا؟ قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦- ٥٨]، ويقول سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، ويقول سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦- ٣٩].

﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦، ٧] لو خُلقت بغير بصر، من الذي يعطيك البصر؟ لو خُلقت بغير عقل، من أين تأتي بالعقل؟ لو خلقك الله ﷻ بغير يدين ورجلين، من الذي يصنع لك ذلك؟ لو خلقك الله ﷻ مشوَّهًا، من الذي يُحسن خلقتك؟

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٧، ٨]، قال بعض السلف رحمهم الله: لو شاء أن يجعلك حمارًا لجعل، ولو شاء أن يجعلك كلبًا لجعل، ولو شاء أن يجعلك خنزيرًا لجعل، ولو شاء أن يجعلك حشرة لجعل، ولكنه جعلك في هذه الخلقة الجميلة المستوية المستقيمة المعتدلة، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٤- ٨]، إذا كنت تعترف لله ﷻ بالبرِّ، أين الشكر والعبادة؟ أين الشكر والطاعة؟ أين الاستقامة علىٰ شرعه ﷻ؟ إذا كانت هذه النعم التي تحملها في بدنك هي من الله ﷻ، فكيف بغيرها من النعم؟ إذًا أين شكر النعم؟ وأين عبادة الله ﷻ؟

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا

شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦- ٨] قال الله ﷻ بعدها: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩] يا سبحان الله! بعد هذا الإكرام، وبعد هذا الإحسان، وبعد هذا الإنعام، ومع ذلك لا تزالون تكذِّبون بالجزاء والحساب، تكذِّبون بلقاء الله ﷻ وأنكم بين يديه مسئولون، وأنكم علىٰ أعمالكم وأقوالكم وأفعالكم محاسبون، هذا حال كثير من الناس إلا من رحم الله، ولهذا لا يُعدَّون العدة، ولا يستعدُّون للقاء الله ﷻ، بل تراهم في هذه الدنيا يمرحون، وفيها يسرحون، وكأنهم ليسوا بمكلفين لا يُؤمرون ولا يُنهون، ما الفرق بينه وبين سائر البهائم؟ ما الفرق بينه وبين الكفرة الزنادقة الذين قال الله عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]؟ ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩] والمراد بالدين في هذه الآية الجزاء والحساب، فإن الذي لا يكذِّب بالجزاء والحساب يَعُدُّ العُدَّة، ويستعد لذلك اليوم العظيم، ويبادر إلىٰ طاعة الله ﷻ، ويبتعد عن معصيته ﷻ، يترك البدع جانبًا، والسيئات جانبًا والكفر والنفاق والشقاق، وكل ما يخالف شرع الله ﷻ، ويعبد الله علىٰ بصيرة، ويستقيم علىٰ دين الله ﷻ ظاهرًا وباطنًا.

قال: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ [الانفطار: ٩، ١٠] ومع هذا كله إن لم تشكروا نعم الله ﷻ، ولم تتفكروا فيما جعل الله فيكم من الآيات والعبر، مع ذلك ينبغي أن تعلموا أن معكم من يلازمكم، ومن لا يترككم سفرًا ولا حضرًا، ولا صحة ولا مرضًا، ولا ليلًا ولا نهارًا، معكم من يقيِّد الأقوال والأفعال، ويكتب الصغير والكبير، كما أخبر الله في كتابه الكريم، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾

[ق: ١٨]، أين المفرُّ يا عباد الله، إذا كنت تؤمن أن معك من يلازمك ويقيِّد عليك أقوالك وأفعالك.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ٩- ١٢] أينما ذهبت، فالله ﷻ مطلع عليك، أينما ذهبت، فالله ﷻ يراك، أينما ذهبت، فالله ﷻ عليك رقيب، ومع ذلك جعل عليك من يحفظك، ومن يلازمك، ومن يقيِّد عليك الصغير والكبير، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، لو كنا نؤمن بهذه الآية حقَّ الإيمان، والله وبالله وتالله، لحاسبنا أنفسنا كثيرًا عن أقوالنا وأفعالنا وحركاتنا وسكناتنا، لكن ضَعُفَ الإيمان في القلوب، فصارت الجوارح مشرِّقة ومغرِّبة تخبط خبط عشواء، وتخالف الصراط المستقيم، والهدي القويم، الذي جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، ثم بعد ذلك عبادَ الله يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣] الذين يراقبون الله ﷻ في السرِّ والعلن، الذين أعمالهم دائمًا أعمال بر وإحسان، الأبرار الذين يؤمنون بالله ﷻ ظاهرًا وباطنًا، يراقبون الله في أقوالهم، يراقبون الله في أفعالهم، يراقبون الله في عبادتهم، يراقبون الله في معاملتهم، يراقبون الله في أهاليهم، يراقبون الله مع جيرانهم، يراقبون الله في كل صغيرة وكبيرة، يتعبون في الدنيا من أجل عبادة الله ﷻ، يصبرون ويصابرون ويجاهدون أنفسهم، فلذلك كانوا في ذلك النعيم، وما أعظم ذلك النعيم.

واقرأ في القرآن الكريم، وانظر ما أعده الله ﷻ لعباده الأبرار، كم ترىٰ من الآيات الكثيرة التي يصعب حصرها في مقام واحد، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥]، ما

أعظم هذه الكرامة، يقول الله ﷻ أيضًا في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٥- ٥٨]، ويقول الله ﷻ أيضًا في كتابه الكريم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، ويقول الله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، ويقول الله ﷻ: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٣- ٢٦]، في نعيم.

وكم ترىٰ من الآيات والأحاديث التي فيها ما أعد الله ﷻ لأهل الجنة ما يفوق الحصر، بل وما يعجز عنه المعبِّر، فقد قال النبي ﷺ، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «**قال الله تعالىٰ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر**»(١)، كل ما رأيته من المناظر الجميلة، والأشياء الحسنة، كل ما سمعت به في الدنيا من الأمور التي تسعد بها النفوس، كل ما خطر علىٰ بالك، فإن الجنة أعظم من ذلك، وأرفع من ذلك، وأعلىٰ من ذلك، كل ذلك للأبرار، ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣].

ثم قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤] الذين ما يشكرون نعم الله ﷻ، ولا يعبدونه حقَّ عبادته، أقوالهم فجور، وأعمالهم فجور، وعقائدهم فجور، ومعاملتهم فجور، ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾، يا تُرىٰ كيف هذا الجحيم؟ قد وصفه الله ﷻ لنا في كتابه الكريم، لكن أعرضنا عن القرآن، وعن تدبر القرآن، إلا من رحم الله ﷻ، بل إن منَّا من يقرأ القرآن ويوجهه علىٰ ما اشتهت نفسه ولذَّت، بل وعلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

ما يسير هواه، فيقود القرآن، ويلوي آيات القرآن لما يحيكه في قلبه ومعتقده من المعتقدات الفاسدة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أخبر الله ﷻ أن أهل الجحيم فيها يعذبون ليلًا ونهارًا، لا يُفتَّر عنهم، ولا يقف، ولا يستريحون، يأكلون من النار، ويشربون من النار، ويلبسون من النار، ويفترشون من النار، ويستظلون بالنار، أين يفرُّون يا عباد الله؟ أين يفر من وصل إلىٰ ذلك المكان؟

﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٤، ١٥] وليس هذا في ذلك المقام فحسب، بل يُعذَّبون في قبورهم، ويوم بعثهم ونشورهم، وبين يدي الله ﷻ، ثم يقادون إلىٰ تلك النار التي طعامهم فيها من النار، كما أخبر الله في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣- ٤٧]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٢، ١٣]، طعامهم يلصق في حناجرهم، لا يستطيعون إخراجه، ولا بلعَه، ويقول الله ﷻ واصفًا شرابهم: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٥- ١٧]، ويقول سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، الفراش من النار، واللِّحاف من النار، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠، ٤١]، ثيابهم من النار ولا حول ولا قوة إلا بالله، يا من تفتخر بملابسك، وأنت

تعصي الله ﷻ، أما تخشىٰ علىٰ نفسك أن تلبس ثيابًا من النار تُفصَّل علىٰ قَدْرِ جسمك وحجمك، قال الله ﷻ: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج: ١٩، ٢٠]، ويقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، ترجع من جديد، ويُكرر عليك العذاب، ولهذا قال ربنا في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤- ٧٨]، إيَّاك أن تكون ممن يكره الحق، ويكره أهل الحق، إياك أن تكون ممن يصد عن سبيل الله، ﴿لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾، ويقول الله ﷻ أيضًا في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ [الأحزاب: ٦٤- ٦٦] من الذي يدفع عنك عذاب الله إذا قُلِّب وجهك في النار؟ لا ينفعك المال، ولا القبيلة ولا العشيرة ولا الأقارب ولا غير ذلك، ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٦- ٦٨]، وفي هذه الآية يقول الله: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٤- ١٦]، ليس هناك راحة، ولا استراحة، بل إن النار تطارد أصحابها وتلازمهم كما أخبر الله ﷻ في سورة الفرقان أنها لهم كالغريم لغريمه، لا تفارقهم لحظة من اللحظات، بل تكرر عليهم العذاب، وتتوالىٰ عليهم العقوبات، وفي هذه الآية يقول الله: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٥- ١٨]

تفخيم وتعظيم لشأن ذلك اليوم الذي يجمع فيه الأولين ربنا سبحانه والآخرين في صعيد واحد، حافية أقدامهم، عارية أجسامهم، شاخصة أبصارهم، الشمس قد دنت من العباد قدر ميل، وهم ينتظرون فصل القضاء، يهمهم شأنهم، هم عراة، لكن لا ينظر بعضهم لبعض؛ لأنهم قد غرقوا في عرقهم، وأعمالهم، كلٌّ مشغول بنفسه، كلٌّ ينظر إلىٰ ما قدمت يداه، كلٌّ ينتظر رحمة الله، ﴿ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٨، ١٩] الولد يتخلىٰ عن والده، والمرأة تتخلىٰ عن زوجها، والصديق يتخلىٰ عن صديقه، والخليل يتخلىٰ عن خليله، حتىٰ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يذهب إليهم العباد، فيأتونهم واحدًا واحدًا، وكلهم يقول: نفسي نفسي. يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج: ١١- ١٤] خذوا أهلي إلىٰ النار، خذوا أبنائي إلىٰ النار، خذوا عشيرتي، خذوا قبيلتي، خذوا من في الأرض جميعًا، وأنجو من عذاب الله ﷻ، لماذا عبادَ الله؟ لأنه عاين العذاب، ورأىٰ العقوبة الأليمة، إذًا فأين نحن من القرآن؟ أين نحن من تدبُّر كلام الله ﷻ؟ أين نحن من عبادة الله ﷻ؟ ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]، لو جئت بالأرض وما فيها؛ لتفتدي بها من عذاب الله، ما قَبِلَ الله ﷻ ذلك منك إن كنت قد فرطت في طاعته وتوحيده، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١]، فاللهَ اللهَ عبادَ الله في الرجوع إلىٰ الله ﷻ، وفي الاستقامة علىٰ شرعه، نترك الباطل جانبًا والشر جانبًا، ونقبل علىٰ عبادة الله ﷻ، فإنما نعيش في هذه الدنيا عمرًا واحدًا، خمسين سنة، ستين سنة، سبعين سنة، كم عساك أن تتعمَّر في الدنيا،

ثم إلىٰ أين المرجع والمعاد؟ إنه إلىٰ الله، فإما أن تقضِّي هذا العمر في طاعة الله، وفي عبادة الله، وفي الاستمساك بكتاب الله وبسنة رسوله، وإما أن تتبع هواك، وتتبع بنيات الطريق، وتنحرف عن الصراط المستقيم، والله ﷻ الموعد، ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

نسأل الله ﷻ بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن يوفقنا وإياكم إلىٰ ما يحبه ويرضاه، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، إنه علىٰ كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين، وبارك الله فيكم.

لقد خلقنا الإنسان في كبد

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، قال أهل التفسير: أي: ممَّا يكابده ويقاسيه من شدائد الدنيا، وما يجده في البَرزَخ، وهذا عامٌّ في كل إنسان، سواءً كان مؤمنًا أو فاجرًا أو كافرًا، فإنه لا بد أن يجد ما يقاسيه في الدنيا من شدائدها، حتىٰ لو كان من أهل الإيمان والصلاح، بل كما قال النبي ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر**»(١)، رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه.

ومما يقاسيه العبد في الدنيا، ويكابده من شدائدها - ما يجد من الهموم والغموم والأحزان، التي تطرأ عليه، والتي تهجم عليه، وربما تؤخِّره في سيره إلىٰ الله تعالىٰ، وربما تصرفه عن الحق والهدىٰ، ولهذا تجد أن أهل الإيمان وأهل الصلاح يجدون من ذلك الشيء الكثير، ولكنهم يقابلونه بما أرشدهم إليه ربهم، وأرشدهم إليه نبيهم ﷺ، فهذا نبينا ﷺ قال الله ﷻ عنه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٥٦).

صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٩]، وجاء في صحيح البخاري من حديث عائشة أنها قالت: يا رسول الله، هل أتىٰ عليك يوم أشدُّ عليك من يوم أحد؟ قال: «**يا عائشة، لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدُّ ما لقيت منهم أن عرضت نفسي علىٰ ابن عبد يالَيْل بن عبد كلال، فلم يجبني إلىٰ ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب**»(١). مسافة بعيدة يذهبها النبي ﷺ، وهو لا يشعر بتلك الطريق؛ من شدة ما وجد من الهم والغم، ممَّا لاقاه من أهل الشرك من الإعراض والأذية وعدم قبول دعوته، وهكذا كان صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

فإذًا المؤمن يجد من ذلك في سيره إلىٰ الله ﷻ، ولكنه يواجه ذلك بالعلاج النافع والطرق السليمة التي أرشد إليها ربنا ﷻ، ومن ذلك: الإيمان بالله، وقوة اليقين، والتوكل علىٰ رب العالمين .ﷻ

الإيمان بالله ﷻ يجعل حياة العبد سعيدة، وإن حصل له ما حصل من الهموم والغموم والأحزان، وهكذا التوكُّل علىٰ الله ﷻ، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، أي: كافيه ما يهمُّه، وما يحصل له في أموره كلها. ويقول الله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، إذا كان الإيمان موجودًا والإقبال علىٰ الطاعات، فإن الله ﷻ يجعل العبد يواجه ما يعانيه بالرضا، والشكر، والصبر؛ فينشرح صدره في كل الأحوال، وفي صحيح مسلم من حديث صهيب بن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

سنان ﷺ قال ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كلَّه له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرَّاء، شكر؛ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء، صبر؛ فكان خيرًا له**»(١)، المؤمن ربما يصيبه الأحزان والهموم والغموم، ويعتريه من ذلك الشيء الكثير، لكنه يقبل علىٰ طاعة الله، ويقبل علىٰ ذكر الله، فيذهب عنه ذلك كله، قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، كان النبي ﷺ كما في حديث حذيفة عند أبي داود إذا حزبه أمر صلىٰ.

وفي حديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أنه كان يقول: «**أَرِحْنا بها يا بلال**»(٢)؛ أي أنه يرتاح في الطاعة والعبادة، وتذهب عنه الأتعاب والهموم والأحزان، وهكذا ﷺ يقول: «**إنه ليُغان علىٰ قلبي، وإني لأستغفر الله تعالىٰ في اليوم مائة مرة**»(٣)، يلجأ إلىٰ الطاعة والعبادة، فيذهب عنه ما يجد، يلجأ إلىٰ الدعاء، دعاء الله ﷻ، فيفرِّج الله ﷻ عنه كربه، جاء في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: «**اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك، سَمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وذهاب همي وغمي** - وفي رواية: **حَزَني** - »، قال: «**إلا أذهب الله همه وغمه، وأبدله مكانه فرحًا**»، وفي أول الحديث: «**ما أصاب أحد قط هم ولا حزن**»(٤)، هذا يعتري العبد ويحصل له؛ وخاصة لكثرة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٠٨٨)، وأبو داود (٤٩٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) من حديث الأغر المزني ﷺ.

(٤) أخرجه أحمد (٣٧١٢) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٢٢).

تكالب الأعداء من الداخل والخارج، فالشيطان يعترضه، والهوىٰ والنفس الأمارة بالسوء والأعداء من الكافرين والمنافقين، وهكذا المجرمين والعصاة والمبتدعة والضلال والمنحرفين، هذا كله مما يجلب الهموم والغموم، فإذا أقبل علىٰ الله ﷻ، شرح صدرَه، إذا أقبل علىٰ ذكر الله ﷻ، اطمأنَّت نفسه، وذهب عنه ما يجد، أو خُففت آلامه وأحزانه، فقد كان النبي ﷺ يدعو الله كثيرًا، ويبيِّن لنا أنه إذا حصل علىٰ العبد كرب، لجأ إلىٰ الله ﷻ فعظَّمه، ومجَّده، وسبَّحه، ودعاه، وتضرَّع إليه، وتذلَّل بين يديه، فيكشف الله همَّه، ويصلح حاله وباله.

وهكذا كثرة الاستغفار من الذنوب والسيئات، فإن هذا من أعظم أسباب انشراح الصدور.

وهكذا كثرة الذكر والحفاظ عليه، سواء كان ذكرًا مخصوصًا، أو كان ذكرًا عامًّا، ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فالإقبال علىٰ طاعة الله ﷻ وعلىٰ ذكر الله ﷻ - من أعظم أسباب انشراح الصدر، وذهاب الهموم والغموم والأحزان، أو تخفيفها، وهكذا جاء من حديث أبي بن كعب عند أبي داود أن النبي ﷺ خطب الناس فقال: «**يا أيها الناس، جاء الموت بما فيه، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه**»، فقال رجل: يا رسول الله، إني أُكثر من الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ ربعها؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت، فهو خير لك**»، قال: ثلثها؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت، فهو خير لك**»، قال: نصفها؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت، فهو خير لك**»، قال: الثلثين؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت، فهو خير لك**» قال: إذًا أجعل لك صلاتي كلها. أي دعائي، والصلاة هنا

بمعنىٰ الدعاء، فقال ﷺ: «**إذًا تُكفىٰ همُّك، ويُغفر ذنبُك**»(١).

الدعاء، الذكر، العبادة، الأذكار، الطاعة، الصلاة علىٰ النبي ﷺ في سائر الأحوال ممَّا تنشرح به الصدور، وهكذا يسلِّي المؤمن نفسه إن أصابه ما يهمه، أو ما يحزنه ويضيق صدره، يسلي نفسه بالقراءة في سِيَر الأنبياء، وفي سير الصالحين، وما حصل لهم من الابتلاء العظيم، فإن ذلك يخفف ما هو فيه، «**يُبتلىٰ المرء علىٰ قدر دينه**»، «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، الأول فالأول، يُبتلىٰ المرء علىٰ قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة، زيد له في البلاء، وإن كان في دينه رقة، خُفف له في البلاء**»(٢).

نبينا ﷺ، مع ما آتاه الله ﷻ من القرآن ومثله معه، ومع ذلك كان يتذكر طريق الماضين، وسبيل الأولين من الأنبياء والمرسلين، بل ويذكِّره ربه بذلك، كان ﷺ حصل له من الكرب فقال: «**يرحم الله موسىٰ، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»(٣)، وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول ذلك، والله ﷻ يقول له في كتابه الكريم: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، فالقراءة في سير المتقدمين سواء كان من الأنبياء والرسل، أو من الصحابة الكرام، أو من بعدهم من السادة الأعلام، هذا مما يقوِّي العزائم، ويثبِّت القلوب، ويخفف الآلام والأحزان، مهما حصل لك من الضيق والأذىٰ، ومهما حصل لك من العداوة من الأعداء، فإنه لا يأتي بشيء مقابل ما

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٠٢) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

حصل لأنبياء الله ورسله، فإذا تذكَّرت ذلك، خفَّف عنك آلامك وأحزانك، وخفف عنك همومك وغمومك، فلهذا يقرأ المؤمن في سيرهم، فيخف عنه ذلك.

وهكذا معاشرَ المؤمنين، الإقبال علىٰ الله ﷻ ظاهرًا وباطنًا، في السر والعلانية، في الخلوات والجلوات، هذا ممَّا يشرح الله به الصدور، وينيرها ويذهب ظلمتها، ويجعل العبد يعيش حياة طيبة، وإن قل ماله، وإن لم ينل من السلطان والجاه، وإن لم ينل من المساكن الضخمة والمراكب الفارهة، والأمور الدنيوية، الشيء الكثير، فإنه وإن عاش في فقر، أو عاش في مرض، أو عاش في ضيق، فإنه يُعمِرُ حياته بطاعة الله ﷻ، فتذهب عنه آلام الدنيا وشدائدها، أو تُخفَّف عنه، وإذا علم العبد حقارة هذه الدنيا ومكانتها مقابل الآخرة، فإنه لا يبالي، ولهذا قال نبينا ﷺ: «**من كانت الدنيا همَّه، فرَّق الله عليه شملَه، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له، ومن كانت الآخرة نيتَه** - وفي رواية قال: **همَّه - جمع الله عليه شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**»(١)، يعيش مطمئنَّ البال، هادئ النفس؛ لأنه يعلم حقارة هذه الدنيا، «**لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقىٰ منها كافرًا شربة ماء**»(٢)، لو آمنَّا بذلك وأيقنا، ما ضرَّنا ما حصل لنا.

وهكذا الرضا بقضاء الله وقدره، وأن العبد يؤمن أن رزقه مقسوم وهو في بطن أمه، وأجله محسوم كذلك، فإذا كان كذلك، فإنه يسلِّيه ذلك، ويخفُّ عنه ما يجده

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٥) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥١٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١١٠) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٩٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

من الآلام والأحزان والهموم والغموم، ينظر إلىٰ من هو أسفل منه، ولا ينظر إلىٰ من هو فوقه، أي في الأمور الدنيوية، قال ﷺ: «**انظروا إلىٰ من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلىٰ من هو فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم**»(١).

إذا كان كذلك يعلم أنه ما من رزق كتبه الله له، فإنه لا بد آخذه قبل أن يفارق هذه الدنيا، يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فإنه سيعيش هادئ البال مطمئنَّ النفس، منشرحَ الصدر، وإن حصل ما حصل، وهذا حال أهل الإيمان الذين حققوا الإيمان ظاهرًا وباطنًا قولًا واعتقادًا وعملًا.

فإذًا، يا أيها المسلم، هذا هو العلاج النافع، وإياك أن تشرِّق أو تغرِّب، فإن من الناس من تصيبه الهموم والغموم، فيبتعد عن الطاعة، فتزداد همومه، ويضيق صدره، وربما يذهب عقلُه، ويحصل له ما لا يُحمد عقباه، وإذا رجع العبد إلىٰ الله ﷻ في كل أحواله، أصلح الله شأنه، وفرَّج كربَه وهمه، وأعانه علىٰ أمور دينه ودنياه.

فالرجوعَ الرجوعَ إلىٰ الله، والإقبال عليه كليًّا ظاهرًا وباطنًا، قولًا وعملًا، فإن هذا مما يصلح به الشأن، ويُعان به العبد، في حياته كلها.

وفَّق الله الجميع لما يحب ويرضىٰ، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.



(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣) بنحوه، والترمذي (٢٥١٣) وابن ماجه (٤١٤٢).

سورة القارعة

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، إن من أعظم ما يتعظ به أهل الإيمان لهو كلام الله ﷻ، ولهذا يقول ربنا ﷻ في كتابه الكريم: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، فكلام الله ﷻ هو أنفع شيء للقلوب، وأنفع شيء للنفوس، به ينتفع أهل الإيمان، وبه يتذكر الغافلون، وبه ينتبه النائمون، وبه يرجع المتجاوزون، ولهذا قال الله ﷻ:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، وهو أعظم الذكر؛ ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، ولهذا سنذكر في هذا المقام سورة من سور القرآن، والحديث عن شيء من معانيها وتفسيرها، هذه السورة من السور القصيرة التي يحفظها الناس كلهم، أو جلُّهم، من أهل الإسلام ممن يقرءون القرآن، هذه السورة هي سورة القارعة.

قال الله ﷻ في هذه السورة: ﴿ ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾ [القارعة: ١- ١١]، القارعة: اسم من أسماء يوم القيامة، وقد ذكر الله ﷻ جملةً كثيرة من أسماء يوم القيامة؛ تنفيرًا للعباد وتخويفًا لهم وترغيبًا وترهيبًا، فسماها بالقارعة، وسماها بالغاشية، وسماها بالقيامة، وسماها بالساعة، وهكذا، أسماء كثيرة.

والقارعة؛ قال القرطبي ﷺ: هي التي تقرع أسماع الخلائق، فتفزعهم؛ لما فيها من الشدائد والأهوال، ولما فيها من الأمور العظيمة تفزع أسماعهم وتقرعها، بل وتقرع قلوبهم(١).

والقارعة: هي الأمر الفظيع، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ ﴾ [الرعد: ٣١]، أي: شديدة من شدائد الدهر، وأمر عظيم من أمور الدهر.

﴿ ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴾ [القارعة: ١، ٢] وهذا استفهام لتعظيم شأن القارعة، ولينتبه القارئون، وليركز المستمعون لشأن هذه القارعة، ولما جعل الله ﷻ فيها من الأمور العظام، ﴿ ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٥٧).

﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١ - ٣] يا أيها العبد، لو عرفت ما في هذه القارعة علىٰ حقيقتها، وما يحصل فيها من الأهوال، وما يحصل فيها من المواقف العظيمة، لشاب رأسك وأنت صغير، ولاستعنت للقاء الله ﷻ، ولكنَّ كثيرًا من الناس عن القارعة لغافلون، وعن لقاء ربهم لمبتعدون إلا من رحم الله ﷻ.

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ ثم جعل يصف بعض أوصافها، يذكر بعض أوصافها، وما يحصل فيها، فيقول ﷻ: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] يوم عظيم، تصوروا معاشر السامعين، وبنو آدم بل الإنس والجن في صعيد واحد، في ذلك اليوم العظيم، وإذا بهم كالفراش المبثوث، الفراش الذي يهيم يمنة ويسرة، حيران، لا يدري أين يتجه، لو أضرمت نارًا في ظلمة الليل، لرأيت الفراش والحشرات والجنادب تضطرب عليه لا تدري أين تذهب، ولا تدري أين تفر، ولا تدري أين تتجه، وهكذا الناس في أرض المحشر، ويوم القيامة يهيمون فيصيرون كالفراش المبثوث، ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾، وهذا في أول أمرهم، يقول أهل التفسير: هذا في أول أمرهم، لا يدرون أين يتجهون، وأما بعد ذلك فيقول الله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]؛ أي: تعرف مقصدها وطريقها واتجاهها، يسيرون إلىٰ الله ﷻ، ويساقون إليه ﷻ، وقد شبه الله ﷻ بني آدم بالفراش في أرض المحشر، بل وقبوله للحق وبعده عنه في الحياة الدنيا شبَّهه أيضًا بالفراش، كما في حديث جابر في «صحيح الإمام مسلم»[(١)]، وجاء في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ**

(١) أخرجه مسلم (٢٢٨٥) عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلي ومثلكم كَمَثل رجل أوقد نارًا، فجعل الجنادب والفَراش يَقعن فيها، وهو يَذُبُّهن عنها، وأنا آخذٌ بحُجُزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي**».

جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فأنا آخذٌ بحُجُزكم عن النار وأنتم تَقَحَّمون فيها»(١).

يوم القيامة يوم عظيم، ولهذا يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ١، ٢]، تذكروا هذا الموقف معاشر المؤمنين، يوم يكون الناس في اضطراب شديد، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حافية أقدامهم، عارية أجسامهم، شاخصة أبصارهم، والشمس قد دنت منهم قدر ميل، وهم يضطربون يمنة ويسرة، لا يدرون أين يتجهون، ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾، قال الله ﷻ بعدها: ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]، هذه الجبال الراسيات والصخور الصالبات العظيمة التي لو اجتمعت كل شركات العالم لِدَكِّ جبل عظيم من جبالها لاستغرق منهم عشرات السنين، ولربما عجزوا، هذه الجبال بكاملها، يجعلها الله ﷻ كالعهن المنفوش؛ أي: كألوان الصوف الذي لا قيمة له، ولا يستفاد منه، يطير يمنة ويسرة، قال الله ﷻ: ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾.

وقد جعل الله ﷻ للجبال مراحل في تغيرها في الدار الآخرة يوم القيامة، قال الله ﷻ لنبيه حين سئل عن هذه الجبال، أين تذهب؟ وكيف يكون حالها؟ ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٧]، قال المفسرون: لا ترىٰ فيها واديًا، ولا ترىٰ فيها

(١) أخرجه البخاري (٦١١٨) ومسلم (٢٢٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ربوة، ولا تلًّا، ولا جبلًا، تذهب بكاملها[١]، بل أخبر الله ﷻ في كتابه أنها تُسيَّر، وأنها تذاب، وأنها تُفتت، وأنها تطير مع الرياح، ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]؛ أي: تراها، وتظن أنها جامدة إلىٰ أبد الآبدين، كيف تتحرك؟ وقد جعل الله ﷻ هذه الجبال للأرض أوتادًا؛ ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧]، ولكن الله ﷻ قادر علىٰ أن يجعلها تسير، وعلىٰ أن يجعلها تذوب، وعلىٰ أن يجعلها هباءً منبثًّا، ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ﴾، ويقول الله ﷻ في آية أخرىٰ: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]، سبحان الله! أمور عظيمة، وأهوال جسيمة، تتغير الأمور، وتنقلب الموازين، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فالشمس تنكدر، وهكذا النجوم والكواكب، والأرض تُغيَّر وتبدل، وتصير قاعًا صفصفًا، كيف يكون حال العباد في ذلك اليوم؟

ويقول الله ﷻ أيضًا: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٥، ٦]، أي: تُفتت فتصير تطير مع الرياح، تتفتت حتىٰ تسير مع الرياح، ويقول الله ﷻ عنها: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]؛ أي: تصير في أول أمرها تُدَك وتُنسف، ثم تصير أكوامًا من الرمل، ثم تصير كالعهن كالصوف، ثم تأخذها الرياح، وتطير بها يمنة ويسرة، كل هذا تخويف للعباد وتذكير لهم بيوم المعاد، ولقاء الله ﷻ.

قال الله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٤، ٥]، ثم بعد ذلك رجع إلىٰ ذكر بني آدم وكيف يكون حالهم ومآلهم، علىٰ حسب أعمالهم، فإما مكرمون وإما مهانون، ولا

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ٣٧٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٧٥)، و«تفسير القرطبي» (١١/ ٢٤٦).

ثالث لثاني الفريقين، لا ثالث لهذين الفريقين، فيقول سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦، ٧]، لا بد أن تتذكر أيها المؤمن أن هناك ميزانًا ينصبه الله ﷻ يوم القيامة لوزن أعمال العباد صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها، فمن ثقلت موازين حسناته علىٰ موازين سيئاته، فهنيئًا له، اعلم أنه لا يغيب عن ذلك الميزان شيء ولو كان صغيرًا أو كبيرًا، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣]، قال الله ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، تذكر وأنت تنظر وإذا بحسناتك وسيئاتك توزن، وإذا بكفة السيئات ترجح علىٰ الحسنات، كيف يكون حالك عبد الله؟ الميزان يثقل بتوحيد الله ﷻ وبتقوىٰ الله سبحانه وبالعمل بشرعه، ويخف بضد ذلك، جاء عند الترمذي عن عبد الله بن عمرو، قال النبي ﷺ: «**يؤتىٰ برجل يوم القيامة فتنشر له سجلات مد البصر**- أي: من السيئات - **فيقول الله ﷻ له: يا عبدي فلان، هل لك من حسنة؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلىٰ، إن لك عندنا حسنة، وإنك لن تظلم اليوم. فتُخرج له بطاقة فيها مكتوب: لا إله إلا الله. فيقول: وما تصنع هذه البطاقة بجانب تلك السجلات؟! قال: فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة، فتطيش البطاقة بتلك السجلات، ولا يثقل مع اسم الله ﷻ شيء**»(١)، توحيد الله ﷻ، ويقول ﷺ: «**ليس شيء أثقل في الميزان من تقوىٰ الله ﷻ وحُسن الخلق**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٤١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦، ٧] في عيشة مرضية، في عيشة حسنة، في عيشة هنيئة، في الجنة، كما قال أهل التفسير عند هذه الآية، في نعيم مقيم، في نعيم دائم، في رضوان من الله ﷻ؛ قال الله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٤] نعيم مقيم دائم، لا يفنىٰ ولا ينقطع؛ قال الله ﷻ: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عَيْنٌ رَأَت، ولا أُذُن سمعت، ولا خَطَر علىٰ قلب بَشَر**»(١)، فلا الماء كالماء، ولا اللبن كاللبن، ولا العسل كالعسل، ولا الخمر كالخمر، ولا الأنهار كالأنهار، لبنة من فضة ولبنة من ذهب، شجرها من الذهب، وهكذا مساكن أهلها من اللؤلؤ، كل ذلك مع النعيم المقيم من الحور العين، وما أعد الله ﷻ لأهلها، فهي عيشة مرضية، يرضاها أهلها، وينعمون بها، ويسعدون، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، وهنيئًا لمن ثقلت موازينه، والموازين لا تثقل إلا بمجاهدة الأنفس في الدنيا، والمبادرة إلىٰ الطاعات، والكف عن المعاصي والسيئات.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون، ذكر الله ﷻ الصنف الأول، وهم أهل الإيمان الذين تثقل حسناتهم وتترجح علىٰ سيئاتهم، ثم ذكر الصنف الآخر الذين تثقل سيئاتهم وتترجح علىٰ حسناتهم، فيقول الله ﷻ، قال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ٦ - ١١]، إذا خفت الموازين وقلت الطاعات وكثرت السيئات، فالمصير إلىٰ الهاوية، الهاوية اسم من أسماء النار، وقيل لها: أم. لمن كان هذا حاله؛ لأنه يأوي إليها، لا مصير له إلا هي، ولا مرجع له إلا هي، ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٥] خطابٌ لأهل النفاق، وقد جاء من حديث أبي هريرة عند الإمام النسائي بسند صحيح في حديث طويل وفي آخره: «**أن أرواح المؤمنين تجتمع، فيقدم عليهم الرجل من أهل الدنيا فيقولون له: ما فعل فلان؟ فيقول: مات، أو ما قد جاءكم؟ فيقولون: لا، فإنه قد ذُهب به إلىٰ أمه الهاوية**»(١). وشُبهت بالأم؛ لأن الرجل يأوي والطفل يأوي في الدنيا إلىٰ أمه دائمًا ويقبل عليها، ويرجع إليها، وهكذا من قَلَّت

(١) أخرجه النسائي في «المجتبىٰ» (١٨٣٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٤٩٠).

حسناته وزادت سيئاته، فأمه النار، وأمه الهاوية، ومصيره إليها.

وقال بعض المفسرين: المراد بأمه الهاوية؛ أي: أنه يُلقىٰ إلىٰ النار علىٰ أم رأسه؛ إهانة له، وتقريعًا له، وزيادة في العذاب، يُلقىٰ علىٰ أم دماغه، فأمه الهاوية؛ أي: يُلقىٰ علىٰ رأسه، ولا بأس أن تُحمل الآية علىٰ المعنيين، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة: ٨ - ١٠] تفخيم لشأنها؛ ليخافها العباد، ويحذروا من أعمالها التي توصل إليها، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠﴾، وفي قراءة: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هي نَارٌ حَامِيَةٌ﴾، إنها نار حامية يا عباد الله، لا تقوىٰ عليها الأجساد، ولا تتحملها القلوب، فإن الله ﷻ يقول في كتابه: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ١ - ٤] أتدري كيف حرارتها؟ وكم درجاتها؟ قال النبي ﷺ: «**إن ناركم هذه**- أي: نار الدنيا، هذه النار التي إن وقع العبد فيها التهمته في ثوانٍ أو في دقائق واحترق جسده، ولا يتحملها برهة من الزمن- **جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم**». فقالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية. قال: «**لقد فضلت عليها بتسع وستين جزءًا**»، متفق عليه من حديث أبي هريرة(١).

فيا أيها الناس، أما خفنا علىٰ أنفسنا من هذه النار التي لا تتحملها أجسادنا، تخترق الأجساد، وتطلع إلىٰ القلوب، وتشوي العباد؟ ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٥ - ١٨]، ويقول الله ﷻ في شأنها: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ١- ٤] وقيل لها: الحطمة؛ لأنها تحطم من دخل فيها، تحطمه تحطيمًا، ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٤ - ٨]، أي: مغلقة،

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

نار هذه حرارتها ومع ذلك يُلقىٰ فيها أهلها، وتغلق عليهم أبوابها، وتوصد دونهم، فلا مجير ولا نصير، ولا معين ولا مساعد، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٨، ٩]، وهنا يقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ١٠، ١١]، فهي نار حامية تشتعل وتضطرم، وتلتهم من يدخل فيها، نار حرها شديد، وقعرها بعيد، ووقودها الناس والحجارة، كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، نار الدنيا توقد بالخشب والحطب، وغيره من الخرق ونحوها، أما نار الآخرة فإنها توقد بالحجارة، توقع كيف حرارتها، ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾، فأين المفر من هذه النار؟ قال ﷺ: «**عجبت للجنة نام طالبها، وعجبت للنار نام هاربها**»(١)، العباد يتقلبون فيها ليلًا ونهارًا، لا يستطيعون الفرار منها ولا الخروج، ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦]، تتغير جلودهم وتجدد لهم، ليذوقوا حرارة النار، وأليم العقاب؛ لأنهم تمردوا عن طريق الجنة، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، أما تخشىٰ علىٰ نفسك من هذا عبد الله؟ أين نحن من كلام الله ﷻ يوم أن نقرأه ثم لا نتدبر ما فيه، ولا ننتفع بمواعظه! فالله الله عباد الله في الرجوع إلىٰ الله ﷻ، والإقبال علىٰ كتاب الله، والاتعاظ بمواعظه، فاللهم اجعلنا من أهل الجنة، اللهم اجعلنا من أهل الجنة، اللهم لا تجعلنا من أهل النار، يا قوي يا عزيز يا جبار؛ إنك علىٰ كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٠١)، والبزار (٩٧١٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٢٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



سورة التكاثر

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، عبادَ الله، كان حديثنا في الجمعة الماضية عن شيء من كلام الله ﷻ، وها نحن في هذه الجمعة نتحدث معكم عن سورة أخرىٰ من سور القرآن، وما أحوجنا إلىٰ أن نرجع إلىٰ كتاب الله ﷻ، فنتدبر ما فيه، ونفهم معانيه، ونعمل بما أمرنا الله ﷻ، ونتعظ بما وعظنا، يقول الله ﷻ في هذه السورة، ألا وهي سورة

«التكاثر»، يقول الله ﷻ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ١-٨]، هذا خطاب من الله ﷻ لبني آدم في هذه السورة، يعظهم الله ﷻ، ويحذرهم مما فيه عطبهم وضررهم في الدنيا والآخرة، فيقول ﷻ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾؛ أي: شغلكم التكاثر في هذه الحياة الدنيا، وفي زينتها وزخرفها، وشُغلتم عن الدار الآخرة، والاستعداد لها، والأعمال لها، حتىٰ فاجأكم الموت، فصرتم في عداد الموتىٰ في قبوركم، وانتقلتم إلىٰ يوم معادكم.

التكاثر؛ يقول ابن القيم ﷺ، قال: هو أن يطلب الرجل أن يكون أكثر من غيره، قال: وهو مذموم، إلا فيما يُقرِّب إلىٰ الله ﷻ[(١)]، ولقد ذمَّ الله ﷻ التكاثر في كتابه الكريم علىٰ حساب دين الله ﷻ، وبيَّن ضرر ذلك، وأنَّ عواقبه وخيمة في الدنيا والآخرة.

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ يقول النبي ﷺ كما في «صحيح الإمام مسلم» من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه، وجاء نحوه عن أبي هريرة، قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قال: «**يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟**»[(٢)]. وفي حديث أبي هريرة: «**وما سوىٰ ذلك فذاهبٌ وتاركه للناس**»[(٣)]، هكذا يقول النبي ﷺ.

---

(١) «الفوائد»، لابن القيم (ص٤٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٨) من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي «الصحيحين» من حديث أنس ﷺ قال النبي ﷺ: «**يَهرَم ابن آدم، وتبقىٰ معه اثنتان: الحرص والأمل**»(١)، وهكذا يقول ﷺ في حديث أنس في «الصحيحين»، وجاء عن ابن عباس وأُبي بن كعب، وغيرهم، قال ﷺ: «**لو أن لابن آدم واديًا من ذهب، لأحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله علىٰ من تاب**»(٢).

وفي «الصحيحين» من حديث أنس ﷺ: قال ﷺ: «**يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقىٰ واحد، يرجع أهله وماله، ويبقىٰ عمله**»(٣)؛ أي: إذا فارق هذه الدنيا.

وربنا ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ﴾ [الحديد: ٢٠]، ويقول الله ﷻ أيضًا في كتابه الكريم: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤]، فالله ﷻ يحذرنا من أن ننشغل بما لا عذر لنا فيه عن عبادة الله ﷻ وطاعته ودينه، وخصوصًا بالمال والولد وأمور الدنيا وحطامها، ولهذا فإن الله ﷻ بيَّن أن كثيرًا من العباد ينشغلون ويلتهون بالتكاثر، ولم يذكر الله ﷻ في الآية ما هو هذا الشيء الذي يتكاثرون فيه؛ ليعمَّ كل شيء يُتكاثر فيه يصدُّ عن سبيل الله ﷻ، وعن دين الله ﷻ.

وقد بيَّن نبينا ﷺ أن التكاثر في الدنيا والطمع فيها والمنافسة عليها من أعظم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٢١)، ومسلم (١٠٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٣٩)، ومسلم (١٠٤٨) من حديث أنس ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

أسباب الانحراف عن دين الله ﷻ، ومن أعظم أسباب العقوبات من الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧].

وجاء من حديث أبي الدرداء وابن أبي عاصم، قال: خرج علينا النبي ﷺ ونحن نتذكر الفقر ونتخوَّفه، فقال ﷺ: «**آلفقر تخافون؟ فوالذي نفسي بيده لتُصبن عليكم الدنيا صبًّا، حتىٰ لا يزيغ قلب أحد منكم إزاغة إلا هيه**»(١)، وفي رواية: «**إن أزاغه إلا هي**»(٢).

بل أخبر النبي ﷺ أن التكاثر في الدنيا والحرص عليها يُولِّد عند العبد الهلع والجشع الذي يحمله علىٰ معصية الله ﷻ، والبعد عن طاعته، جاء في حديث معقل بن يسار عند الإمام الترمذي، وصححه الوادعي رحمة الله عليه، قال ﷺ: «**يقول الله ﷻ: يا ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنىٰ، وأملأ يديك رزقًا، يا ابن آدم، لا تَباعَدْ مني أملأ قلبك فقرًا، وأملأ يديك شغلًا**»(٣).

وعند الترمذي أيضًا من حديث أنس بن مالك، قال ﷺ: «**من كانت الدنيا همه، فرَّق الله عليه شمله، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له، ومن كانت الآخرة همه جمع الله عليه شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**»(٤).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٩).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (١٧٤) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الحاكم (٧٩٢٦)، والطبراني في الكبير (٥٠٠) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٦٥) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.
وأخرجه الترمذي في سننه (٢٤٦٦)، وابن ماجه (٤١٠٧) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي في «سننه» (٢٤٦٥)، والبزار (٦٧٠٤) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥١٠).

التنافس في الدنيا والتكاثر فيها أضراره جسيمة، وعواقبه وخيمة، وربما يكون سببًا لسلب الدين والعقيدة، وإذهابها وإضعافها، قال ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أُرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء علىٰ المال والشرف لدينه**»، رواه الإمام أحمد من حديث كعب بن مالك رضي الله تعالىٰ عنه وأرضاه(١).

أيها المؤمنون عبادَ الله، يقول ربنا في هذه السورة العظيمة: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١، ٢]؛ أي: أنكم شُغلتم بالتكاثر في الدنيا، ونسيتم أنكم منها راحلون، وعلىٰ الله ﷻ مقبلون، وبين يديه ﷻ مسئولون، والمراد بالزيارة في هذه الآية المراد بها: الدفن في القبور، المراد بها: الموت، الانتقال من الدنيا إلىٰ الآخرة، كما جاء في البخاري من حديث عبد الله بن عباس أن النبي ﷺ دخل علىٰ أعرابي، شيخ أعرابي، وهو مريض، فقال له: «**لا بأس، طَهور**»، فقال الأعرابي: بل حمىٰ تفور، علىٰ شيخ كبير، تُزيرُه القبور. قال النبي ﷺ: «**فنعم إذًا**»(٢)، ثم مات الرجل.

فهذه هي الزيارة، الوصول إلىٰ تلك الحفرة، ثم يقول أهل العلم: لم يقل الله ﷻ: البقاء في القبور، أو الوصول إليها، وإنما قال: الزيارة، ولهذا قال عمر بن عبد العزيز: ولا بد للزائر أن يرجع(٣)، ولهذا استدل أهل العلم بهذه الآية علىٰ

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٧٨٤)، والترمذي في «سننه» (٢٣٧٦) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٦٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٦٠): «عن عمر بن عبد العزيز أنه قرأ: ﴿ألهاكم التكاثر حتىٰ زرتم المقابر﴾، ثم قال: ما أرىٰ المقابر إلا زيارة، وما للزائر بُدٌّ مِن أن يَرجع إلىٰ منزله».

عذاب القبر ونعيمه، وعلىٰ لقاء الله ﷻ، والبعث والنشور، فالزائر للقبر لا يقيم فيه إلا إلىٰ قيام الساعة، ثم يُبعث إلىٰ الله ﷻ، ويقف بين يديه .ﷻ

الغفلة قد خيَّمت علىٰ كثير من العباد، فشُغلوا بدنياهم، ونسوا آخرتهم، قال الله ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ١- ٤] توكيد بعد توكيد، وكلا بمعنىٰ حقًّا، أي: كلا إنكم ستعلمون أنما كنتم فيه إنما هو خيال، وظنون كاذبة، ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إذا انتقلتم من هذه الدار دار العمل إلىٰ دار الجزاء والحساب، قال بعض أهل التفسير: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، ثم أكدها بقوله: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، واختار ابن القيم أن الثانية ليست بتوكيد للأولىٰ، وأن معناها غير معنىٰ الأولىٰ، فالعلم في الأولىٰ يوم أن يصلوا في قبورهم، والعلم في الثانية يوم أن يُبعثوا بين يدي ربهم، وقيل: العلم في الأولىٰ عند موتهم، والعلم في الثانية يوم أن يوضعوا في قبورهم.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٣- ٥] علم اليقين ما يكون عن استدلال، قال أهل العلم: العلم ثلاثة أقسام: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

فأما علم اليقين فهو الذي ينبني علىٰ الأدلة والشواهد، والبراهين من كتاب الله ﷻ، ومن سنة رسوله ﷺ.

وأما عين اليقين فهو الذي يكون عن مشاهدة بالعين المجردة.

وأما حق اليقين فهو الذي يصل إلىٰ القلوب، ويكون عن ملابسة ومخالطة،

ويذوقه العبد ظاهرًا وباطنًا.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥] لو أنكم تأخذون من هذه الأدلة من كتاب الله ﷻ، ومن سنة رسوله ﷺ، وتعملون بها، وتؤمنون بما فيها، لَمَا شغلتم بالدنيا، لَمَا انتهيتم بملذاتها، لَمَا شغلتم عن الآخرة، لَمَا نسيتم لقاء الله ﷻ.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٥، ٦]، وهذه هي المرحلة الثانية أن من وصل إلىٰ هذه الدرجة، فكأنه يشاهد النار وجحيمها، وكأنه يقف بين يدي الله ﷻ، ولكننا- معاشر المؤمنين- صرنا لا ننتفع من القرآن إلا ما رحم ربك .ﷻ

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٣- ٧] لو كان الإيمان في القلوب صافيًا، وكان صادقًا، وكان حقًّا، كما أراد الله ﷻ؛ لتذكر العبد القبر وضيقه وظلمته، والصراط ودقته، والوقوف بين يدي الله ﷻ، والنار وشدتها، والجنة ونعيمها، وأرض المحشر وسعتها، وكان حال العبد يتذكر ليلًا ونهارًا وكأنه عاينها وشاهدها، ولكن الدنيا معاشر المؤمنين أبعدت كثيرًا من العباد عن طاعة الله ﷻ، وصرفتهم عن دينه .ﷻ

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

ثم قال الله ﷻ بعد هذه الآيات: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨] النعيم يشمل كل ما أنعم الله ﷻ به علىٰ العباد في الدنيا، ليس مخصوصًا بنعمة دون أخرىٰ، وما أكثر النعم التي يسديها المولىٰ ﷻ علىٰ عباده، فلو أنهم تذكروها، ولو أنهم شكروها، ولو أنهم عبدوا الله ﷻ حق عبادته، لكان خيرًا لهم، ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾، قليلًا كان أو كثيرًا، ستُسأل عن كل قول وفعل، وعن كل قليل وكثير، وعن كل نقير وقطمير، قال النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن الزبير عند الإمام الترمذي لما نزلت هذه الآية: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ قالوا: يا رسول الله. أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، وعن أيِّ نعيم نُسأل، وإنما هما الأسودان، التمر والماء[(١)]؟ وفي رواية أبي هريرة عند الإمام الترمذي قالوا: والسيوف علىٰ عواتقنا، والعدو ينتظرنا؟ فقال ﷺ: «**أما إن ذلك سيكون، أما إن ذلك سيكون**»[(٢)].

وجاء من حديث أبي هريرة عند الإمام الترمذي، قال ﷺ: «**أول ما يُسأل عليه**

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (٣٣٥٦)، وابن ماجه (٤١٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٤٠٥)، والطبراني في الكبير (١٤٨٨٧).

العبد يوم القيامة يقال له: ألم نُصِحَّ لك جسمك؟ ألم نَرْوِك من الماء البارد؟»(١) حتىٰ الماء، شربة الماء التي تشربها وتهنأ بها، ستُسأل عنها بين يدي الله ﷻ.

جاء في «صحيح الإمام مسلم» من حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ خرج ليلة من الليالي، وقد جاء الحديث من حديث جابر عند الإمام أحمد، خرج ليلة من الليالي، أصابه الجوع، وخرج أبو بكر كذلك، وخرج عمر كذلك، فالتقىٰ بهم عليهم السلام، فقال: «**ما أخرجكما؟**». قالوا: الجوع يا رسول الله. قال: «**وأنا والذي نفسي بيده ما أخرجني إلا الجوع**»، ثم قال: «**ألا تنطلقون إلىٰ دار أبي الهيثم بن التيهان من الأنصار، فتأكلون تمرًا ورطبًا؟**»، فانطلقوا رضي الله عنهم، انطلق النبي ﷺ وانطلق معه أبو بكر وعمر، فلما وصلوا إلىٰ داره ومزرعته دار الأنصاري، سألوا عن أبي الهيثم، فقالت امرأته: إنه ذهب يستعذب لنا الماء، وفي رواية قالت: يا رسول الله، إنه قريب، إنه ذهب يستعذب لنا الماء. وإذا به يقدم عليهم فيقول: مرحبًا وأهلًا، ليس أحد أكرم أضيافًا اليوم مني. ثم جاء فأخرج لهم عذقًا فيه تمر وبسر ورطب، فجعلوا يأكلون، ثم أخذ المدية فقال النبي ﷺ: «**إياك والحلوب**»، فذبح ذلك الأنصاري، ثم طبخ لهما لحمًا، فأكلا من اللحم، وشربا من الماء، وأكلا من الرطب، فلما خرجوا من عند ذلك الأنصاري، قال النبي عليه السلام: «**والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم، لتسألن عن هذا النعيم**» أصابهم الجوع، فأكلوا ما يسد رمقهم، ومع ذلك يذكرهم النبي ﷺ بيوم السؤال والحساب، «**والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم، خرجتما من بيوتكما وقد أصابكما الجوع، فلم ترجعا إلا وقد أصبتما ما أصبتما، فلتسألن عن هذا النعيم**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (٣٣٥٨) والبزار (٩٤٠٨) وصححه الألباني في صحيح «الترغيب والترهيب» (٣٢٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٣٨).

فيا أيها المؤمنون، ينبغي لنا، بل يجب علينا أن نستعد للقاء الله ﷻ، وأن نعلم أن هذه الدنيا هي دار ممرٍّ، وليست بدار مقرٍّ، فلا ننشغل بها عما خلقنا الله ﷻ من أجله، عما أوجدنا الله ﷻ لأجله، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦- ٣٩]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٨] فتمعَّن في هذه الآية، وتفكَّر فيما ذكر الله فيها، ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ١- ٨]، ينبغي أن ننتفع بكلام الله ﷻ، وأن نستفيد منه، يا أمة القرآن، هجرنا القرآن، يا أمة القرآن، ابتعدنا عن القرآن، يا أمة القرآن، تشبَّهنا بأعداء القرآن إلا من رحم الله ﷻ، المسلمون صاروا يتشبهون باليهود وبالنصارىٰ، وتركوا كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، الذي في صلاحهم، والذي فيه مجدهم، والذي فيه عزُّهم، ففي مثل هذه الأيام في مثل هذه الأيام صار بعض المسلمين يحتفل بعيد النصارىٰ، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يحتفل بعيد النصارىٰ، ويبتهج بذلك، ويجعل الاحتفالات وغير ذلك تشبهًا بأعداء الإسلام، أين نحن يا عباد الله من ديننا؟

سئل العلامة العثيمين عمن يتاجر في عيد المسيح، أو يبيع الكيك، أو يصنع من الأمور التي تعين أصحاب تلك الأعياد والاحتفالات، فقال: يُخشىٰ عليه من الردة. لمجرد أنه يعاونهم، قال: لو كان عيدًا وطنيًّا من أعيادهم، لما جاز لنا أن

نتشبه بهم، فكيف وهو عيد ديني يتدينون لله ﷻ به؟[١].

يفرح به أهل الإسلام، ويحتفلون في كثير من البلدان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا إنما يدل علىٰ مدىٰ انحطاط أهل الإسلام، إنما يدل علىٰ مدىٰ بعد المسلمين عن عقيدتهم، وعن كتاب ربهم، وعن سنة نبيهم صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

يأتي يهودي لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول: يا عمر، هذه الآية، آية في كتاب الله لو نزلت علينا معشر اليهود، لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: وما هي؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فقال عمر: إني لأعلم متىٰ نزلت، إنها نزلت علىٰ النبي ﷺ يوم جمعة في يوم عرفة[٢]، أي: في حجة الوداع، فهو يوم عيد عند أهل الإسلام، هكذا ينبغي أن يظهر المسلم شعائر الإسلام، ويعظِّم كتاب الله وسنة رسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضىٰ، إنه علىٰ كل شيء قدير.

---

(١) انظر: «اللقاء الشهري»، لابن عثيمين (٣١/ ١١)، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

(٢) أخرجه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

سورة العصر

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، عبادَ الله، كان حديثنا معكم في الجمعة الماضية عن سورة «التكاثر»، وأما خطبتنا اليوم فعن سورة أخرىٰ من سور القرآن، وهي السورة التي بعدها، وهي سورة «العصر»، هذه السورة العظيمة التي علىٰ قصر كلماتها ولكنها تحمل المعاني العظيمة، والمواعظ العظيمة المفيدة، سورة «العصر» التي يقول

عنها الإمام الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم، أي سورة «العصر».

لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم، ولم يصح عنه رحمه الله أنه قال: لو ما أنزل الله علىٰ خلقه حجة إلا هذه السورة لكفتهم. فهذا لا يصح عنه، وإنما صَحَّ عنه الأثر الآخر: «لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم»(١).

هذه السورة يقول الله ﷻ فيها: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١- ٣]، هذه السورة العظيمة يقسم الله ﷻ في أولها بالعصر، قيل: المراد به: عصر النبوة.

وقال بعض المفسرين: المراد به آخر النهار، فهو أفضله، والمراد به وقت العصر بعد صلاة العصر. وقال آخرون: بل المراد به الزمن. وهذا الذي عليه جماهير المفسرين، وأكثر العلماء، وهو الصحيح في تفسير هذه الآية، أن المراد بالعصر الزمن كله، فهو أعم وأشمل، فالله ﷻ يقسم بهذا الزمن، الذي يحصل فيه أفعال العباد، وأفعال الخلق جميعًا، من خير وشر، هذا العصر الذي تحصل فيه التقلبات، فذاك يعمل صالحًا، وذاك يعمل سيئًا، هذا العصر الذي فيه يرفع الله ﷻ من يشاء، ويخفض من يشاء، ويكرم من يشاء، ويهين من يشاء، هذا العصر الذي تتغير فيه الأحوال وتتبدل، ولهذا أقسم الله ﷻ به، هذا العصر الذي هو أغلىٰ ما يملك العبد في هذه الحياة الدنيا، فإن أعمره بطاعة الله ﷻ؛ نجا وأفلح، وإن ذهب عليه ومضىٰ في غير طاعة الله ﷻ؛ صار من الخاسرين.

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ١، ٢]، والمراد بالإنسان في هذه الآية جنس الإنسان، فالآية عامة تشمل جميع الناس، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فالكل في خسارة، كما في هذه الآية، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾، ولأجل

---

(١) انظر: «تفسير الإمام الشافعي» (٣/ ١٤٦١)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٢٠٣).

هذا الأمر العظيم فإن الله ﷻ أكد هذه الجملة بثلاثة توكيدات:

أما التوكيد الأول: فهو القسم في قوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾، والله ﷻ يقسم بما شاء من مخلوقاته.

والتأكيد الثاني: قوله: ﴿إِنَّ﴾ [العصر: ٢]، فإنها حرف توكيد ونصب.

والتوكيد الثالث: اللام في خبرها في قوله: ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢].

فهذه تأكيدات ثلاثة يبين الله ﷻ أن هذا الإنسان في خسارة عظيمة، ولم يقل الله ﷻ: لخاسر. وإنما قال: ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾؛ لأنه أعظم، ولأنه أبلغ، فقوله: في. ظرفية؛ أي: أنه في الخسارة، وأن الخسارة تلاحقه من كل جانب، وأنها محيطة به من هنا وهناك، فهو في خسارة وضعف ونقص في الدنيا والآخرة، وأعظم الخسارة أن يخسر العبد جنة عرضها السموات والأرض، أن يخسر رحمة الله ﷻ، أن يخسر رضوانه ﷻ، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، هذه الخسارة العظمىٰ يوم أن يقع العبد في عذاب الله ﷻ، ويُحرم جنة عرضها السموات والأرض.

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ١، ٢]، ثم استثنىٰ الله ﷻ أربعة أصناف يسلمون من هذه الخسارة، وينجون منها، وهذا بفضله ومنه وكرمه، ورحمته وجوده ﷻ، أن جعل لعباده سبيلًا للنجاة والخلاص، وأن جعل لهم أعمالًا بها يسلمون بإذن الله ﷻ من هذه الخسارة، قال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١- ٣]، هؤلاء الأربعة الأصناف، وليسوا بأشخاص، وإنما هم أصناف، هم الذين ينجون من هذه الخسارة العظيمة، يا من تخسر شيئًا من أموال الدنيا، ومراتبها ومناصبها، احذر علىٰ نفسك أن تخسر بين يدي الله ﷻ، فإن تلك

الخسارة هي الخسارة العظمىٰ، والخسارة التي ما بعدها ربح، الخسارة بين يدي الله ﷻ، واعمل بهذه الأعمال، وبادر إلىٰ هذه الأسباب التي بها تسلم من الخسارة.

أما السبب الأول: فهو الإيمان بالله ﷻ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [العصر: ٣]، وأهل العلم يقولون في هذه السورة: استثنىٰ الله ﷻ أربعة أعمال: أولها العلم، وثانيها العمل، وثالثها الدعوة، ورابعها الصبر. فليعلم العبد ثم يعمل ثم يدعو غيره ثم يصبر علىٰ ما يلقاه في هذه الحياة الدنيا، هذا الذي ينجو من الهلاك، وهذا الذي ينجو من الخسارة، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ آمنوا بمن؟ آمنوا بالله ﷻ، آمنوا بالله ﷻ ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، آمنوا بأقوالهم وقلوبهم وأعمالهم، آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، هؤلاء هم المؤمنون الذين حققوا توحيد الله ﷻ، يا من تريد أن تنجو، وأن تسلم من الخسارة، حققْ توحيد الله ﷻ الذي خلقك الله لأجله، وأوجدك من أجله، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦- ٥٨]، تريد أن تسلم من الخسارة، عليك بالعقيدة الصحيحة، عليك بالإيمان بالله، عليك بتوحيد الله ﷻ، نقِّ توحيدك من شوائب الشرك والبدع إذا أردت أن تسلم في الدنيا والأخرىٰ، قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، واحذر من الشرك الأكبر والشرك الأصغر، فإنه داء عضال، ومرض خطير، من أعظم أسباب الهلاك والخسارة في الدنيا والآخرة، أوما سمعت الله يقول في كتابه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ [الزمر: ٦٥] والخطاب لمحمد، وهو خطاب له ولسائر الناس، ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] من وقع في الشرك، فقد خسر خسارة عظمىٰ، وهلك هلاكًا ما بعده هلاك،

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦]، ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، ويقول الله ﷻ أيضًا في كتابه الكريم مبينًا خطر الشرك وفضل التوحيد ومكانة أهله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ويقول الله ﷻ أيضًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وفي آية أخرى: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، هذا لتعلم أن الإيمان بالله ﷻ من أعظم الأسباب للنجاة من الخسارة، والسلامة من الإهانة.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣] بعد أن علموا، وبعد أن صحَّت عقائدهم، وبعد أن وحدوا الله ﷻ، عملوا بهذا العلم، عملوا بهذا التوحيد، عملوا بهذه العقيدة، طبَّقوا ذلك عمليًّا بأقوالهم، وأفعالهم، فنافسوا إلىٰ الخيرات، وأدوا الواجبات، وتركوا المحرمات، ففازوا مع الفائزين، ونجوا من هذه الخسارة، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، قال الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وهل أعد الله ﷻ الجنة ونعيمها وحبورها، وسرورها وما فيها من النعيم المقيم إلا لأهل الإيمان والعمل الصالح، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨]، وهكذا يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]، كل ذلك لأهل العمل الصالح، فكن من المبادرين إليه، الذين لا يريدون من الناس جزاءً، ولا شكورًا، وإنما يبادرون إلىٰ طاعة الله خوفًا من عذابه، ورغبة ورجاء في رحمته، ومحبة له ﷻ،

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، بل إن الله يورثهم الأرض قبل ذلك، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ويقول الله ﷻ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، يتولاهم في الحياة الدنيا، ويجعل حياتهم سعيدة، رغيدة، آمنة، مطمئنة، وفي الدار الآخرة ينجيهم ﷻ من العذاب الأليم والخسارة العظمىٰ، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، ويقول سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، فيا من تريد النجاة من الخسارة في أرض المحشر، وبين يدي الله ﷻ، أين أنت من الإيمان والعمل الصالح؟ أين أنت من المبادرة إلىٰ الطاعات؟ أين أنت من المسارعة إلىٰ الخيرات؟ ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]، ويقول نبينا ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»، رواه مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ(١).

(١) أخرجه مسلم (١١٨).

الخطبة الثانية

الحمد لله، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، الصنف الثالث الذين استثناهم الله ﷻ في هذه السورة، قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ [العصر: ٣] لم يكتفوا بهذا الخير لأنفسهم، بل أحبوا لغيرهم ما أحبوا لأنفسهم من الخير، كما قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، متفق عليه(١)، وخارج الصحيح: «**حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير**»(٢)، فهؤلاء كان سبب نجاتهم أنهم أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وبذلوا النصيحة للقاصي والداني، ودين الله ﷻ قائم علىٰ النصيحة، ولهذا قال ﷺ كما في حديث تميم الداري: «**الدين النصيحة**»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»، رواه مسلم، وعَلَّقه البخاري(٣).

النصيحة: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلىٰ الله ﷻ وإلىٰ دينه الحق- من أعظم الأعمال التي ينجو صاحبها بإذن الله ﷻ من الخسارة

---

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١٣٦٢٩)، والنسائي في «المجتبىٰ» (٥٠١٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٨٥).

(٣) أخرجه البخاري «معلقًا» (١/ ٢١)، مسلم (٥٥).

العظمىٰ، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، كيف لا تكون سببًا للنجاة من الخسارة العظمىٰ، وهي طريق الرسل ودرب الأنبياء، سلكها قبلنا خيرة الخلق وأفضل الرسل محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم؟ من أراد النجاة فليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر، وليدعو إلىٰ الحق، ولا يخاف في الله لومة لائم، هذه وظيفة هذه الأمة، وهذه ميزتها، ولهذا قال الله في كتابه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ويقول الله ﷻ أيضًا: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، من كان علىٰ هذا الطريق ومن سلك هذا السبيل، نجا بإذن الله ﷻ.

الرسل ما أرسلهم الله ﷻ إلا لأجل هذا الحق ليقيموه في أنفسهم، ويعملوا به ويطبقوه، ويدعو إليه أممهم.

الكتب ما أنزلها الله ﷻ إلا بالحق، السموات ما خلقها الله ﷻ إلا بالحق، وهكذا الإنسان ما أوجده الله ﷻ إلا للقيام بهذا الحق، فمن تواصىٰ بالحق ونصح وبذل وأمر بالمعروف ونهىٰ عن المنكر بقوله وفعله وبكل ما يقدر عليه، كان بإذن الله ﷻ من الناجين، ولهذا جاء في البخاري عن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: «**مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة، فكان بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا علىٰ من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا، ولم نؤذ من فوقنا. فلو أنهم تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا، ولو أنهم أخذوا علىٰ أيديهم نجوا ونجوا**

جميعًا»[(١)]، وفي «صحيح الإمام مسلم» عن أبي سعيد قال ﷺ: «**من رأىٰ منكم منكرًا، فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(٢)]، ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، فمن تواصىٰ بالحق وبذل النصح وأمر بالمعروف ونهىٰ عن المنكر، بإذن الله ﷻ يكون من هذا الصنف الذي استثناه الله ﷻ، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٣]، إذا تعلمت وعرفت الحق وعملت به ودعوت إليه، لا بد أن تصبر، لا بد أن تصابر، لا بد أن تعلم أنك ستؤذىٰ، وأنك ستبتلىٰ، قال الله ﷻ: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ١- ٣]، يا من سلكت هذا السبيل العظيم إن صبرت فإن الله ﷻ يقول: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠ ﴾ [الزمر: ١٠]، ويقول سبحانه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧]، الصبر علىٰ طاعة الله ﷻ، والصبر عن معصية الله، والصبر علىٰ أقدار الله المؤلمة، من أعظم الأسباب للنجاة من الخسارة في الدار الآخرة، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، فحقِّق هذه المراتب الأربع لتنجو من الخسارة العظمىٰ، ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١- ٣]، فهي سورة عظيمة، ولهذا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩).

قال الشافعي: لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم. موعظة وزاجرًا ورادعًا في أن يقبلوا علىٰ الله، ويستقيموا علىٰ دين الله، ويبتعدوا عما حرم الله، ويسلكوا طريقة رسول الله ﷺ.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضىٰ، والحمد لله رب العالمين.

سورة الهمزة

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، عبادَ الله، كما مر معنا في جُمَعٍ ماضية الحديث عن بعض سور القرآن الكريم، فحديثنا معكم في هذا اليوم إن شاء الله عن سورة من السور القصيرة من كتاب الله ﷻ، هذه السورة هي سورة «الهمزة»، التي يقول الله ﷻ في كتابه الكريم، يقول فيها: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ

﴿مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَۢةِۭ﴾ [الهمزة: ١ - ٩].

افتتح الله ﷻ هذه السورة بالوعيد الأكيد، بالوعيد الشديد، والتهديد الأكيد، لمن اتصف بهذه الصفات المخالفة، التي حرَّمها الله ﷻ، فقال سبحانه: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

قال المفسرون: الهمز بالعين، واللمز باليد.

وقال آخرون: الهمز باليد، واللمز بالعين.

وقال بعضهم: الهمز يكون في وجه الرجل، واللمز يكون في غيابه وذهابه.

وقال بعضهم: بل إنه يكون باللسان، ويكون باليد.

ومعنىٰ الآية: أن الذي يزدري الناس ويؤذيهم بقوله أو بفعله في حضرتهم أو غيابهم؛ فقد وقع في منكر عظيم، وتوعَّده الله ﷻ بالعذاب الأليم، ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾، ولهذا قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

المسلم كما قال ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»(١)، فمن لم يسلم منه أهل الإسلام، فقد توعده الله ﷻ بالويل، وهو عذاب أليم عند الله ﷻ.

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ﴾ [الهمزة: ١، ٢] جمع مع هذه الصفة أنه يلمز الناس ويهمزهم، ويقع في أعراضهم، ويؤذيهم في أموالهم، ويطعن فيهم، ويتعدىٰ علىٰ حقوقهم، أنه مع ذلك الذي يجمع المال ويعدده.

قال أهل التفسير: أي يجمع بعضه إلىٰ بعض، لا يريد أن ينقص المال، كلما

---

(١) أخرجه البخاري (١٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

أخرج شيئًا رجع إلىٰ مكانه وعده وحرص عليه، ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ كما قال الله ﷻ: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٨]، هذا حال أهل الأطماع، وحال أهل الدنيا، الذين يحرصون علىٰ أموالهم، فلا ينفقونها في سبيل الله ﷻ، وربما يمنع الواجب فيها، فلا يؤدي زكاتها، يريدها أن تكون كثيرة موفورة، لا يمكن أن تنقص.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ [الهمزة: ٢، ٣] يظن أن هذا المال هو الذي سيُخلِّده في الدنيا، وأنه لن يُخلَّد في الدنيا إلا بسبب المال، أو يظن أنه لن يموت ما دام أن عنده مالًا، وأنه قد جمع الأموال الكثيرة، أو يظن أنه ما عاش الفترة التي مضت، إلا بسبب ما عنده من الأموال، ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾، وهذا الحسبان وهذا الظن ظن خاطئ أصحابه، ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾، قال الله ﷻ رادًّا عليه: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٤]، هذا ظن خاطئ، وفهم غير صحيح، وإنما هو فهم الكافرين، ومن كان علىٰ طريقتهم، الذين يظنون أن الخلود في المال، وأن الرفعة في المال، وأن التمكين في المال، ولهذا قال فرعون عليه من الله ما يستحق: ﴿يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٥١- ٥٣]، هذا فهم فرعون، ظن أنه لما ملك مصر، وحصل له من الأموال، أنه قد خُلد في الدنيا، وأنه أرفع من الأنبياء والرسل؛ ولهذا قال الله ﷻ عنه في كتابه الكريم بأنه ادعىٰ الربوبية، وادعىٰ الألوهية، وسخر من موسىٰ عليه السلام، وهذا كله بسبب ما حصل عليه من المال.

وهذا قارون ذكر الله ﷻ عنه في كتابه أنه ظن أنه مخلد بسبب ماله، فأصابه الأشر، وأصابه البطر، ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ

مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص: ٧٦- ٧٩] هذه نظرة الكافرين، ونظرة الزنادقة، ومن تأثر بهم، وتشبه بهم؛ ولهذا قال الله ﷻ عن أبي لهب: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ [المسد: ٢، ٣] فماله لم ينفعه، ولم يستفد منه، بل إنه ربما يكون وبالًا عليه، ويقول الله ﷻ عن عموم الكافرين: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ: ٣٥] إذًا هذه نظرة الكافرين، قال الله ﷻ مجيبًا عنهم: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٦، ٣٧]، إذًا هذه النظرة هي نظرة الكافرين، ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾، وهو لا يدري أن المال ربما يكون سببًا لضلاله وانحرافه، وأن المال يكون سببًا لهلاكه وعذابه، قال الله ﷻ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦، ٧]، وأما في الدار الآخرة فإن الله ﷻ بيَّن أن المال إن لم يصرف في طاعة الله ﷻ لا ينتفع به أصحابه، بل به يتضررون، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، بل قال الله ﷻ: ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ [الليل: ١١].

وفي هذه الآية يبيِّن الله ﷻ عن حال صاحب الدنيا الذي يجمع المال ويحويه، ويسعىٰ إليه ليلًا ونهارًا، وهو لا ينفقه في طاعة الله ﷻ، يعظِّمه في قلبه أشد من

تعظيم الله ﷻ، ومن تعظيم دينه ﷺ، قال: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾، قال الله ﷻ: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٤]، هذا ظنُّه، ولكنه ظن خاطئ، فإنه ربما أغواه ماله، وكان سببًا لانحرافه، فيصير إلىٰ النار والعياذ بالله، ويُلقَىٰ إلىٰ جهنم، وإلىٰ ذلك المكان الذي سُمي في هذه الآية بالحطمة، وهو اسم من أسماء نار جهنم؛ لأنها كما قال الإمام ابن جرير تحطم من دخلها(١)، تحطم سكانها، تحطمهم تحطيمًا، مهما كانت قوته، مهما كانت عضلاته، مهما كان ماله، مهما كان جاهه، مهما كانت رفعته في الدنيا، فإن مآله إلىٰ الحطمة، التي تحطم عظامه، وتحطم جسده، وتهشمه، ويصير فيها معذبًا، لا يموت فيها، ولا يحيا.

(١) قال ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٩٨): «وأحسبها سُمِّيت بذلك؛ لحطمها كلّ ما أُلقي فيها».

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ورضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، يقول الله ﷻ في هذه الآية: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ [الهمزة: ٤، ٥] تفخيم لأمرها، وتعظيم لشأنها؛ ولهذا فإن الله ﷻ ذكر النار في كتابه في عشرات الآيات، وجعل لها الأسماء العديدة التي من أجل سببها تَنْفِرُ القلوب منها، وتخاف من الدخول فيها، سمَّاها الله ﷻ بأسماء عديدة، تنفيرًا عنها، وهكذا يعظِّم شأنها، فتارة يقول: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١، ٢]، وتارة يقول: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١، ٢]، وتارة يعظِّم شأنها ويفخمها، لعل العباد أن يهربوا منها، ويبتعدوا عن أعمالها، وعن الأسباب التي توصل إليها، ولهذا قال في هذه الآية: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة: ٥، ٦] إنها نار الله ﷻ، التي أعدها لمن عصاه، وخالف أمره، وتعدىٰ حدوده، إنها نار الله ﷻ، التي وقودها الناس والحجارة كما أخبر الله ﷻ في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦]، إنها نار الله ﷻ الحامية التي قال الله عنها: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةَۢ﴾ [الغاشية: ١- ٤] إنها نار الله ﷻ، التي فُضِّلَتْ علىٰ هذه النار التي نستفيد منها

في الدنيا بسبعين جزءًا، كما قال النبي ﷺ(١)، إنها نار كما قال الله ﷻ إنها: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج: ١٦]، إنها نار لا تتحملها الأبدان، ولا تقوىٰ عليها الأجساد، حرُّها شديد، وقعرها بعيد، ووقودها الناس والحجارة.

قال الله ﷻ: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهمزة: ٦، ٧]، من شدتها وعظمها، فإنها تحرق الأجساد، وتصير إلىٰ الأفئدة.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسيره: إنما خصَّ الله ﷻ الأفئدة مع أنها تعم الأجساد كلها؛ لأن الأفئدة محل العقائد الفاسدة، والنوايا السيئة، فلهذا خُصصت في هذه الآية: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾(٢).

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨] أي مغلقة، مطبقة كما قال أكثر المفسرين، تُغلَق علىٰ أصحابها، تُغلَق أبوابها، لا يرون ضوءًا، ولا فرجة، ولا هواء، ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]، يُعذبون فيها، لحافهم فيها، ولباسهم منها، وشرابهم منها، وغطاؤهم منها، ومع ذلك تُغلَق عليهم أبوابها، فكيف يكون حال أهل النار عبادَ الله؟، لو حرق منزلك في الدنيا، لو احترق منزلك، وغُلِّقت أبوابه، وما استطعت أن تخرج منه، كيف يكون حالك؟ وهي نار الدنيا التي تشتعل في الثياب والكراتين وغيرها من الأخشاب والأحطاب والحشيش، فكيف إذا غُلِّقَت علىٰ أحدنا نار جهنم، وأطبقت أبوابها، لا مجير ولا نصير، ولا معين، فهل سينفع ذا المال ماله؟ وهل سينفع ذا الجاه جاهه في ذلك اليوم العصيب؟

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٩٢) ومسلم (٢٨٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**نارُكم هذه، التي يُوقد ابن آدم، جزء من سبعين جزءًا من حَرِّ جهنم**». قالوا: والله، إن كانت لكافية يا رسول الله! قال: «**فإنَّها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جزءًا؛ كلها مثل حَرِّها**».

(٢) «فتح القدير»، للشوكاني (٥/ ٦٠٣).

قال: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٦- ٩]، قرأ بعض القراء: (في عُمُدٍ[1] ممددة) من شدة نارها، وأليم عقابها، يجعل الله ﷻ أصحابها في أعمدة من النار.

وقال بعضهم: تكون علىٰ رقابهم كالأعمدة، فلا يستطيعون منها فرارًا، ولا هروبًا وتحولًا، لا يموتون فيها، ولا يحيون، يستمرُّ عليهم العذاب، وتتوالىٰ عليهم العقوبة، أين نحن من كلام الله ﷻ؟

عباد الله، أين نحن من كلام الله ﷻ الذي نقرأه ليلًا ونهارًا، ثم لا نتدبر ما ذكر الله ﷻ؟ ما ذا الذي أعددناه من الأعمال التي تنجينا من هذه النار، وتبعدنا عن سخط الجبار؟

تدبر في هذه السورة القصيرة آياتها العظيمة معانيها، ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ١- ٩].

فبادر عبدَ الله، وراقب الله ﷻ في أقوالك، وفي أفعالك، وفي كل ما تأتي وتذر، وأعِدَّ العدة للقاء الله ﷻ، فإنه لا مفر من هذا اللقاء ولا محيص ولا مخرج، ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠]، وفق الله الجميع لما يحب ويرضىٰ، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: (في عُمُد) بضم العين والميم، وقرأ الآخرون بفتحهما. «تفسير البغوي» (٨/ ٥٣١).

سورة الفيل

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، عبادَ الله، لا زلنا معكم في تفسير كتاب الله ﷻ، من سور أواخر القرآن، ومن جزء عم، وقد مرت بنا في جُمَعٍ ماضية بعض السور علىٰ الترتيب، وها نحن في هذا اليوم نذكر لكم سورة عظيمة من سور القرآن، هذه السورة إنها سورة «الفيل»، التي يقول الله ﷻ فيها: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ

﴿ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١- ٥]، إنها قصة عظيمة ذكرها الله ﷻ في هذه السورة، وذكرها أهل السير في سيرهم وكتبهم، هذه القصة وهذه السورة تتحدث عن هذا الحدث العظيم الذي حدث في العام الذي وُلد فيه النبي ﷺ، فقد جاء عند الإمام الطبراني من حديث عبد الله بن عباس ﷺ قال: وُلد النبي ﷺ عامَ الفيل(١). العام الذي وُلد فيه النبي ﷺ حدثت فيه هذه الحادثة التي كانت توطئةً وتمهيدًا لما يحصل بعد ذلك في زمن بعثته، ﷺ، ولهذا قال الله ﷻ في هذه السورة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] أي: ألم تعلم، ألم تُخبرْ يا محمد بما حصل من عظمة الله ﷻ وقدرته في دفعه ﷻ عن بيته الحرام من هؤلاء الذين أرادوا الاعتداء عليه، وبيت الله ﷻ يدافع الله ﷻ عنه قديمًا وحديثًا، وقد حاول المبطلون وتعدىٰ المعتدون علىٰ بيت الله ﷻ الحرام، ولكنهم لا يستطيعون سواء كان من حصل منه ذلك فيما مضىٰ، أو فيما هو حاصل في هذه الأزمان، مِن توعد وتهدد من الرافضة الأنجاس الأرجاس، الذين يتوعدون بهدم بيت الله الحرام.

قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] قال أهل التفسير: أي أن دين الناس ومصالحهم من أهل الإسلام لا تزال قائمة ما دام ذاك البيت معظمًا، ولا يزال موجودًا، والناس يأتونه من كل فج عميق، ومن هنا وهناك، يطوفون حوله تعظيمًا لله ﷻ، فإذا تركوه ونُزع تعظيمه من القلوب ربما حصل لهم ضعف في حياتهم وفي دينهم وفي معاشهم، فإن الله ﷻ

(١) أخرجه البزار (٤٧٦٢)، والطبراني في «الكبير» (١٢٤٣٢) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣١٥٢).

يقول في هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ كان ذلك لِمَا حصل في ذلك الزمن، مما ذكر أهل السير بإجماعهم، عن ابن إسحاق ﵀، في قصة أصحاب الفيل، وما حصل لهم من النكال والدمار، ليس ذلك حبًّا في أهل مكة، فإنهم أهل أوثان وشرك، وأهل الحبشة في ذلك الزمن الذين قدموا من اليمن كانوا أهل كتاب، فهم أحسن حالًا منهم، ولكن ذلك تعظيم لبيته ﷻ، فيقول الله لنبيه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾، وكان من أمرهم- كما ذكر المؤرخون والمفسرون وظاهر الآيات يدل علىٰ ذلك- أن من ملك اليمن في ذلك الزمن واستتب له الأمر وهو أبرهة الأشرم، بنىٰ كنيسة عظيمة في بلاد اليمن، وفي أرض صنعاء، وجعلت العرب تسميها القُلَيِّس؛ لعظمها وارتفاعها، وأراد هذا الرجل أن يصرف العرب عن حج بيت الله الحرام، وهم كانوا يحجون البيت الحرام حتىٰ قبل الإسلام مع ما يفعلونه من الشرك في حجهم، وفي أفعالهم، ومع ما وضعوا من الأصنام بجانب البيت العتيق، فبنىٰ ذلك المكان، ووضع تلك الكنيسة، فاغتاظ كثير من العرب، العرب العدنانية والعرب القحطانية، ذكر ابن إسحاق أنه جاء بعضهم حتىٰ وصل إلىٰ تلك الكنيسة، فدخل فيها، وقضىٰ فيها حاجته، ولما رُفع الأمر إلىٰ ملكهم، وهو أبرهة الأشرم، اغتاظ واشتد غضبه، وأقسم أن يسير إلىٰ بيت الله الحرام، فيحطمه ويُهدِّمه؛ نكالًا لأهله، لما حصل من هؤلاء العرب، الذين دخلوا هذه الكنيسة، ووضعوا فيها شيئًا من النجاسات، فجهز جنده، وجمع جموعًا كثيرة، وجمع الفيلة، وكان من تلك الفيلة فيل يملكه هذا الملك اسمه محمود، فتحرك من بلاد اليمن متجهًا إلىٰ بيت الله الحرام؛ لهدمه كما زعم، ولما كان في طريقه اغتاظ كثير من العرب، وأرادوا الدفاع عن البيت الحرام من هذا الطاغية ومن هذا الرجل، فخرج له بعض ملوك اليمن، تحت زعامة رجل يقال له: ذا نَفَر، فانكسر

هو وأصحابه، وأسره أبرهة الأشرم، ولما وصل إليه طلب منه أن يعفوه، وألا يقتله، وربما يعينه في طريقه، فعفا عنه، ثم انطلق، فلما وصل إلىٰ بلاد خثعم، خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي بقومه ليقاتله، فانكسر نفيل، وقُتل كثير من أصحابه، وأُسر نفيل، ولما أراد أن يقتله، طلب منه أن يتركه، وأن يخلي سبيله، وهو سيدلُّه علىٰ الطريق، فخلىٰ سبيله، فلما وصل إلىٰ بلاد الطائف خاف أهل الطائف علىٰ اللات التي يعبدونها أن يهدمها أبرهة، فخرجوا إليه، وتلطفوا إليه، فتركهم وخلىٰ سبيلهم، ثم انطلق إلىٰ مكة، فلما وصل إلىٰ مكان علىٰ مشارف مكة يقال له: المُغَمَّس، وصل إلىٰ ذلك المكان، ثم تحرك جنده، وهم جيش عرمرم، عظيم لا طاقة لمن حول مكة ولأهل مكة بقتالهم، فأخذوا ما وجدوا من الإبل، من سَرْحِ أهل مكة، من الإبل وغيرها، ثم أرسل بعض أصحابه إلىٰ أهل مكة، وقال لهم: يا معشر العرب، إني لا أريد قتالكم، ولكني أريد هذا البيت، فخلُّوا بيني وبينه. فاجتمع الناس إلىٰ سيدهم، وهو عبد المطلب بن هاشم، وكان سيد أهل مكة في ذلك الزمن، فقال: لا طاقة لنا بهذا الرجل، ثم إنه أراد أن يذهب إليه يسأله مائتي بعير أخذها جيش أبرهة، فلما وصل إليه استُئذن له، فدخل عليه، وكان رجلًا جميلًا، كان أجمل العرب، فهابه أبرهة، ونزل من علىٰ سريره، وسأله عن طريق مترجمه: ماذا تريد؟ قال له: أريد الإبل التي أخذها جيشك. فسخر منه أبرهة، قال له: أنا جئت لأهدم بيتًا أنت تعظمه، وإذا بك تسأل عن بعيرك. فقال تلك المقولة المشهورة: أنا رب إبلي، وللبيت رب سيمنعه. فقال له أبرهة: إنه ليس بممنوع مني. فقال له: افعل ما بدا لك. فخلىٰ سبيله، وأعطاه إبله، فرجع عبد المطلب إلىٰ سادات مكة، وجمعهم وقال لهم: عليكم أن تصعدوا في رءوس الجبال، ثم اقترب مع بعضهم، ومسك بباب الكعبة وجعلوا يستنصرون الله، ويدعون الله ﷻ، وهم

مشركون، وجعل يردد عبد المطلب:

لاهم إن المرء يمنع رحله فامنع حِلَالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوًا

ثم صعدوا في الجبال، ولما أصبح أبرهة اقترب، وكان معه ذلك الفيل العظيم، الذي قد عزم أن يربط الكعبة بأركانها في رقبة هذا الفيل، ثم يهدم بيت الله ﷻ، حتىٰ يتحول الناس إلىٰ تلك الكنيسة التي بناها ببلاد صنعاء، فلما كان في الصباح جعلوا يزجرون هذا الفيل، فيبرك مكانه ولا يتحرك، فإذا وجَّهه قبل الشام هرول، وإذا وجهه قبل اليمن هرول، وإذا وجهوه قبل المشرق هرول، وإذا وجهوه قبل البيت مكث مكانه لا يتحرك، وبينما هم في هذه الحالة وهم يزجرونه ويضربونه، ويهددونه، وهو لا يتحرك مكانه، إذ أرسل الله ﷻ عليهم جندًا من عنده مما ذكر في هذه السورة.

جاء في «الصحيحين» أن النبي ﷺ، لما كان يوم الحديبية، أشرف علىٰ ثنيَّة قبل مكة، فبركت ناقته القصواء، فقال بعضهم: خلأت القصواء. فقال النبي ﷺ: «**ما خلأت، وليس ذلك لها بخلق، ولكنه حبسها حابسُ الفيل**»(١)، وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلَّط عليها رسوله والمؤمنين ساعةً من نهار، وإنَّ حرمتها عادت كما كانت قبل ذلك**»(٢)، أو كما قال ﷺ.

قال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ١، ٢] أي: هذا المكر وهذا الكيد وهذا الحقد وهذه العداوة التي أرادوا بها

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٣٤)، ومسلم (١٣٥٥).

أن يهدموا بيت الله ﷻ، جعله الله ﷻ هباءً، جعله الله ﷻ في تضليل، فالله ﷻ يدافع عن دينه، ويدافع عن حرماته، ويدافع عن بيته، وهكذا في كل زمان ومكان، الله ﷻ يدافع عن الحق، وينصر من نصر الحق، قال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ١ - ٣]، ومعنىٰ: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾؛ أي: طيرًا متتابعة، فرقة بعد فرقة، من ذات اليمين، وذات الشمال، ومن هنا وهناك، كما صح ذلك عن جماعة من المفسرين، كعبد الله بن مسعود ومجاهد وقتادة، وغيرهم من أهل التفسير، أرسل الله ﷻ عليهم طيرًا من كل مكان متتابعة فرقة بعد فرقة، أهل مكة علىٰ رءوس تلك الجبال، وهم ينظرون كيف يصنع هذا الجيش ببيت الله ﷻ؟ كيف يحطمونه؟ كيف يهدِّمونه؟ وإذا بالله ﷻ يرسل هذا الجند الذي لم يكن في الحسبان.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، إن إخبار النبي ﷺ لما حصل من قصة الفيل يُعتبر من دلائل النبوة، قال أهل التفسير: يعتبر من دلائل النبوة، فإنه أخبر أهل مكة عن أمر قد عايشوه، أو عايشه بعضهم، فهذا يُعتبر من دلائل النبوة، وقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها رأت في مكة الذي كان يقود الفيل كبيرًا أعمىٰ يسأل الناس ويتكففهم، وكان ممن نجا من تلك الحجارة التي أُلقيت عليهم، قال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جاء عن عبد الله بن عباس عند الإمام ابن جرير بسند صحيح في وصف هذه الطير، قال: كانت هذه الطير لها خراطيم كخراطيم الفيل، ولها أكف كأكف الكلاب، وجاء عن عبيد بن عمير وغيره من المفسرين كالضحاك عند ابن جرير بسند صحيح في رواية: أنها من طيور البحر، لونها خضراء. وفي رواية: لونها سوداء. ولعل بعضها خضراء وبعضها سوداء، تحمل الحجارة في منقرها وفي يديها، كل طائر يحمل ثلاثة أحجار، فجعلت ترمي هذا الجيش، طيور كثيرة، لا تُحصىٰ ولا تُعد، من كل مكان، ما وقعت من حجر علىٰ رجل إلا وأهلكته، قال: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل: ٣، ٤]، والمراد بالحجارة من السجيل هي الحجارة هي الطين إذا أُحرق وسُخن حتىٰ صار صلبًا كالحجارة، فيُرمىٰ بها هؤلاء المعتدون، فتفرقوا وتمزقوا وهلكوا، فذهبوا يمنة ويسرة، لا يلوي أحد علىٰ أحد، ما نفعهم فيلهم،

ولا جيشهم، ولا قوتهم، سلَّط الله ﷻ عليهم هذه الطيور، ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ فهلك كثير منهم، وتقطعوا وتمزقوا، ورجع بعضهم هاربين لا يدرون أين الطريق التي توصلهم إلىٰ بلاد اليمن، فكانوا يقولون: أين نفيل؟ وقد فر منهم نفيل بن حبيب الفهري، الذي دلهم علىٰ الطريق، فجعلوا يرجعون، قال ابن إسحاق رحمه الله، ذَكر ابن إسحاق أن بعضهم جعلت أعضاؤه تتقطع وتتمزق أنملة أنملة، فتمزق أبرهة، قيل: وصل إلىٰ بلاد خثعم، وقيل: بل وصل إلىٰ صنعاء، ولم يكن بقي منه إلا كالعصفور، تقطع أنملة أنملة، وتمزق، وهكذا من حادَّ الله ﷻ.

وقد وصفهم الله ﷻ بوصفٍ بليغٍ في هذه السورة، قال: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٣- ٥]، قال قتادة: العصف هو التبن. وقال بعضهم: المراد به القشرة التي تكون علىٰ الحبوب، وقال بعضهم: المراد به الحشيش والعلف إذا أكلته الحيوانات، ثم راثته، ثم داسته بأقدامها، أي: أنهم صاروا لا شيء، كأنهم عصف مأكول، شيء قد أُكل، ثم صار روثًا، ثم وُطئ بالأقدام. هكذا يبيِّن الله ﷻ لمن حاد الله ﷻ، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١- ٥].

بيت الله ﷻ يدافع الله ﷻ عنه، تعدَّىٰ عليه الرافضة في زمن قديم، وكسروا الحجر الأسود، وأخذوها إلىٰ بلاد البحرين، فمكثت عندهم نحو اثنين وعشرين عامًا، وهكذا يتعدون علىٰ بيته الحرام، في أكثر من موطن، وفي أكثر من زمن، ومن قرأ التاريخ، وجد أن الرافضة أشد ضررًا علىٰ بيت الله الحرام، وأشد عدوانًا، وأعظم مكرًا، فهذا زعيمهم في زمن من الأزمان قبل نحو خمسة عشر عامًا أو عشرين عامًا يقول في محفل عظيم: لا بد أن نحرر المسجد الحرام، وأن نحرر

المسجد النبوي. أخزاهم الله تعالىٰ، بيت الله الحرام يدافع الله ﷻ عنه، ولهذا قال ﷺ: «**يغزو جيشٌ الكعبة، حتىٰ إذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بأولهم وآخرهم**»، فقالوا: يا رسول الله، كيف يُخسف بأولهم وآخرهم وفيهم من ليس فيهم منهم؟ وفيهم الساقة. قال: «**يُخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون علىٰ نياتهم**»(١).

يحاول هذا الحبشي الذي هو أبرهة أن يهدم بيت الله ﷻ، فلا يمكِّن الله له، ولكنه أخبر النبي ﷺ أن حبشيًّا آخر في آخر الزمان وذلك من علامات الساعة، سيأتي فيهدم بيت الله ﷻ، ويقلعه حجرًا حجرًا، كما في الصحيحين عن أبي هريرة قال ﷺ: « **يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة**»(٢)، وهذا في آخر الزمان، ومن علامات الساعة، وأما قبل ذلك فالله ﷻ يدافع عن بيته، فهو ﷻ ما جعل هذه الحادثة إلا توطئة وتمهيدًا لتعظيم بيته الحرام في شريعة محمد ﷺ، ولهذا أُنزل في القرآن تعظيم بيته وفي سنة محمد ﷺ الأحكام الكثيرة من تعظيم هذا البيت، ومما جعل له من الشرف والأحكام.

نسأل الله ﷻ بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضىٰ، والحمد لله رب العالمين.



(١) أخرجه البخاري (٢١١٨)، ومسلم (٢٨٨٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) أخرجه البخاري (١٥٩١)، ومسلم (٢٩٠٩).



سورة قريش

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أيها المسلمون، عباد الله، كان حديثنا في الجمعة الماضية عن سورة «الفيل»، وأما حديثنا في هذه الجمعة إن شاء الله تعالىٰ فعن السورة التي بعدها، وهي سورة «لإيلاف قريش»، هذه السورة العظيمة التي يقول الله ﷻ فيها: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: ١ - ٤].

هذه السورة يقول الإمام ابن عطية في «المحرر الوجيز»: «هِيَ مَكِّيَّةٌ بِلا خِلافٍ»(١).

ويقول القرطبي وغيره: هي مكية علىٰ قول جماهير أهل العلم(٢).

سورة نزلت قبل الهجرة علىٰ النبي ﷺ، والمكي: ما نزل قبل الهجرة وإن لم ينزل بمكة. والمدني: ما نزل بعد الهجرة وإن لم ينزل في المدينة، وهذا هو الصحيح في أقوال أهل العلم(٣).

وأما هذه السورة ومعنىٰ آياتها وكلماتها، فالله ﷻ يقول فيها: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١]، وقد اختلف المفسرون في هذه اللام علىٰ ثلاثة أقوال:

أما القول الأول، وهو قول الجماهير: أن هذا اللام موصول بما قبلها، أي أن هذه السورة متعلقة بما قبلها وهي سورة «الفيل»، والمعنىٰ عندهم: أن الله ﷻ أهلك أبرهة الأشرم ومن معه من الأحباش وصاحب الفيل، إنما فعل ذلك؛ تهيئة لتعظيم بيته الحرام، ودفاعًا عنه، وليأتلف قريش، ولاجتماعهم، ولاستمرار رحلتهم في الشتاء والصيف، هذا هو المعنىٰ الأول.

وأما المعنىٰ الثاني: علىٰ من يقول بأن اللام لام التعجب، وهو قول جماعة من أهل اللغة، واختاره ابن جرير ﷺ في تفسيره، ويكون المعنىٰ: أي: يا أيها الناس، اعجبوا من قريش الذين هيأ الله ﷻ لهم الأمر، وأهلك عدوهم، وجعلهم مؤتلفين، وأمنهم من الخوف، ومع ذلك لم يعبدوا الله ﷻ.

---

(١) «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، لابن عطية (٥/ ٥٢٥).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٢٠٠).

(٣) انظر: «فضائل القرآن»، لابن كثير (ص٣٧)، و«**البرهان في علوم القرآن**»، **للزركشي** (١/ ١٨٧).

والقول الثالث: أنها متعلقة بما بعدها، أي أن يكون المعنىٰ: فليعبدوا رب هذا البيت؛ لأنه هو الذي جمعهم، ولأنه هو الذي دفع عنهم أعداءهم، ولأنه الذي جعلهم يأتلفون هاتين الرحلتين.

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ وأما قريش فيقول أهل التفسير: إنما سميت قريش، قال بعضهم: لأنهم يحرصون علىٰ جمع القرش والتكسب، يقال ذلك من التقرش، ولهذا قيل لذلك السمك الذي يعيش في البحر بسمك القرش؛ لأنه لا يترك غثًّا ولا سمينًا إلا أخذه، فهو يأكل ولا يؤكل، وهكذا قريش.

وقال بعضهم: بل سميت قريش من التجمع، أي أنه مجتمع لما جمعهم قصي بن كلاب، جمعهم علىٰ رأي واحد، وجعلهم متوحدين.

وقال بعضهم: إنما سميت قريش قريشًا من الاقتراش، وهي وضع السهام والرماح بعضها فوق بعض.

فالله ﷻ يقول: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ [قريش: ١، ٢] قال جمهور المفسرين: كانت قريش لها رحلتان في السنة:

أما الرحلة الأولىٰ: فهي رحلة إلىٰ بلاد اليمن، في أيام الشتاء.

وأما الرحلة الثانية: فهي رحلة الصيف إلىٰ بلاد الشام؛ لشدة البرد في بلاد الشام، فهم لا يستطيعون الذهاب إليها في أيام الشتاء، والاعتدال الجوي وحسنه في بلاد اليمن، يأتون إليه في زمن الشتاء.

رحلتان عند جماهير أهل العلم، هاتان الرحلتان يصير فيهما أهل مكة في حلهم وترحالهم وهم آمنون معظمون، ففي أسفارهم وفي تجارتهم كل من رآهم قال: هؤلاء هم أهل حرم الله. فلا يؤذيهم أحد، بل من سايرهم ومن جالسهم ومن صافهم صار آمنًا، وأما إذا رجعوا إلىٰ بلدهم، واستقروا في وطنهم، فالله ﷻ يقول:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، فكانوا يأتون بأرزاقهم وثمارهم وفواكههم وتجاراتهم في هاتين الرحلتين العظيمتين بعد أن كانوا في شدة وتفرق وتمزق وجوع شديد، كما ذكر أهل التفسير ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ [قريش: ٢].

ثم قال الله ﷻ مذكِّرًا لهم أنه يجب عليهم أن يشكروا الله ﷻ علىٰ هذه النعمة، وأن يذكروه ﷻ علىٰ ما أسداهم به، فقال سبحانه: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ [قريش: ٣] وأضاف البيت إليه سبحانه تشريفًا وتعظيمًا، ووصف نفسه بأنه رب البيت ردًّا علىٰ المشركين الذين يعبدون الأصنام والأوثان، ويطوفون حولها، ويستغيثون بها، وهكذا ذكَّرهم بالبيت الذي فيه عزُّهم، وفيه شرفهم، وبه يُذكَرون بين أوساط الناس، ليتذكروا نعمة الله ﷻ عليهم ﷻ، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٩١]، وهنا يقول لهم: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ [قريش: ٣] يوحدوه، ويقيموا دينه، ويستقيموا عليه، فإن الله ﷻ ما عبدوه فإنه معظمهم ومدافع عنهم، فهو الذي دفع عنهم الفيل، وهو الذي دفع عنهم ذلك الجيش، وهو الذي يسَّر لهم الائتلاف والاجتماع، وهو الذي يسَّر لهم الأرزاق من هنا وهناك، رحلتان يسيرون في طول سنتهم من هنا إلىٰ هناك، وهم لا يجدون من يؤذيهم، بينما الناس يتخطفون يمنة ويسرة، إذًا فلماذا لا يعبدون الله؟

﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣، ٤] كان أهل مكة كما هو معلوم يسكنون في ذلك الوادي الذي ليس فيه رزق، وليس فيه أنيس، وليس فيه جليس، ولما ترك إبراهيم عليه السلام أمَّ إسماعيل في ذلك المكان، وانصرف عنها، جعلت تناديه وتقول له: يا إبراهيم، إلىٰ من تتركنا في هذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا جليس؟ فانطلق إبراهيم، ولم يجب، فجعلت تقول له

ذلك، ثم قالت: آلله أمرك بهذا؟ فأشار برأسه أن نعم، فقالت: إذًا لن يضيعَنا الله[(١)].

فالله ﷻ يذكِّر قريشًا بهذه النعمة أنهم في وادٍ معرَّضون للجوع، معرَّضون للفقر، معرَّضون للخوف، والله ﷻ هو الذي يسر أرزاقهم وأمن بلادهم وأمدهم بالنعم ودفع أعداءهم، وذلك فضل من الله ﷻ، واستجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام، حيث قال، كما ذكر سبحانه في كتابه الكريم، أنه قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، فاستجاب الله ﷻ دعاءه، وأمدهم بالأرزاق والنعم، وأمنهم في دورهم، فلماذا لا يعبدون رب هذا البيت؟

هذا البيت الذي جعله الله ﷻ أولَ بيت للعبادة وللطاعة علىٰ وجه هذه الأرض، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

جاء في الصحيحين من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: يا رسول الله، أي مسجد بني أول علىٰ وجه الأرض؟ أو في الأرض أول؟ فقال: «**المسجد الحرام**»، قال: ثم أي؟ قال: «**المسجد الأقصىٰ**»، قال: كم كان بينهما؟ قال: «**أربعون سنة**»[(٢)].

هذا البيت الذي جعل الله ﷻ العبادة عنده تتضاعف درجاتها، ولهذا جاء في الصحيحين أنه قال ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**»[(٣)]، فالطاعة فيه والأعمال الصالحة تُرفع، وهكذا تتكاثر

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وتُضاعف، والسيئة فيه تُغلَّظ كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

هذا البيت الذي جعل الله ﷻ تلك البلدة لأجله هي أعظم البقاع، وهي أفضل البقاع، وهي أحب البقاع إلىٰ الله ﷻ علىٰ الإطلاق، ولهذا جاء من حديث عبد الله بن عدي بن حمراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال، لمَّا خرج من مكة في الهجرة، التفت إلىٰ مكة، ثم قال: «**والله إنك لمن أحب الأرض إلىٰ الله ﷻ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت**»(١).

جعل الله ﷻ ذلك البيت وما حوله بلدًا آمنًا، من دخله كان آمنًا كما أخبر الله ﷻ، حتىٰ الحيوانات، أخبر النبي ﷺ أنه لا يُنفَّر صيدها، أي صيد مكة، لعظمها، وعظم حرمتها، ولا تقطع أشجارها، ولا يقطف حشيشها، قال: «**لا يختلىٰ خلاها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها، إلا لمنشد حتىٰ الضوال**»(٢)، واللقطات إذا ظهرت في مكة، فإنه لا يجوز أخذها إلا لمن عرفها دائمًا.

كل هذا التعظيم لبيت الله ﷻ، ولمن أقام دين الله ﷻ عنده، فجعل الله يذكِّر أهل مكة، ويذكر قريشًا خاصة بهذه النعم، فلماذا يصرفون العبادة لغيره؟ فيقول سبحانه: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣، ٤].

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٠٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٤٩)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﷺ، يا أيها الناس، إن الله ﷻ لمَّا أعطىٰ قريشًا هذه النعم ما شكروا الله، أمرهم بشكرها فكفروها، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩]، أهل مكة ما شكروا نعم الله ﷻ، بل آذوا نبيه ﷺ، وقدموا عبادة الأصنام علىٰ عبادة الملك العلام ﷻ، فأشركوا عند بيته العتيق، وذبحوا الذبائح للأصنام والأضرحة والأشجار والأحجار، بل آذوا نبيَّنا ﷺ، وأرادوا قتله، بل كانوا سببًا في خروجه من مكة إلىٰ المدينة فارًّا بدينه، لمَّا أرادوا قتله، ضيعوا هذه النعم، فلم يشكروا الله ﷻ، فأبدلهم مكانها نقمًا، ولهذا قال الله ﷻ في سورة «النحل»: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢].

أهل مكة لم تكن بلدهم صالحة للزراعة، ولا للتجارة، ولا لشيء من ذلك، وإنما هو تيسير من الله، جاءتهم الأرزاق من هنا وهناك، من ذات اليمن وذات الشمال، وهذا من الله ﷻ، لكنهم ما شكروا هذه النعم، فذهبت عنهم وسُلبت منهم، قال: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، لما آذوا نبينا ﷺ، دعا عليهم، وقال: «**اللهم اجعلها عليهم سبعًا كسبع يوسف**»(١)، سبع سنين كسبع يوسف، فأصابهم الجوع، فجعلوا يأكلون الجلود، وبعضهم ربما يموت من شدة

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠٧)، ومسلم (٢٧٩٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

الجوع؛ هذا لأنهم غيروا نعمة الله، وبدلوا نعمة الله، ثم هاجمهم النبي ﷺ، وجاهدهم في الله ﷻ، فمنهم من قُتل في معركة بدر كافرًا بالله ﷻ، ومنهم من قُتل في أحد، ومنهم من قُتل في الخندق، ودخل النبي ﷺ فاتحًا في العام الثامن، فنُكست رءوس المشركين؛ لأنهم ما عبدوا الله، وما شكروا الله، وما أدَّوا حقه ﷻ، كانوا في أمر قدره الله ﷻ وأمضاه، وأراده لهذه البلد وأهلها، وكانوا في رغد من العيش، فما شكروا نعم الله ﷻ، وهكذا كل بلدة، وهكذا كل قوم، إن لم يشكروا نعم الله ﷻ لسُلبت منهم النعم، فاتقوا الله معاشر المؤمنين، فإننا نعيش في نعم عظيمة، إن لم نشكر نعم الله ﷻ، لذهبت عنا، ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧] شكر النعم يزيدها ويعظِّمها، وهكذا يجعلها تربو وتستمر، وكفرها يذهبها، ويجعلها تنقطع وتندثر، فعليك عبد الله أن تشكر الله ﷻ، وأن تُقبل علىٰ عبادته وتوحيده وطاعته، وأن تبتعد عن معصيته، ولك عبرة بمن مضىٰ من الأمم الخالية والملوك الماضية الذين ما شكروا الله ﷻ، بل أعرضوا عنه، وكفروا بنعمه، فكيف عاقبهم ﷻ؟ وترك لنا ذلك ربنا ﷻ في كتابه آيات وعبر لنتعظ ونتذكر لنعود إليه ﷻ، فالرجوع الرجوع عباد الله، والاستقامة الاستقامة، والإكثار من الدعاء، دعاء الله ﷻ في أوقات الإجابة ألَّا يسلب منا النعم، وأن يثبت في أوساطنا الخيرات، وأن يدفع عنا النقم، ونسأله ﷻ أنَّ من أراد بنا وبديننا وبلدنا شرًّا، أن يرد كيده في نحره، وأن يجعل الدائرة عليه، وأن يعجِّل بزواله، اللهم عليك باليهود والنصارىٰ، فإنهم لا يعجزونك، اللهم عليك بهم وبأذنابهم من الرافضة ومن علىٰ طريقتهم، اللهم عجل بزوالهم يا قوي يا متين، اللهم رد المسلمين إليك ردًّا جميلًا، اللهم اجمع كلمتهم علىٰ الحق المبين، اللهم اجمع كلمتهم علىٰ الكتاب والسنة علىٰ طريق أصحاب محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.



سورة الماعون

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أيها المسلمون، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ١- ٧]، هذه السورة تُسمىٰ بسورة الماعون، أو بالسورة التي يُذكر فيها الماعون.

قال الإمام ابن عطية في «المحرر الوجيز»: «وهِيَ مَكِّيَّةٌ بِلا خِلافٍ عَلِمْتُهُ»(١).

هذه السورة فيها موعظة بليغة، وزجر شديد، ووعيد أكيد، لمن تخلف عن طاعة الله ﷻ، وارتكب معصيته ﷻ، فالله ﷻ يقول فيها: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ [الماعون: ١].

قال القرطبي ﷺ: هي علىٰ تقدير محذوف، أي: أرأيت الذين يكذب بالدين أهو مصيب، أم أنه مخطئ؟(٢) إنه مخطئ لا محالة، ولا شك.

ثم إن هذا الخطاب لنبينا محمد ﷺ وللأمة جميعًا.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ أي: بالمعاد والجزاء والحساب والثواب والعقاب، والوقوف بين يدي الله ﷻ، هذا الصنف هو الذي يجرُّه إلىٰ معصية الله ﷻ، وما ذكر الله بعد هذه الآية من المخالفات الشرعية والمعاصي التي نهىٰ الله عنها، إنما يتجرأ عليها من كان هذا حاله، أي لا يؤمن بيوم الحساب والجزاء والوقوف بين يدي الله ﷻ، وإلا فإن المؤمنين بالله ولقائه وبذلك اليوم العظيم يحملهم ذلك علىٰ الطاعات والقربات والصدقات وأداء الواجبات، ولهذا قال الله ﷻ عن هذا الصنف، قال الله ﷻ عنهم في كتابه الكريم: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٨- ١٠]، المؤمنون بالله ﷻ وباليوم الآخر هم الذين يؤدون الواجبات، ويتركون المحرمات، أما من لم يؤمن بالله ﷻ ولا بلقائه، فإنه لما سوىٰ ذلك أضيع، ولما عدا ذلك مفرِّط.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١،

---

(١) «المحرر الوجيز»، لابن عطية (٥/ ٥٢٧).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٢١٠).

٢] من كان حاله مع الله ﷻ والإيمان به هذه الحالة، فإنه من بابٍ أولىٰ أن يدفع اليتيم، وأن يظلمه، وأن يأخذ حقه، وأن ينهره، وأن يزجره، ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾.

وقد نهىٰ الله ﷻ عن أذية الأيتام، وظُلمِهم وأخذ أموالهم في آيات كثيرة، وهكذا نبينا ﷺ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، وجعل النبي ﷺ من الموبقات العظام التي توبق صاحبها في الإثم، وربما توبقه في النار: أكل مال اليتيم، كما في «الصحيحين» عن أبي هريرة، قال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر**» ثم قال في أثناء الحديث: «**وأكل مال اليتيم**»(١).

والله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ١٧- ٢٠]، وفي هذه الآية يقول الله ﷻ في وصف الذين لا يؤمنون باليوم الآخر: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ٢، ٣]، لا هو بالذي يتصدق علىٰ الفقراء والمساكين، ويعطف علىٰ اليتامىٰ والأرامل والمحاويج، ولا هو بالذي يحثُّ غيره، وهذه ليست صفة أهل الإيمان، بل إن الله ﷻ أخبر أنها صفة الذين كفروا بالله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ٤٧]، صفة ذميمة حذَّر الله ﷻ منها، لا هو بالذي يفعل الخير، ولا هو بالذي يدلُّ عليه ويرشد إليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١- ٣]، ثم قال الله ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]، والويل عذاب أليم وعقوبة شديدة ووعيد أكيد من الله ﷻ، لمن كان هذا حاله، ولم يصح عن نبينا ﷺ أن الويل وادٍ في جهنم، لا يصح في ذلك حديث عن النبي ﷺ، ولكن الله ﷻ توعَّد من كان هذا حاله بالويل، يا تُرىٰ من هو؟ إنهم المصلون الذين وُصفوا بالأوصاف التي بعد هذه الآية، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥] قال أهل التفسير: لم يقل الله ﷻ: (الذين هم في صلاتهم ساهون)، وإنما قال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]، ولهذا كان بعض السلف يقول: الحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾، ولم يقل: (في صلاتهم)[(١)]. فإن بين الفقرتين والعبارتين فرقًا، فإن الذين هم عن صلاتهم ساهون، أي: ساهون عنها، تاركون لها، لا يلتفتون إليها، ولا يبالون بها، وهذا فعل المنافقين، ومن كان علىٰ طريقتهم من الفسقة والفجار، وأما الذين هم في صلاتهم ساهون، فهم الذين يعتريهم السهو، وربما حديث النفس ووسوسة الشيطان، ولا يسلم من ذلك أحد، لا يكاد يسلم من ذلك أحد، وقد حصل للنبي ﷺ سهو في صلاته، فما بالك بغيره؟ وذلك يُجبر بسجود السهو.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الذين يؤخرونها عن أوقاتها، والذين يضيعون واجباتها، والذين يفرطون في شروطها، والذين لا يخشعون فيها، ولا يتفكرون في معانيها، كل ذلك يشملهم.

وقد أخبر الله ﷻ في كتابه الكريم أن هذا ليس من صفات أهل الإيمان، وإنما

---

(١) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٩٣) عن عطاء بن دينار رحمه الله.

هو من صفات أهل النفاق، والشقاق، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وفي «صحيح الإمام مسلم» من حديث أنس بن مالك ﷺ قال ﷺ: «**تلك صلاة المنافقين، تلك صلاة المنافقين، تلك صلاة المنافقين، يرقب الشمس حتىٰ إذا كانت بين قرني شيطان قام فركع أربع ركعات، لا يذكر الله ﷻ فيها إلا قليلًا**»(١)، ما أكثر الذين يتشبهون بأهل النفاق، فيؤخرون الصلاة عن أوقاتها، ويقدمون أعمالهم وأشغالهم، بل وبعضهم يقدم اللهو والمعصية علىٰ طاعة الله ﷻ، فلا يشهدون الجُمَعَ ولا الجماعات، بل يفرطون فيها، ولا يبالون بها، قال الله ﷻ في كتابه الكريم، بعد أن ذكر جملة من أنبيائه ورسله، وما هم عليه من الخير والمبادرة إلىٰ طاعة الله ﷻ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠]، روىٰ الإمام أحمد في «مسنده»، والبخاري في «خلق أفعال العباد» من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**يكون أقوام بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، فسوف يلقون غيًّا، ثم يكون أقوام يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم**»، قال: «**ثم يقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن، ومنافق، وفاجر**»(٢).

هذا الحديث العظيم يبيِّن النبي ﷺ أنه سيأتي أقوام بعد زمنه بستين سنة يضيِّعون الصلوات، يؤخرونها عن أوقاتها، يفرِّطون فيها، فكيف بهذه الأزمان؟

---

(١) أخرجه مسلم (٦٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (١١٣٤٠)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (ص١١٧)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٣٠٣٤).

وكيف بهذه الأيام؟ يا أمة الإسلام، ويا أيها الناس، اتقوا الله وراقبوه، وحافظوا علىٰ طاعته وفرائضه، ما أكثر الذين ينامون عن صلاة الفجر، يسهرون إلىٰ آخر الليل، ثم يضيعون صلاة الفجر، ما أكثر الذين يضيعون صلاة العصر، وهم يأكلون تلك الشجرة الأثيمة التي تأكل دينهم وأرواحهم وصحتهم وأموالهم، وتوقعهم في كثير من الخزايا والمخالفات الشرعية، قال النبي ﷺ كما في البخاري من حديث سمرة في حديث الرؤيا الطويل: قال: «**فقيل لي: انطلق انطلق. قال: فانطلقنا، فأتينا علىٰ رجل مستلقٍ علىٰ قفاه، وآخر قائم عليه بصخرة، يفلق رأسه، ثم يتدهده الحجر، فيذهب ويأتي بها، وإذا برأسه قد رجع كما كان، فيضربه بالحجر مرة أخرىٰ،** وتستمر عليه العقوبة، **قال: فقلت: سبحان الله، ما هذا؟ فقال لي: انطلق انطلق**». وفي آخر الحديث قال: «**أما الرجل الذي يفلق رأسه، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة**»(١)، فالويل الويل لمن ضيع الصلاة، الويل الويل لمن تلاعب بركوعها وسجودها وخشوعها، الويل الويل لمن ترك واجباتها وشروطها، الويل الويل لمن ضيعها، أَوَمَا سمعت الله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣]، في هذه الدنيا رزقه الله سمعًا وبصرًا وصحة في بدنه، ربما ليس بينه وبين المسجد إلا أمتار، أو دقائق معدودة، ويسمع النداء كل يوم خمس مرات: حي علىٰ الصلاة، حي علىٰ الفلاح. فيتلاعب بالصلاة، ولو دُعِيَ إلىٰ الدنيا وحطامها وشيء من تفاهاتها، لرأيته مبكرًا مبادرًا منافسًا مسابقًا، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٣).

فالله الله عبادَ الله، في المحافظة علىٰ هذه الشعيرة العظيمة إذا كان هذا الوعيد العظيم لمن يسهو عن صلاته، فكيف بمن يتركها؟ وكيف بمن لا يصليها لا في بيت الله ﷻ، ولا في بيته مع النساء؟ لا يصلي لله ﷻ إلا متىٰ ما صلح معه المزاج، إما في يوم الجمعة، أو في شهر رمضان، أو في غيرها من الأوقات والأزمان، كيف يكون حاله؟

قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ [المدثر: ٣٨- ٤٧] إلىٰ آخر الآيات، هذه العقوبة وهذا العذاب؛ لأنهم تركوا الواجبات، وفي أولها وفي مقدمتها: لم يكونوا من المصلين، فاحذر يا أيها المسلم، سل نفسك يا من حضرت لهذه الجمعة، هل صليت الفجر في جماعة؟ هل أنت ممن يحافظ علىٰ صلاة العصر في جماعة؟ هل أنت ممن يحافظ علىٰ صلاة المغرب؟ صلاة الظهر؟ صلاة العصر؟ صلاة العشاء؟ هل أنت ممن يستجيب النداء؟ هل أنت ممن قال الله ﷻ عنه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]؟ احذر أن تكون من المتلاعبين بالصلوات.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحبُّ ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون، يقول الله ﷻ في وصف الذين لا يؤمنون بالمعاد والجزاء والحساب أنهم يمنعون الصدقات قليلها وكثيرها، ويدفعون اليتامىٰ والمساكين، ولا يتعاونون علىٰ البرِّ والتقوىٰ، ويضيعون الصلوات، فيسهون عنها، ومع ذلك أيضًا يجمعون ذنوبًا أخرىٰ، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤- ٧] إن فعلوا عملًا من الأعمال الصالحة، فهم لا يفعلونه إلا رياءً وسمعة، ومن أجل الشهرة، ومن أجل أن يقال، وهذه مصيبة عظيمة، يفرِّط في طاعة الله ﷻ، وإن عمل شيئًا فهو يبتغي المدح، ويبتغي الثناء، ويبتغي الشهرة من الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هذا حال أهل النفاق الذين حذرنا الله ﷻ من سلوك سبيلهم، والاقتداء بهم، والتشبه بهم، قال النبي ﷺ، كما عند الإمام الطبراني وأحمد والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب»، قال: «**من سمَّع الناس بعمله، سمَّع الله به مسامع خلقه، وحقَّره وصغَّره**»(١)، وفي «صحيح مسلم» من

(١) أخرجه أحمد (٦٩٨٦)، والطبراني في «الكبير» (١٤١٨٧) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥).

حديث عبد الله بن عباس قال ﷺ: «**من سمَّع سمَّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به**»(١)، وفي «الصحيحين» عن جُندُب: «**من يسمع يسمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به**»(٢)، فما أحوج المؤمن إلىٰ أن يصدق مع الله ﷻ، وإلىٰ أن يخلص في أعماله وأقواله لله ﷻ، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ**»(٣)، وهكذا كم تجد من الآيات الكثيرة التي تحثنا علىٰ الإخلاص لله، والبعد عن الرياء، وهكذا الأحاديث النبوية عن نبينا ﷺ.

قال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٦، ٧]، قال عكرمة رحمه الله: الماعون المعروف، ما يُحتاج إليه، فأعلاه الزكاة والصدقة، وأدناه وأقله الدلو والإبرة، وما كان من هذا الباب كالقدر وغيره.

وقد جاء عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعدُّون عارية الدلو والإبرة وما شابه ذلك من الماعون الذي حذر الله ﷻ من منعه(٤).

قال العلامة العثيمين رحمه الله: الماعون منه ما يأثم العبد بمنعه، وهو الذي يجب بذله، كمن يريد شربة ماء إن لم تعطه إياها مات، فإنك تأثم بمنعه إياها، ومن الماعون من لا يأثم بمنعه؛ لأنه لا يجب بذله، ولكنه يفوته خير كثير(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥٢)، ومسلم (٢٩٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٤) انظر أقوالهم في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٩٦).

(٥) تفسير العثيمين: جزء عم (ص٣٢٩).

وقال بعض المفسرين: المراد بها الزكاة.

وقال آخرون: المال.

وقال غيرهم: بل كل معروف كما قال ﷺ: «**كل معروف صدقة**»(١)، فكل معروف تبذله فأنت مأجور عليه، ومن المعروف ما يجب عليك، ولهذا حذر الله ﷻ في هذه الآية من أن نتصف بهذه الصفة، فإن أهل الإيمان خير لأنفسهم وخير لغيرهم في أقوالهم وأفعالهم.

أما القرطبي رحمه الله، فهو يقول: أول ما تنطبق هذه الآيات علىٰ أهل النفاق والشقاق، فهم الذين يتلاعبون بالصلوات، وهم الذين يمنعون الزكوات، وهم الذين لا يؤمنون بيوم الجزاء والمعاد، وهم الذين يدفعون الفقراء والمساكين، فتنطبق عليهم، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤](٢).

وعلىٰ كل حال لا يجوز التشبه بأهل النفاق، بل يجب علىٰ العبد أن يكون داعيًا إلىٰ الخير بقوله وفعله، آمرًا بالمعروف، وناهٍ عن المنكر، مبادرًا إلىٰ طاعة الله سبحانه، ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا، وفَّق الله الجميع لما يحبُّ ويرضىٰ، والحمد لله رب العالمين.



(١) أخرجه البخاري (٦٠٢١) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٢١٥).

سورة الكوثر

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وإنما توعدون لآتٍ، وما أنتم بمعجزين.

أيها الناس، روىٰ الإمام أحمد في مسنده، فقال رحمه الله: حدثنا محمد بن فضيل، عن المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: أغفىٰ النبي ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه متبسمًا، فقيل له، وإما قال: ما أضحكك؟ أو ما يضحكك يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ، قال: «**إن ربي أنزل علي سورة**»، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١- ٣]،

«**أتدرون ما الكوثر؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**إنه نهر أعطانيه الله ﷻ في الجنة**». قال: «**تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيتُه كعدد الكواكب، فيُختلَج العبد، فأقول: يا رب، إنه من أمتي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»، هذا الحديث العظيم رواه الإمام أحمد(١)، ورواه الإمام مسلم في «صحيحه»، وليس في رواية الإمام مسلم: «**نهر في الجنة**»، وإنما فيه: «**هو نهر أعطانيه الله ﷻ تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة**»، وفي رواية الإمام مسلم: «**آنيته كعدد النجوم**»(٢)، وفي رواية أحمد: «**آنيته كعدد الكواكب**».

في هذا الحديث العظيم بيان لهذه السورة التي أنزل الله ﷻ علىٰ نبيه ﷺ، وقد اختلف أهل التفسير فيها، أهي مكية أو مدنية؟ فنقل ابن الجوزي في «زاد المسير» عن جمهور أهل العلم أنها مكية(٣)، وقال أكثر القراء بأنها مدنية، وهو قول قتادة ومجاهد وعكرمة، وآخرين(٤)، وقولهم أقرب إلىٰ الصواب، فقد استدلُّوا بهذا الحديث المتقدم فإن راويه مدني أنصاري، وهو يحكي ما حصل للنبي ﷺ، وذلك بعد الهجرة.

هذه السورة يبيِّن الله ﷻ لنبيه ﷺ ما أكرمه به سبحانه في الدنيا والآخرة من الكرامات العظيمة، ثم يأمره الله ﷻ أن يقبل علىٰ طاعة الله ﷻ، ولا يبالي بمن عارضه، ولا بمن عاداه.

---

(١) أخرجه أحمد (١١٩٩٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٠٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٠).

(٣) «زاد المسير»، لابن الجوزي (٤/ ٤٩٧).

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٢١٦)، وقال الشوكاني في «فتح القدير» (٥/ ٦١٤): «وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير وعائشة: أنها نزلت سورة الكوثر بمكة».

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، وقد اختلف أهل التفسير في الكوثر إلىٰ أكثر من اثني عشر قولًا، وأصح هذه الأقوال ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الكوثر نهر في الجنة، كما في رواية الإمام أحمد من حديث أنس المتقدم، وهو قول جماعة من المفسرين، منهم عبد الله بن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وآخرون.

والقول الثاني: أن المراد بالكوثر: خير أكرم الله ﷻ به نبيَّه ﷺ، ثبت ذلك في «صحيح البخاري» عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: الكوثر: هو الخير العظيم الذي أعطىٰ الله ﷻ نبيه ﷺ. وقال بذلك سعيد بن جبير، وغيره من أهل التفسير(١).

والقول الثالث: أن الكوثر هو الحوض الذي يُكرم به النبي ﷺ في عرصات القيامة، الذي يشرب منه أهل الإيمان.

ولا مانع أن تشمل الآية كل الثلاثة الأقوال، فالكوثر: خير عظيم أكرم الله ﷻ به نبيه ﷺ، ومن ذلك الخير العظيم النهر الذي في الجنة، الذي قال عنه النبي ﷺ في حديث الإسراء الذي رواه البخاري من حديث أنس بن مالك قال: «**فمررت، فإذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف**- وفي رواية: **اللؤلؤ المجوف والزبرجد**- **قال: فقلت: ما هذا؟ فقيل لي: هذا الكوثر**»(٢).

ويشمل هذا الخير الحوض المورود الذي أكرم الله ﷻ به نبيَّه ﷺ، في عرصات القيامة، بل ويشمل كل خير أكرم الله ﷻ به نبيه في عرصات القيامة من

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: «هو الخير الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. قَالَ أَبُو بِشْرٍ: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهَرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الخير الَّذِي أعطاه الله إياه».

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٦٤).

الشفاعة العظمىٰ، وهي المقام المحمود، وغير ذلك من الكرامات، وهكذا ما حصل في هذه الدنيا.

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ لقد جاءت أوصاف هذا الكوثر وأوصاف حوض النبي ﷺ الذي يكرمه الله به في عرصات القيامة، بأوصاف متواترة، وأحاديث صحاح، في البخاري ومسلم وفي غيرهما، فكان من أوصافه أنَّ ماءه أشد بياضًا من اللبن، وأحلىٰ من العسل، وأبرد من الثلج، آنيته كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، يُمدُّ فيه ميزابان من الجنة، أي: من الكوثر، يُمدُّ ميزابان إلىٰ الحوض الذي يُكرم به النبي ﷺ في عرصات القيامة.

سُمِّي بالحوض المورود؛ لكثرة من يرد علىٰ ذلك الحوض، قال النبي ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق**»(١).

وجاء في حديث أنس عند الإمام ابن جرير في وصف الكوثر في الجنة أن حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، قال: «**وإذا ترد عليه طير أعناقها كأعناق الجزر**»، أي: الجزور. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، إنها لناعمة. فقال عليه السلام: «**يا عمر، آكلها أنعم منها، آكلها أنعم منها**»(٢).

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في رواية أخرىٰ عند ابن جرير وغيره قال: «**وإذا طينه مسك**»، قال: «**فيضع جبين يده في طينه، فإذا هي المسك**»(٣).

كل هذا إكرام من الله ﷻ لنبيه ﷺ، يشرب من حوضه أهل الإيمان، ويُطرد

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٣٩)، تفسير الطبري (٢٤/ ٦٨٧) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٦١٤).

(٣) أخرجها الطبري في «تفسير» (٢٤/ ٦٨٦).

عنه أهل النفاق والشقاق، الذين أحدثوا وغيروا وبدلوا، وأول مَن يشرب مِن حوضه فقراء المهاجرين، كما عند الإمام أحمد عن ثوبان(١)، وممن يشرب في مقدمة القوم الصالحون من أهل اليمن، كما في حديث ثوبان في صحيح الإمام مسلم، قال ﷺ: «**وإني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن، حتىٰ يرفض عليهم**»(٢)، وفي «الصحيحين» قال: «**وإذا برجال من أمتي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب، أمتي أمتي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقًا سحقًا لمن غيَّر وبدَّل**»(٣).

الحوض المورود أدلته متواترة، ولم ينكره إلا أرباب البدع والأهواء، كالخوارج والمعتزلة.

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ١، ٢]، قال الإمام ابن جرير رحمه الله، وهكذا الإمام ابن كثير، وابن العربي، وغيرهم من أهل التفسير: معنىٰ الآية: كما أنك لا تصلي إلا لله ﷻ، فلا تنحر إلا له ﷻ، فلا تركع ولا تسجد لغيره، ولا تذبح لغيره من الأوثان والأنداد والأصنام. وهذا هو الصحيح من أقوال أهل التفسير عند هذه الآية أن العبادة كلها تكون لله ﷻ، فلا يُصرف منها شيء لغير الله ﷻ.

قال بعض أهل التفسير: فصل صلاة الأضحىٰ، وانحر الأضحية.

وقال بعضهم: فصل واجعل يديك في منحرك.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٦٧)، والترمذي (٢٤٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦١٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨٣)، ومسلم (٢٢٩١) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وقال بعضهم: علىٰ صدرك.

والأول أقواها وأصحها، كما أنك لا تصلي إلا لله، فلا تنحر إلا لله، قاله محمد بن كعب القرظي، وغيره من أهل التفسير، واستحسنه الإمام ابن كثير رحمه الله وغيره من الأئمة(١).

يا أيها الناس، هذا إكرام من الله ﷻ، وأمر منه سبحانه لنبيه، أكرمك الله ﷻ بما تقدم، فأقبِلْ علىٰ طاعته وعبادته، وأقبل علىٰ توحيده، وإياك أن تلتفت يمنة ولا يسرة لمن خالفك، ولمن عارضك، ولمن عاندك.

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ وهذا أمر من الله ﷻ لنبيه ﷺ، وهو أمر لسائر الأمة أن تكون عباداتهم لله ﷻ، ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، لا بد أن تكون العبادة لله ﷻ خالصة، وأن يكون العبد موحدًا لربه ﷻ في كل شؤونه وسائر أحواله، وهل خلقه الله ﷻ إلا لذلك؟ وهل أوجده إلا من أجل ذلك؟ ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦- ٥٨].



(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٠٣).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

يقول الله ﷻ في هذه السورة: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ١- ٣]؛ أي: إن مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدىٰ والنور والحق - هو الأبتر: هو المنقطع، هو المهزوم، هو المعاقب في الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، جاء عند الإمام البزار، وفي تفسير ابن جرير، عن عبد الله بن عباس ﵄، قال: لمَّا قدم كعب بن الأشرف، وهو سيد من سادات اليهود، ورجل كان يؤذي النبي ﷺ، ويؤلب عليه، ويعاديه، قدم مكة، فقال له أهل مكة: أيُّنا خير وأهدىٰ سبيلًا؟ أهذا الصنبور المنبتر؟ أي: النبي ﷺ، ومعنىٰ ذلك: أي الذي إذا قُتل أو مات لا يبقىٰ له أثر ولا عين، منبتر منقطع، أينا خير وأهدىٰ سبيلًا؟ أمحمد هذا الصنبور المنبتر؟ أم نحن الذين نحن أهل الحجيج وأهل السقاية وأهل السدانة؟ فقال لهم كعب بن الأشرف، وبئس ما قال: أنتم خير وأهدىٰ سبيلًا. فأنزل الله ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ [النساء:

٥١]، وأنزل الله ﷻ في ذلك: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾(١)، مهما عادوك ومهما آذوك ومهما حاربوك، فإنهم هم المنقطعون، وهم المهزومون، وهم الظالمون، وإن سلموا في الحياة الدنيا، فلعذاب الآخرة أشد وأبقىٰ، ولهذا ذهب كل من يعاديه وكل من يؤذيه وخسروا، وعُوقبوا، وأُهينوا، كان النبي ﷺ يؤذيه المشركون، ويسبونه، ويذمونه، فذاك يخنقه بردائه حتىٰ يكاد يقتله، وذاك يأتي ويضع سلا الجزور علىٰ ظهره، ﷺ، وذاك يريد قتله، ويتآمر عليه، فكيف كان حالهم؟ وأين صار أمرهم؟ إنهم هلكوا وذهبوا وتمزقوا، يوم بدر أُلقي ساداتهم وسراتهم في ذلك القليب، وفي تلك البئر مع الأقذار والنجاسات، وجعل النبي ﷺ يخاطبهم ويقول: «**إنَّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟**»(٢).

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، كعب بن الأشرف الذي كان يعاديه، والذي كان يؤذيه، والذي ذهب يشهد للمشركين بشهادة الزُّور أنهم خير وأهدىٰ سبيلًا، قتله الله ﷻ، أرسل النبي عليه السلام إليه محمد بن مَسْلَمة وجماعة من الأبطال من الصحابة الأخيار، فقتلوه، وذهب كأمس الدابر(٣).

وهكذا عبد الله بن أبي الحُقَيْقِ أبو رافع اليهودي، الذي كان يؤذي النبي ﷺ، أرسل إليه النبي عليه السلام عبد الله بن عتيك وجماعة من أصحابه، كما في «صحيح الإمام البخاري» من حديث البراء بن عازب، فتلطف عبد الله بن عتيك، ودخل إلىٰ قصره وقتله في داره، ورجع إلىٰ النبي ﷺ مبشرًا(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» عن عكرمة (٢٤/ ٦٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٧٦) عن أبي طلحة رضي الله عنه.

(٣) أخرج قصةَ قتلِ كعب بن الأشرف البخاريُّ (٣٨١١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٤) أخرج قصةَ قتلِ أبي رافع البخاريُّ (٣٨١٣).

هلك أعداؤه عليه السلام، وانتشرت دعوته، ونما الخير الذي عنده، وهكذا يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، ويقول الله عز وجل: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥]، كل من حارب دين الله وسنة رسول الله ﷺ سواء كان في زمنه أو بعد زمنه إلىٰ قيام الساعة - فإنهم مقطوعون، وإنهم مهزومون بإذن الله سبحانه وتعالى، والحق منصور بإذن الله عز وجل.

والحق منصور وممتحن فلا ... تعجب فهذي سنة الرحمن(١)

«لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم إلىٰ قيام الساعة»(٢)، فلهذا يسلِّي ربنا جل جلاله نبيه ﷺ، ويقول له في هذه السورة: نحن أكرمناك، فأقبل علىٰ طاعة الله عز وجل، وادعُ إلىٰ توحيد الله سبحانه وتعالى، واعلم أن من عارضك هلك، ومن عاندك عوقب في الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾، وكل من سار علىٰ نهجه واقتفىٰ أثره، وأخذ بالحق والهدىٰ؛ يعلم أن النصر من عند الله عز وجل، وأن التأييد منه سبحانه وتعالى، كما تقدم في الآيات.

وفَّق الله الجميع لما يحب ويرضىٰ، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) البيت لابن القيم رحمه الله. انظر: «نونيته (الكافية الشافية)» (١/ ١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.



سورة الكافرون

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله تعالىٰ، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، لا زلنا مع كتاب الله ﷻ، ومع السور الأخيرة منه، وحديثنا في هذا اليوم عن سورة عظيمة، وهي سورة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، هذه السورة التي يقول الله ﷻ فيها: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

هذه السورة العظيمة تُسمَّىٰ مع سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] بسورتي «الإخلاص»؛ لعظم هاتين السورتين.

وقد جاء في شأنهما أحاديثُ كثيرة في هاتين السورتين العظيمتين، فروىٰ الإمام أبو يعلىٰ من حديث عبد الله بن عمر، أنه قال ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **تعدل ثلث القرآن**، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ **تعدل ربع القرآن**»(١)، وهذا يدلُّ علىٰ فضلها، فثواب قراءتها كثواب قراءة ربع القرآن، كما أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثواب قراءتها وفضلها كثواب ثلث القرآن.

وقد جاء عند الإمام الترمذي وأبي داود، وفي «مسند الإمام أحمد» من حديث فروة بنت نوفل الأشجعي، عن أبيه: أن النبي ﷺ قال له: «**يا نوفل**، اقرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ **ثم نم علىٰ خاتمتها؛ فإنها براءةٌ من الشرك**»(٢).

ولهذا قيل لهاتين السورتين بأنهما بسورتي الإخلاص؛ لأن فيهما البراءة من الشرك، وفيها الدعوة إلىٰ التوحيد، وفيها إخلاص العبادة لله ﷻ.

وهكذا جاء في «صحيح الإمام مسلم» من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ كان يقرأ بهاتين السورتين في ركعتي الفجر، يقرأ بالأولىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ويقرأ في الثانية بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾(٣).

وفي «صحيح الإمام مسلم» من حديث جابر بن عبد الله ﷺ: أن النبي ﷺ لمَّا

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ (٥٧٢٠)، والطبراني في «الكبير» (١٣٤٩٣) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»(٥٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٥٥)، والترمذي (٣٤٠٣) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٢).

(٣) أخرجه مسلم (٧٢٦).

حجَّ حجَّة الوداع وطاف حول البيت، فلما صلىٰ ركعتي الطواف، قرأ في الركعة الأولىٰ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وفي الركعة الثانية ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[(١)].

وروىٰ الإمام أحمد والترمذي وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر: «أن النبي ﷺ كان يقرأ بهاتين السورتين في ركعتي المغرب»[(٢)]؛ أي: في راتبة المغرب التي بعد صلاة المغرب، يقرأ بهاتين السورتين، وتُخصَّان دون غيرهما؛ لعظمهما، وشرفهما، ومكانتهما.

هذه السورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ عند عامَّة أهل العلم أنها مكيَّة؛ أي: نزلت قبل هجرة النبي ﷺ، وأما ابن عطية في «المحرر الوجيز»[(٣)] فيرىٰ أنها مكيَّة بالإجماع.

وما جاء من سبب نزولها أن المشركين قالوا: يا محمد، نعبد إلهك سنة، وتعبد آلهتنا سنة. فأنزل الله ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢][(٤)].

فهذا لا يصح ألبتة، فأسانيده ضعيفة جدًّا.

أيها المؤمنون، عبادَ الله، يقول الله ﷻ في هذه السورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وهذا خطاب لكلِّ من كفر بالله ﷻ، سواء كان يهوديًّا أو نصرانيًّا، أو كان مجوسيًّا وثنيًّا، أو كان علىٰ أي ملة ونحلة، ما دام أنه كفر بالله ﷻ، فالله ﷻ يقول لنبيه ﷺ: يا محمد، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ اصدع بالحق، ولا تبالِ بمن خالفك، ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) أخرجه النسائي في «سننه» (٩٩٢) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» ().

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٥٣١).

(٤) المصدر السابق.

﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، وفي هذه الآية ردٌّ علىٰ المتميعين من أهل الأهواء المتأخرين الذين يقولون: لا نواجه الكفار بهذا الخطاب، ولا نقول: الكافرون. وإنما نقول لهم: غير المسلمين. وهذا يعارض القرآن، فإن الله يقول لنبيه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، فما دام أنهم قد كفروا بالله ﷻ، فإنهم يخاطبون بهذا الخطاب.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ [الكافرون: ١- ٣] هاتان الآيتان يقول الإمام الشنقيطي ﷺ في «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب»: في ظاهرها تتعارض مع ظاهر قول الله ﷻ: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ [يونس: ٤٠] فإن في ظاهر هذه الآية أن المشركين المخاطبين لا يؤمنون بالله ﷻ أبدًا، والواقع يخالف ذلك، فإن منهم من آمن، ومنهم من مات علىٰ الكفر.

ولهذا قال الإمام الشنقيطي ﷺ: الجواب عن هذا من وجهين:

أما الوجه الأول: فإن الخطاب لجنس الكفار ما داموا علىٰ الكفر، فمن آمن منهم فإن الخطاب لا يشمله، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾، أما الذين آمنوا وأسلموا ودخلوا في دين الله ﷻ، فالخطاب لا يشملهم.

والوجه الثاني: أن الآية عامٌّ مخصوصٌ، والمراد بها: من مات علىٰ الكفر والزندقة والشرك، الذين علم الله ﷻ منهم أنهم سيموتون علىٰ الضلالة، فالخطاب لهم، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧].

ثم يقول الله ﷻ بعدها: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ [الكافرون: ١- ٥]، الآيتان الأخريتان قال أهل التفسير فيها أقوالًا تدور علىٰ أربعة أقوال؛ فمن قائل: إنها من باب التأكيد والتكرار، لمَّا كرَّروا إصرارهم وجحودهم وعنادهم، كرَّر عليهم النبي ﷺ تمسكه بدينه، وعبادته لربه، ﷻ، فهي للتكرار المحض، وللتأكيد. وهذا قول الفراء، وعُزِيَ إلىٰ ابن قتيبة رحمه الله[1].

وهكذا قال بعضهم: المراد في الأولىٰ: لا أعبد ما تعبدون في الماضي، ولا أعبد ما تعبدون في الحاضر، وفي الثانية: لا أعبد ما تعبدوا في المستقبل. وهذا اختاره جماعة من أهل التفسير.

وأما القول الثالث: فهو أنا علىٰ ديني، ولن أسلك سبيلكم، ولن أتخذ طريقكم، ما دمتم معرضين مكذبين، ومعاندين مبتعدين، فأنتم لكم طريق، وأنا لي طريق، أعبد الله ﷻ، وأسير علىٰ دينه وشرعه، وأنتم تسيرون علىٰ ما أنتم فيه من الشرك وعبادة الأوثان.

وأما القول الرابع- وهو الذي اختاره شيخ الإسلام رحمه الله واستحسنه الإمام ابن كثير، واختاره العلامة العثيمين-: أن الآية الأولىٰ فِعْلٌ، والآية الثانية تدلُّ علىٰ القبول والرضا، فكما أنني لا أعبد ما تعبدون من الأوثان، ولا تعبدون ما أعبد وهو الله ﷻ، فكذلك في الآية الثانية لا أرضىٰ ولا أقبل أن أتنازل عن ديني، وأن أعبد ما تعبدون، كما أنكم لا ترضون ولا تتنازلون عن الشرك، وعن عبادة الأوثان.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾- ثم قال ﷻ: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص٣٨٦ ط عطاءات العلم).

﴿دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، قرأ جماعة من القراء من السبعة كعاصم ونافع وابن كثير بفتح الياء: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾، وقرأ بقية السبعة بسكونها: ﴿لكم دينكم وليْ دين﴾، وهكذا قرأ بعضهم: ﴿ولي ديني﴾، وهو ابن معيقيب.

هذه الآية يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: ما ذُكِرَ عن أهل التفسير، أو عن بعضهم، أنها منسوخة بآية السيف، أو أنها عامة مخصوصة- ليس بصحيح، بل هذه الآية محكمة، وهذه الآية مستمرَّة، وهذه الآية فيها الصدع بالحق، وأن النبي ﷺ مستمرٌّ علىٰ عبادة الله ﷻ، لا يمكن أن يتزحزح، ولا أن يتأرجح. وهكذا ليس فيها أن يُقَرَّ أهل الشرك علىٰ شركهم، وأهل الباطل علىٰ باطلهم، وأهل البدع علىٰ بدعهم، فإنه قد يظن ظانٌّ أن معنىٰ هذه الآية أن يُترَكَ أهل الباطل فلا يجاهدون، ويُترَكَ أهل البدع فلا يُدعَون، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، وهذا فهم سقيم، هذا فهم سقيم، وإنما مع الإعراض عما هم فيه من الباطل، والبعد عما هم فيه من الشرك، لا بد من دعوتهم، ولا بد من جهادهم، ولا بد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما هذه الآية من باب التهديد والوعيد، كما قال الله ﷻ عن نبيِّه: ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة: ١٣٩]، وكما قال الله ﷻ: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]، إذًا هي من باب التهديد، ليس من باب الإقرار، أن يُقَرَّ أهل الشرك علىٰ شركهم، وإنما فيها بيان الصدع بالحق وما كان عليه النبي ﷺ، كما هو حال الأنبياء والرسل الذين تأسىٰ بهم، فهذا إبراهيم عليه السلام يقول الله ﷻ عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، ويقول الله ﷻ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، إذًا فالمراد منها الصدع بالحق، والدعوة

إليه، والإعراض عن أهل الباطل، مع دعوتهم لكلٍّ ما يستحقه، فمن استحق أن يدعىٰ بالقول دُعي، ومن استحق أن يُدعىٰ بالفعل دُعي، ومن استحق أن يُدعىٰ بالسيف والسنان دُعي إلىٰ الإسلام كما هو حال النبي ﷺ في دعوته للقريب والبعيد، والعدو والصديق، والمشركين والفرس والروم، والمنافقين ومن كان في ذلك الزمن.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون، هذه السورة العظيمة تُعلِّمنا، أو يُعلِّمنا الله ﷻ فيها أن نخلص له ﷻ العبادة، وأن نعرض عن كل ما سواه من المعبودات والأوثان والأشجار والأحجار، وأن نصدع بالحق، وأن نقوله، ولا نخاف في الله لومة لائم.

وفي هذه السورة درس عظيم، وهو أن ما يُسمَّىٰ بأنصاف الحلول في التنازل عن الحق والهدىٰ- أمر مرفوض ومردود، لا يجوز للمسلم أن يداهن في دين الله ﷻ، ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]، لا يجوز للمسلم أن يتنازل عن الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ لأهل الباطل وآرائهم وأفكارهم، قال الله ﷻ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]، الصدع بالحق كما قال الله ﷻ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٤، ٩٥]، ولهذا كان الواجب علىٰ أهل الحق أن يصدعوا بالحق في كل زمان ومكان، عارضهم من عارضهم، وآذاهم من آذاهم، وخالفهم من خالفهم، دعوة إلىٰ الله ﷻ، وإلىٰ توحيد الله، وإلىٰ كتاب الله، وإلىٰ سنة رسوله ﷺ، أسوتهم وقدوتهم رسول الله ﷺ، الذي كان في العهد المكي وهو مستضعف؛ لقلة أنصاره، ولقلة معاونيه، ومع هذا يقول الله له: يا محمد ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١- ٦] لكم جزاؤكم علىٰ شرككم عند الله ﷻ، ولي جزائي وما أعد الله ﷻ علىٰ عبادتي وتوحيدي، والدين يُطلق ويراد به الجزاء، لكم جزاؤكم علىٰ أعمالكم، ولي جزائي علىٰ عملي، ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١٥].

فاصدع يا عبد الله بالحق، وسِرْ عليه، وكن من أهله، واعمل به، واعلم أن النصر من الله، وأن التوفيق منه سبحانه، وأنه ﷻ هو الذي يحفظك ويَكْلَؤُكَ في السرِّ والعلن، في السفر والحضر، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ﴾ [يونس: ٢٢]، كما أخبر الله ﷻ، وكما جاء في حديث ابن عباس: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأقلام، وجَفَّتِ الصُّحف**»(١).

قال العلامة ابن القيم في كتاب «مدارج السالكين»: «أصل الخير أن يعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»(٢).

ذكر بعض المفسرين عند هذه السورة قال: لما ذكر الله ما أكرم به نبيه من الكوثر، ومن نهر في الجنة، والحوض في عرصات القيامة كأن المشركين ينازعونه،

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٥٠٦ ط عطاءات العلم) بنحوه.

فبين لهم نبيُّنا ﷺ أنه يصدع بالحق، وأنه لا يبالي بمخالفتهم، ولا يتنازل إلىٰ آرائهم، ولا يداهن في دين الله ﷻ، بل يعبد الله كما شرع، وبما شرع، وكما أراد ﷻ، وأنهم يفعلون ما شاءوا، ويصنعون ما شاءوا، فإن من تعلق بالله ﷻ حماه، ومن توكل عليه كفاه، .ﷻ

فما أعظمَ القرآنَ! وما أكثرَ غفلتَنا عنه! فها نحن نقرأ هذه السور، لكن من الذي يفهم معانيها، ويتدبر ما فيها من الحكم الباهرات، والعظات الكثيرات، لقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه العظيم «بدائع الفوائد» استخراجًا من هذه السورة أكثر من عشرة مسائل وفوائد عظيمة لمن رجع إلىٰ ذلك الكتاب.

وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضىٰ، والحمد لله رب العالمين.

سورة النصر

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، عبادَ الله، حديثنا اليوم مع سورة عظيمة من سور القرآن علىٰ الترتيب المتقدم، هذه السورة إنها سورة «النصر»، التي يقول الله ﷻ فيها: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣].

هذه السورة العظيمة التي نزلت علىٰ النبي ﷺ بعد الهجرة، فهي مدنية

بإجماع أهل العلم كما قال الإمام ابن عطية في المحرر الوجيز.

هذه السورة يقول الإمام السعدي رحمه الله: فيها بشارة للنبي ﷺ، وأمر له ﷺ إذا حصلت تلك البشارة، وفيها بشارتان وفيها تنبيه، فأما البشارة من الله ﷻ لرسوله ﷺ فهو حصول فتح مكة وما يعقبه من الفتوح العظيمة وانتشار الإسلام، وأما أمره ﷻ لنبيه ﷺ فإن الله ﷻ أمره إذا حصل هذا الخير العظيم أن يشكر الله ﷻ، وأن يسبح بحمده وأن يستغفره، وأما الإشارتان فالإشارة الأولىٰ هي إشارة منه ﷻ إلىٰ هذا الفتح الأعظم الذي هو فتح مكة، وأما الإشارة الثانية فهي إعلام للنبي ﷺ بأن أجله قد دنا واقترب، وأما التنبيه ففيه أن الأمور العظيمة والأمور الجليلة من العبادات العظيمة كالحج والصلاة وغيرها- تُختم في كتاب الله ﷻ وفي سنة رسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه بالاستغفار، وقد جاء في ذلك أدلة كثيرة أن العبادات العظيمة تُختم بالاستغفار، ويُذكر بعدها استغفار الله ﷻ، جاء في «صحيح الإمام البخاري» من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه وقال: لِمَ يدخل هذا الغلام معنا ولنا أبناء مثله؟ فلمَّا علم عمر ذلك قال: إنه ممن علمتم. قال: ثم إنه دعاني ذات يوم، وأدخلني مع أشياخ بدر. قال: فرأيت أنه إنما أدخلني لأجل ذلك. قال: فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما تقولون في هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ١، ٢] إلىٰ آخر السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا الله ﷻ إذا نصرنا وفتح علينا أن نحمده وأن نستغفره. وسكت آخرون فلم يقولوا شيئًا، فقال عمر رضي الله عنه: أهكذا تقول يا ابن عباس؟ قال: لا، قال: فما تقول فيها؟ قال: هذا أجلُ رسول الله ﷺ أعلمه

إياه ربه ﷻ، ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] فهذا علامة أجله[(١)]. فقال عمر رضي الله عنه: والله ما أعلم منها إلا ما تقول يا بن عباس. فهذا ابن عباس رضي الله عنه الحبر البحر ترجمان القرآن في هذا التفسير العظيم يبيِّن أن هذه السورة تدلُّ وتبيِّن أجل النبي ﷺ، بعد أن حصل هذا الخير العظيم.

وجاء عند الإمام النسائي، والإمام ابن جرير، قال: لما أنزل الله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ نُعيَت إلىٰ رسول الله ﷺ نفسُه، نُعيت إلىٰ رسول الله ﷺ، فاجتهدَ ما كان أشد اجتهادًا في أمور الآخرة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**جاء الفتح، وجاء النصر، وجاء أهل اليمن**»، فقال رجل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «**قوم رقيقة قلوبهم، ليِّنة طباعهم، الحكمة يمانيَّة والفقه يمان**»[(٢)]، هكذا قال النبي ﷺ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يكثر أن يكرر هذا الدعاء الذي ذُكر في هذه السورة كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يكثر النبي ﷺ أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**»[(٣)]. بعد أن نزلت عليه هذه السورة، يتأوَّل القرآن. أي: يعمل بالقرآن.

هذه السورة كما تقدم فيها بشارة وإشارة إلىٰ ذلك الفتح الأعظم، وإلىٰ ذلك النصر المبين الذي كان فتحًا علىٰ الأمة، والذي انقلبت فيه الجزيرة العربية إلىٰ دين الإسلام، وإلىٰ توحيد الملك العلَّام، ﷻ؛ ولهذا يقول عمرو بن سلمة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٣).

(٢) أخرجه ابن حبان (٧٢٩٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٤٨)، وأبو يعلىٰ (٢٥٠٥) وصححه الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣٣٦٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٧٩٤)، ومسلم (٤٨٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الجرمي كما في صحيح البخاري قال: لما فتح الله علىٰ نبيه ﷺ، أقبلت أحياء العرب بإسلامهم إلىٰ النبي ﷺ، وكانت تتلوَّم بإسلامها فتح مكة، ويقولون: دعوه وقومه، فإن ظفر عليهم أو فإن ظهر عليهم فهو نبي.

فتحُ مكة الذي حصل في العام الثامن من الهجرة النبوية، وكان في شهر رمضان، بدأ خروج النبي ﷺ عند أكثر أهل المغازي والسير في العاشر من رمضان، وكانت الغزوة ودخول مكة وفتحها في العشرين من رمضان علىٰ المشهور من أقوال أهل التاريخ والسير.

أيها المؤمنون، عبادَ الله، فتح مكة أمره عظيم، وشأنه جليل، ومشاهده كثيرة، ولكن نريد في هذا المقام أن نذكر بعض الفوائد والعظات والعبر من هذا الفتح الأعظم الذي ذكره الله ﷻ في هذه السورة، والذي بيَّن الله ﷻ فيه أن الناس بعد هذا الفتح جاءوا أفواجًا، ودخلوا في دين الله ﷻ، أفرادًا وجماعات، وانتشر الإسلام بعدها، وازداد الخير بعد ذلك، بل في زمن الخلفاء الراشدين انتشر الإسلام أكثر وأكثر، وتوسعت رقعته في مشارق الأرض ومغاربها.

كان سبب هذه الغزوة أن قريشًا نقضت صلح الحديبية التي صالحها عليها النبي ﷺ، فإنه كان من بنود ذلك الصلح أن من دخل في حلف الرسول ﷺ فله ذلك، ومن دخل في حلف المشركين فله ذلك، فدخل في حلفه قبيلة خُزاعة، ودخل في حلف المشركين قبيلة بني بكر، وكان بينهم ثارات وإحن من زمن الجاهلية، فحصل بينهم فتنة، وثارت بنو بكر، وعَدَتْ علىٰ خزاعة في مياههم علىٰ مياههم، واستعانوا بالمشركين وقتلوا منهم عددًا كثيرًا، فلمَّا علم النبي ﷺ أن قريشًا قد أعانت بني بكر، عدَّ ذلك نقضًا، وعبَّأ جيشه، وجهز جنده، وحثهم علىٰ الانطلاق لفتح مكة، فجمع ما يقارب العشرة الآلاف من المسلمين المجاهدين، وانطلق

النبي ﷺ لفتح مكة، فإنه عليه السلام كان يتمنَّىٰ ذلك، ويعلم أنه بفتح مكة إسلام العرب، وبكسر قريش كسر لسائر المشركين، ولكنه حجزه ذلك العهد الذي عاهد به أهل مكة يوم الحديبية، فلمَّا جاء النقض منهم، بادرهم بالجهاد والغزو.

خرج النبي ﷺ إلىٰ مكة، وحصل ما حصل في تلك الغزوة، وإنما نذكر فوائد وإشارات من هذه الغزوة العظيمة، من أهم تلك الفوائد عبادَ الله:

أن النبي ﷺ لمَّا دخل مكة، دخل وهو مطأطئ رأسه، كما ثبت ذلك عند ابن إسحاق في «السيرة»(١) وغيره، دخل وهو مطأطئ رأسه، وقد لبس المغفر، تعظيمًا لله ﷻ، وخضوعًا وتواضعًا له ﷻ، وهكذا ينبغي أن يكون أهل الإسلام إذا حصل لهم النصر والتمكين، أن يزدادوا تواضعًا وخضوعًا لله ﷻ، ما تكبَّر ولا تبختر، وإنما دخل متواضعًا، وإن رأسه ليمس رَحْله عليه السلام، تواضعًا لله ﷻ.

وممَّا حصل في تلك الغزوة من الأمور العظيمة أن النبي ﷺ لمَّا دخل مكة طلب مفتاح الكعبة من عثمان بن أبي طلحة، فجاءوا بالمفتاح، فدخل عليه السلام، وصلىٰ فيها ركعتين، ثم جعل يطمس تلك الصور التي صورها المشركون داخل الكعبة لمريم وعيسىٰ ابنها وهما يستقسمان بالأزلام، فقال: «**كذبوا والله، والله ما استقسما بالأزلام قط**»(٢)، وخرج وأخذ يدقُّ بعصاه تلك الأصنام، ويحطمها، ويكسرها، ويقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، مهما استمر الباطل، ومهما ظهر، ومهما قويت شوكته، فإن مآله إلىٰ الخسران، وإن مآله إلىٰ الهزيمة، كم تعب النبي ﷺ، وكم آذاه المشركون في مكة وبعد هجرته إلىٰ المدينة، كم قتلوا من أصحابه، كم ضيَّقوا علىٰ آخرين، كسروا رَباعيتَه، وهشموا

(١) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (٦/ ٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

البيضة علىٰ رأسه، وأصابوه بشجَّة في يوم أحد، وهكذا آذوه قبل ذلك، ولكن الله ﷻ نصره، ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، فدخل النبي ﷺ معززًا مكرمًا في مكة فاتحًا، دخلها عنوة علىٰ قول جماهير أهل العلم، ولهذا قال ﷺ: «**ترون إلىٰ أوباش قريش وأتباعهم**»، ثم قال بيديه إحداهما علىٰ الأخرىٰ: «**حصدا حتىٰ توافوني بالصفا**»(١)، وقال ﷺ: «**فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها، فقولوا: إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار**»(٢)، وقسَّم جيشه وعَبَّأه، وجعله علىٰ خمسة أقسام، وقاتل خالد بن الوليد ﷺ في جهة الخندمة، وقتل نحو عشرين من المشركين، وهذا كله يدلُّ علىٰ أنه دخلها عنوة، ولم يدخلها صلحًا، وإنما لم يقسمها؛ لأنها بلد الله ﷻ المعظم، فليست كغيرها، وللإمام أن يقسِّم الأرض، وله أن يتركها كما هي.

دخل النبي ﷺ مكة فاتحًا، وهو يحمد الله، ويعظم الله، فأول ما دخل صلىٰ ركعتين داخل البيت، ثم خرج وطاف ﷺ، ثم اتجه إلىٰ بيت أم هانئ فاغتسل، ثم صلىٰ ثماني ركعات في وقت الضحىٰ كما في الصحيحين(٣)، قال بعض أهل العلم: هي صلاة الضحىٰ. وقال بعضهم: بل هي صلاة الفتح شكرًا لله ﷻ.



(١) أخرجه مسلم (١٧٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٤) من حديث أبي شريح العدوي ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٠٦) ومسلم (٣٣٦).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

من مشاهد الفتح أن بلال بن رباح ﷺ الذي كان يؤذىٰ في مكة، ويسحبه ولدان أهل مكة في بطحاء قريش، ويعذبونه في شدة الحر، وهو يقول: أحد أحد[(١)]. ذلك العبد الحبشي دخل بين يدي النبي ﷺ مكة؛ لتعلم عبدَ الله أن الرفعة بدين الله ﷻ وبتعظيم كتاب الله وبتعظيم سنة رسول الله ﷺ - ليست بالمال ولا بالجمال ولا بالعشيرة ولا بالقبيلة، دخل بلال بن رباح، ثم صعد علىٰ ظهر الكعبة، كما ثبت عند ابن إسحاق بسند حسن، صعد علىٰ ظهر الكعبة، ثم جعل يؤذِّن ﷺ، يكبر الله، يكبر الله في ذلك المكان، تصور هذا المشهد يا عبد الله، وأهل مكة مجتمعون حول البيت، وهذا الرجل الذي كانوا لا يهتمون به، ولا يرون له مكانًا ولا شأنًا، بل يعذبونه ويهينونه، كيف رفعه الله ﷻ، صعد علىٰ ظهر البيت، وإذا به يقول: الله أكبر الله أكبر. ويؤذِّن علىٰ ظهر بيت الله ﷻ، قال النبي ﷺ: «**يا بلال، حدثني بأرجىٰ عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دفَّ نعليك بين يدي في الجنة**»[(٢)]، يُبشَّر بلال ﷺ وهو علىٰ ظهر الدنيا، يُبشَّر بالجنة، فجاء وأذن، إكرام

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨٣٢)، وابن ماجه (١٥٠) وصححه الألباني في «صحيح السيرة النبوية» (ص١٢١) من حديث ابن مسعود ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

إكرامٌ من نبيه ﷺ لهذا الرجل لمَّا عظم دين الله، وفضل دين الله، واعتنق دين الله، وقدمه علىٰ نفسه وماله وأهله. هذا من المشاهد العظيمة.

ومن المشاهد العظيمة أن النبي ﷺ جمع أهل مكة حول الكعبة، ثم خطبهم غداةَ الفتح في تلك الخطبة العظيمة، التي تعددت أسانيدها وطرقها بألفاظ متعددة، ومسائل كثيرة، ومن تلك المسائل أن النبي ﷺ أهدر دماء الجاهلية، وأهدر الربا، وحرمه، وبيَّن للناس ذلك، وهكذا عليهم السلام عفا عن أهل مكة؛ لتعلم عبدَ الله أن دعوة النبي عليهم السلام ليس بينها وبين أحد خصامات علىٰ الدنيا، ولا علىٰ المال، ولا علىٰ المناصب والرئاسات، وإنما هو توحيد الله وعبادة الله ﷻ، لمَّا آمن أهل مكة، ودخلوا في دين الإسلام، انتهىٰ كل شيء، لم يذكرهم نبيُّنا ﷺ بما صنعوا به قبل الهجرة، ولم يذكرهم بما صنعوا به يوم بدر، ولا بما صنعوا به يوم أحد، ولا بما صنعوا به يوم الأحزاب، ولا بما قتلوا مَن قتلوا من أصحابه الكرام؛ لأنهم قد دخلوا في دين الإسلام، فهو لم يخاصمهم علىٰ أرض، لم يخاصمهم علىٰ مال، لم يخاصمهم علىٰ جاه، وإنما دعوة إلىٰ الله ﷻ، وإلىٰ دين الله ﷻ، قال: «**يا أيها الناس، ما تظنون أني فاعل بكم؟**»، قالوا: أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: «**فاذهبوا، فأنتم الطلقاء**»(١)، هذا بهذا اللفظ جاء في إسناده ضعف، ولكنَّه ثبت عن النبي ﷺ أنه قد عفا عن أهل مكة، فقال: «**من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن**»(٢)، ما كانوا يتوقعون هذا، وقد صنعوا به ما صنعوا؛ ولكن لتعلم أيها المؤمن أن دين الله ﷻ رحمة للبشرية

---

(١) السنن الكبير للبيهقي (١٨/ ٣٨٥) وضعفه الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» (١١٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٢٢)، الطبراني في «الكبير» (٧٢٦٤) وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٦٧١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

جمعاء، النبي ﷺ في ذلك اليوم قال: «**كُفُّوا عن القوم، إلا أربعة**»(١)، وذكر منهم ابن خَطَل، وعبد الله بن أبي سرح، وآخرين ممن ارتدوا عن دين الله ﷻ، ووقعوا فيما يوجب قتلهم وردتهم، وعفا عن الناس أجمعين، يا له من مشهد.

وبعد ذلك خرج النبي ﷺ ومعه أصحابه الكرام من المهاجرين والأنصار ومن الطلقاء من أهل مكة إلىٰ غزوة هوازن، إلىٰ حُنيْن، أخذهم جميعًا لتلك الغزوة، يا له من نصر مبين، ويا له من فتح عظيم.

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١- ٣] الفضل لله ﷻ، والشكر له ﷻ، والعاقبة لأهل التقوىٰ، والظالمون تنتهي أيامهم في الدنيا، وإن حصل لهم شيء من النصر، فالله ﷻ الموعد، وإنما يحصل الابتلاء والامتحان والاختبار.

والحق منصور وممتحن فلا ... تَعجب فهذه سنة الرحمن(٢)

نسأل الله ﷻ بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن يوفِّقنا وإياكم لما يحب ويرضىٰ، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه ابن حبان (٤٨٧) والترمذي في «سننه» (٣١٢٩) وصححه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٥٥٠).

(٢) البيت لابن القيم رحمه الله. انظر: «نونيته (الكافية الشافية)» (١/ ١٠٠).

سورة المسد

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، عبادَ الله، حديثنا معكم عن سورة «المسد»، وتُسمىٰ بسورة «تبت»، التي يقول الله ﷻ فيها: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١ - ٥].

هذه السورة أجمع المفسرون علىٰ أنها مكية، أي نزلت قبل الهجرة النبوية، فهي سورة مكية بالإجماع، كما يقول الإمام ابن عطية والإمام القرطبي وغيرهما من أهل التفسير.

هذه الآية نزلت في شأن رجل من المشركين وامرأته، وهو من أقارب النبي ﷺ، هذا الرجل إنه أبو لهب، كنيته أبو عتبة، وإنما قيل له: أبو لهب؛ لإشراقة وجهه وجماله، وهو عبد العزىٰ بن عبد المطلب، وأما امرأته فهي أم جميل أروىٰ بنت حرب، التي هي أخت أبي سفيان وعمة معاوية، ويقال لها: العوراء. هذه السورة نزلت في هذا الرجل وامرأته.

وأعمام النبي ﷺ انقسموا إلىٰ ثلاثة أقسام:

أما القسم الأول: فهو الذي سانده وعاضده، وآمن بما جاء به ﷺ، وهو حمزة بن عبد المطلب والعباس بن عبد المطلب.

وأما القسم الثاني: فهو الذي عاضده وناصره ودافع عنه، ولكنه لم يؤمن بما جاء به، وهو أبو طالب.

وأما القسم الثالث: فهو الذي عانده وكفر به وآذاه، وهو هذا الرجل الذي ذكره الله ﷻ في هذه السورة.

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] أي: خسرت، وخابت، ولحقته الندامة في الدنيا والآخرة، وإنما أضاف الله ﷻ الخسارة إلىٰ يديه؛ لأن اليدين محل الأعمال، وإلا فإن الخسارة تلاحقه كلَّه.

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ الأولىٰ دعاء، والثانية خبر، وقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه كما عند ابن جرير: أنه كان يقرأها: (تبت يدا أبي لهب وقد تب)، أي: وقد لحقته الخسارة، وحلت عليه العقوبة.

جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس ﷺ أن النبي ﷺ خرج إلىٰ البطحاء، ثم صعد الجبل، أي: الصفا، ثم قال: «**وا صباحاه**» فاجتمعت إليه قريش، فقال: «**يا أيها الناس، أرأيتم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم وممسيكم، فهل أنتم تصدقوني؟**»، قالوا: نعم. فقال: «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»، فقام أبو لهب، وقال له: ألهذا جمعتنا؟ تبًّا لك سائر اليوم. فأنزل الله ﷻ هذه السورة؛ دفاعًا عن نبيه ﷺ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾[(١)]؛ ردًّا علىٰ قوله يوم أن سخر من النبي ﷺ، أي: هذا الذي جمعتنا إليه ومن أجله؟ علىٰ سبيل السخرية والاستهزاء، فأنزل الله ﷻ هذه الآية: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

كان أبو لهب من أشد أعداء النبي ﷺ، فقد جاء عند الإمام أحمد من حديث ربيعة بن عباد الديلي[(٢)]، وجاء عند ابن خزيمة عن طارق المحاربي، وكلاهما صحيح، قال ربيعة وكان في الجاهلية قبل أن يسلم، قال: رأيت النبي ﷺ بسوق ذي المجاز، وهو يقول: «**يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله. تفلحوا**»، قال: ورجل وراءه وضيء، ذو غديرتين، يقول: لا تصدقوه، إنه كذاب. فقلت: من هذا؟ قالوا: رسول الله. قلت: ومن هذا الذي يلاحقه؟ قالوا: هذا عمه أبو لهب. وفي حديث طارق المحاربي: جعل يراجمه بالحجارة حتىٰ أدمىٰ كعبيه وعرقوبيه[(٣)].

هذا أبو لهب الذي ما أراد الله ﷻ له الخير، وهو عم النبي ﷺ، لتعلم أن

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٢٠٣) وصححه الأرنؤوط في تحقيقه علىٰ المسند (٢٥/ ٤٠٥)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا الوادعي رحمه الله (٣٣٣).

(٣) أخرجه ابن خزيمة (١٥٩) وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن إلىٰ زوائد ابن حبان (١٤٠١).

الهداية بيد الله ﷻ.

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١، ٢]

وقوله: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ قال بعض المفسرين: المراد به الولد، فالولد من كسْب أبيه. وقال آخرون: بل الآية عامة، فأبو لهب ما أغنىٰ عنه ماله، ولا ولده، ولا شرفه، ولا جاهه، ولا عشيرته، ولا قبيلته، وما دفع ذلك عنه من عذاب الله ﷻ.

وقد ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم أن الكافر يتقلب في نار جهنم، ويأخذ كتابه بشماله، ويعاقب، وإذا به يقول: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩]، فأبو لهب لم ينفعه جماله، ولا تلك الوضاءة التي كان يحملها علىٰ وجهه، ولا تلك المكانة التي كان يقع فيها في قومه، فإنه ما أغنىٰ عنه ذلك كله، بل صار إلىٰ عذاب الله ﷻ.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٢، ٣]

﴿سَيَصْلَىٰ﴾ [المسد: ٣] أي: سيُشوىٰ، ويلقىٰ فيها، وتحيط به من جميع جوانبه، هذه النار التي وصفها الله ﷻ بأنها ذات لهب، وفي آيات كثيرة وصفها الله ﷻ بأنها ذات شرر، ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٣] كما أخبر الله في سورة المرسلات، فالله أخبر أن أبا لهب ما نفعه ماله، ولا نفعه جاهه، يومَ أن كفر بالله ﷻ، وحارب نبيَّه ﷺ، بل صار إلىٰ النار، فوقع فيها، وشُويَ فيها، وصار فيها يصلىٰ كما يقال: شاة مصلية. أي: شاة مشويَّة. فهو يُشوىٰ في نار جهنم، يشوىٰ بها، ويُقلب فيها، ويُعذب فيها، ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣].

ثم قال الله ﷻ: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] وقد قرئت هذه الآية برفع (حمالة)، وبنصبها، فأما الرفع فقراءة الجماهير، (وامرأته حمالةُ الحطب)، أي أن هذا وصف لامرأته، أنها حمالة الحطب، وقرأ عاصم ﷺ بنصبها: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ أي في وصفها بأنها حمالة للحطب، أو أنه منصوب

علىٰ الذم، أي: أذم حمالة الحطب، وأقدح فيها.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾، أم جميل العوراء، هذه المرأة التي كانت تعين زوجها علىٰ المنكر، وتدفعه إلىٰ الكفر، وتمنعه من الخير، وصفها الله ﷻ بهذا الوصف، ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾.

وقد ذكر أهل التفسير في قوله ﷻ: ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ عدة أقوال:

فأما القول الأول: فالمراد بحمالة الحطب، أنها لما كانت في الدنيا تحمل الأحطاب، وتحمل الشوك، وتضعه في طريق النبي ﷺ، فلما كانت حمالة للحطب في الدنيا والشوك، فهي حمالة للحطب في الآخرة، تلقيه علىٰ زوجها؛ ليحترق بها، ويُعذب في نار جهنم.

وأما القول الثاني: وهذا القول ذكره ابن جرير وارتضاه، فمعنىٰ حمالة الحطب: أنها كانت تمشي بالنميمة، فهي امرأة سيئة في عقيدتها، سيئة في خلقها، سيئة في معاملتها، فهي امرأة نمامة، كما جاء ذلك عن مجاهد، وعن عكرمة، وعن قتادة، وصح عنهم وعن غيرهم في تفسير ابن جرير، حمالةٌ للحطب، أي: أنها نمامة، فهي مع أذية النبي ﷺ كانت من أهل النميمة التي تشعل الفتن، وتنقل الكلام علىٰ وجه الإفساد، وجاء عن سعيد بن جبير ﷺ أنه قال: ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ أي: حمالة الإثم، حمالة الخطايا، حمالة الرزايا، فهي تحملها في الدنيا، وتحمل جُرمَها وإثمها في الدار الآخرة عند الله ﷻ.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ [المسد: ٤، ٥]

والجيد: هو العنق، فهي كانت في الدنيا تحمل حبلًا من الليف، والمسد هو الليف.

وقال بعض أهل التفسير: سلسلة من حديد، تحمل ليفًا وحبلًا علىٰ عنقها، فتجمع الشوك من هنا وهناك، ثم تلقيه في طريق النبي ﷺ، فعوقبت في الدار الآخرة أنها تُربط بسلسلة من النار، ثم تُسحب إلىٰ نار جهنم، قال: ﴿فِي جِيدِهَا

﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

امرأة سيئة، جاء من حديث أسماء بنت أبي بكر عند ابن حبان وابن أبي حاتم، وسنده حسن، قالت أسماء ﵂: لما أنزل الله ﷻ هذه السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] جاءت العوراء أم جميل، وهي تولول، وفي يدها فهر، أي: حجرة ضخمة، قال: فجاءت إلىٰ المسجد، وهي تقول: مُذممًا أبينا. وتعني به النبي ﷺ، مذممًا أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا. فلما دخلت المسجد، وإذا بالنبي ﷺ وأبو بكر، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إني أخاف أن تراك أي فتؤذيك. فقال النبي ﷺ: «**إنها لن تراني**»، وقرأ قرآنًا، واعتصم به، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، فدخلت هذه المرأة، فلما وصلت إلىٰ أبي بكر الصديق ﵁، ولم تر النبي ﷺ، فقالت: يا أبا بكر، إنه بلغني أن صاحبك قد هجاني. فقال أبو بكر ﵁: ورب هذا البيت، ما هجاك، ورب هذا البيت، ما هجاك. قال: فانطلقت، وهي تقول: لقد علمت قريش أني ابنة سيدها، ثم جعلت تطوف، فعثرت في مرطها، فقالت: تعس مذمم[(١)].

إذًا فهي امرأة سوء، وامرأة شر؛ ولهذا قرن الله ﷻ عقوبتها بعقوبة زوجها؛ لأنها تعاونت معه علىٰ الإثم والعدوان.

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١- ٥].

(١) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٣٣٧٦)، والحميدي في «مسنده» (٣٢٥) وصححه الألباني في «صحيح السيرة النبوية» (ص١٣٧).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحبُّ ربنا، ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، نستفيد من هذه السورة فوائد عظيمة، ومن هذه الفوائد:

أن هذا القرآن، وأن هذه السورة من المعجزات العظيمة لنبينا محمد، ﷺ، ومن الدلائل العظيمة علىٰ صدق نبوته ورسالته، فإن الله ﷻ أخبر أن هذه المرأة وأن هذا الرجل قد أصابتهما الخسارة، وأنهم لا بد أن يصلوا نار جهنم، ولهذا فإنهم ماتوا علىٰ الكفر، لم يدخلوا في الإسلام، ولم يؤمنوا بالقرآن، ولم يتابعوا النبي ﷺ، فهذا من أوضح الدلالات ومن أعظم العلامات علىٰ صدق نبوة نبينا ﷺ، ماتا علىٰ الكفر، وماتا علىٰ الشرك، كما أخبر الله في هذه الآية: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ [المسد: ٣، ٤] والواو عاطفة عند أكثر المفسرين، أي: وامرأته كذلك ستصلىٰ النار، وتكون معه في عذاب الجبار، ﷺ.

أيها المؤمنون، مما نستفيده من هذه السورة أن الكرامة وأن الرفعة من الله ﷻ لأهل الطاعة والعبادة، لأهل الاستقامة والتقوىٰ، ليست لصاحب المال والجاه والشرف والمكانة إذا كان معرضًا عن دين الله ﷻ، مبتعدًا عن نهج الله ﷻ، فهذا أبو لهب من أشراف قريش، وامرأته كذلك، بل هو عم النبي ﷺ، ولكنه بُشِّر بالنار وبالهَوْن وبالعذاب، وهو في هذه الحياة الدنيا لمَّا كفر بالله ﷻ، فما نفعه جاهُه، ولا

مالُه، ولا جمالُ وجهه، ولا عشيرتُه، ولا قبيلتُه، بل هذه السورة تتلىٰ إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ ليعتبر المعتبرون، وبالمقابل فإن الله ﷻ يكرم أهل الإيمان، مهما كانت مكانتهم في المجتمع، ومهما قلَّ مالُهم، ومهما ضعف جاهُهم، فهذا بلال بن رباح، وذاك سلمان الفارسي، وذاك صهيب الرومي رفع الله ﷻ ذكرهم، وأعلىٰ مكانتهم؛ لتعلم أن الإكرام من الله ﷻ علىٰ قدر الإيمان والطاعة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣]، ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١]، فالرفعة من الله ﷻ علىٰ حسب الطاعة، إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين.

مما نستفيده من هذه السورة: أن المال إن لم يؤخذ من طاعة الله، ويصرف في طاعة الله ﷻ، فإنه يضر صاحبه، ويكون وبالًا عليه، وربما يُعذب به، قال الله ﷻ: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ﴾ [الحاقة: ٢٨]، وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ١١]، لا ينفعه، بل يضرُّه، كما قال الله ﷻ: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

نستفيد من هذه السورة: أنه كما قال ﷺ: «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»(١)، كما في صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص، فإذا كانت المرأة صالحة، فإنها تعين زوجها علىٰ الخير، وتدفعه إلىٰ البرِّ، وتمنعه من الشر، وأما إذا كانت سيئة، كهذه المرأة، فإنها تدفع زوجها إلىٰ كلِّ باطل، وتقوده إلىٰ كلِّ منكر،

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦٧).

وتُعينه علىٰ الكفر بالله ﷻ، فينبغي للمسلم أن يختار لنفسه المرأة الصالحة، وكما قال النبي ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، وجمالها، ودينها، وحسبها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»(١)، متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفوائد هذه السورة كثيرة، نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضىٰ، والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

سورة الإخلاص [١]

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، عبادَ الله، حديثنا معكم إن شاء الله عن سورة من سور القرآن، وهي سورة عظيمة جدًّا، هذه السورة إنها سورة الإخلاص، الحديث عن هذه السورة عن سبب تسميتها، وسبب نزولها، وعن فضائلها، وعن مواضعها، وعن تفسيرها، ولعلنا نجعله في جُمعتين أو أكثر.

هذه السورة العظيمة هي مكية عند عامة المفسرين، أُنزلت علىٰ النبي ﷺ قبل هجرته إلىٰ المدينة.

وكان سبب نزول هذه السورة هو ما يُشغِّب به أهل الشرك والإلحاد من السخرية والاستهزاء برب العالمين ﷻ، فقد جاء عند الإمام أحمد من حديث أبي بن كعب، أن المشركين قالوا: يا محمد، انسُب لنا ربك. فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١- ٤][1]، المشركون طعنوا بالله ﷻ، وأدلة ذلك كثيرة في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ:

بعث النبي ﷺ رجلًا من أصحابه إلىٰ عظيم من عظماء المشركين، يدعوه إلىٰ الله ﷻ، كما عند الإمام أحمد من حديث أنس، فلمَّا وصل إليه وخاطبه ودعاه، قال له: أربك هذا الذي تدعوني إليه أهو من ذهب؟ أم أنه من فضة؟ أم أنه من حديد؟ فرجع ذلك الصحابي إلىٰ النبي ﷺ يشكو ممَّا لَقِيَ من ذلك المشرك، فأرسله النبي ﷺ مرة ثانية، ثم أجابه بما أجاب فيما مضىٰ، ثم رجع إلىٰ النبي ﷺ، ثم أرسله مرة ثالثة، فأجابه كما تقدم، قال: فرجع إلىٰ النبي ﷺ، وبينما هو في رجوعه أرسل الله ﷻ صاعقة من السماء، فأهلكت ذلك المشرك، وأخذت بقُحْفِ رأسه، فلما وصل إلىٰ النبي ﷺ، قال له: «**إن الله قد أخذ صاحبك**»، وأنزل الله ﷻ: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣][2].

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٢١٩)، والترمذي (٣٣٦٤)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (١١١٩٥)، وأبو يعلىٰ (٣٤٦٨)، والبزار (٧٠٠٧)، والطبراني في «الأوسط» (٢٦٠٢) وصححه الألباني في «ظلال الجنة» تحت حديث (٦٩٢).

لمَّا طعن المشركون في الله ﷻ، قالوا: يا محمد، انسب لنا ربك. فبيَّن الله ﷻ لهم بهذه السورة ردًّا علىٰ قولهم وإفكهم وباطلهم.

هذه السورة سُميت سورة الإخلاص؛ لأنها أخلصت في توحيد الله ﷻ، وفي صفة الرحمن ﷻ، ولأنها تخلِّص قارئها وحافظها ومتعلمها من الشرك العلمي الاعتقادي، ولهذا سميت سورة «الإخلاص».

فضائلها كثيرة، ومناقبها عديدة، ولو لم يكن إلا أنها صفة الرحمن ﷻ التي من أحبها أحبه الله ﷻ، ولهذا جاء في البخاري من حديث عائشة ﵂ أن النبي ﷺ بعث سرية، وأمَّر عليهم رجلًا، فكان يصلي بهم، فإذا ختم القراءة، ختم بهذه السورة، ويكرِّر ذلك، فلما جاءوا إلىٰ النبي ﷺ يشتكون من هذا الأمير: لماذا يكرِّر هذه السورة؟ فقال ﷺ: «**سَلوه لأيِّ شيء يصنع ذلك**»، فلمَّا سألوه، قال: إنها صفة الرحمن، وإني أحبها. فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»(١)، بل إنَّ حبها يُوصِل إلىٰ الجنة، كما جاء عند البخاري تعليقًا، ووصله الإمام الترمذي وصححه الألباني من حديث أنس بن مالك ﵁، أن رجلًا من الأنصار من أهل قباء، كان يؤمُّ الناس في مسجد قباء، يؤمُّهم، فيستفتح بهذه السورة، لا يكتفي بغيرها من السور، كلما قرأ في كل ركعة يبدأ بهذه السورة، ثم يقرأ سورة أخرىٰ، فقال له أصحابه: إنا نراك لا تجتزئ بهذه السورة، وتقرأ معها أخرىٰ، فإما أن تكتفي بها، وإما أن تقرأ بغيرها. فقال: إني لا أتركها، فإن أحببتم أن أؤمكم، وإلا تركتكم. قالوا: وكانوا يرون أنه أفضلهم، فما أحبوا أن يؤمهم غيرُه. فلمَّا قدم النبي ﷺ، قدم عليهم، فأخبروه بذلك، فقال له ﷺ: «**ما يمنعك أن تصنع كما أمرك أصحابك؟**»، فقال

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).

ذلك الرجل: إني أحبها يا رسول الله. قال: «**إن حبَّك إياها أدخلك الجنة**»(١)، النبي ﷺ يقول أهل العلم عند هذا الحديث: لم يقرَّه علىٰ تكرارها في كل ركعة، ولهذا قال له: «**ما منعك أن تفعل كما أمرك أصحابك؟**»، وإنما أقرَّه علىٰ حبها، فقال: «**حبك إياها أدخلك الجنة**».

وجاء عند الترمذي من حديث أبي هريرة، قال: دخلت مع النبي ﷺ المسجد، وإذا برجل يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، فقال النبي ﷺ: «**وجبت**»، قال: فقلت: ما وجبت يا رسول الله؟ قال: «**وجبت الجنة**»(٢)، أي: لهذا الرجل الذي يقرأ هذه السورة.

هذه السورة من فضائلها: أنها تعدل ثلث القرآن، أي: تعدله في الثواب والجزاء، ولا تعدله في الإجزاء، فإن النبي ﷺ جاء عنه في «صحيح البخاري» من حديث أبي سعيد وقتادة بن النعمان، وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي الدرداء، وأبي هريرة، وجاء عن ابن مسعود وجابر، ومن حديث عبد الله بن عباس، وآخرين، أنه قال ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **تعدل ثلث القرآن**»(٣).

في صحيح البخاري: أن رجلًا كان يقرؤها في قيام الليل، فجاء في الصباح كأنه جاء آخر يسأل كأنه يتقالها، فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا (٧٧٥) الترمذي (٢٩٠١)، وابن خزيمة (٥٣٧).

(٢) أخرجه النسائي في «سننه» (٩٩٤)، والترمذي (٢٨٩٧) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٧٨).

(٣) أخرجه مسلم (٨١١).

(٤) أخرجه البخاري (٥١٠٣).

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة قال ﷺ لأصحابه: «**احشُدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن**»، فحشد من حشد، فخرج النبي ﷺ، وقرأ عليهم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فتعجب الصحابة، وقالوا: يا رسول الله، إنك قلت ستقرأ علينا ثلث القرآن. قال: «**إن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن**»(١). قال أهل العلم في تفسير هذا الحديث: القرآن ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام: فإنه إما علم توحيد واعتقاد، وإما علم أخبار عن الأمم الماضية، وإما أحكام وعبادات، وقد حازت هذه السورة القسم الأول وهو توحيد الله ﷻ، وهو أعظم الأقسام الثلاثة، فلهذا كانت تعدل ثلث القرآن، أي في ثوابها وجزائها، لا في إجزائها، فمن نذر أن يقرأ ثلث القرآن، فإنه لا يكفيه أن يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ لأنها تعدل ثلث القرآن في ثوابها وجزائها، لا في إجزائها.

هذه السورة العظيمة قد حوت الاسم الأعظم؛ ولهذا جاء عند الترمذي والنسائي من حديث بُرَيْدة بن الحُصَيْب رضي الله عنه، قال: دخلت المسجد مع النبي ﷺ وإذا برجل يدعو، ويقول: اللهم إني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد. فقال النبي ﷺ: «**لقد سأل الله ﷻ باسمه الأعظم، الذي إذا سُئل به أعطىٰ، وإذا دُعي به أجاب**»(٢)، إذًا هذه السورة حوت هذا الفضل العظيم، وهذا الثواب الجزيل لمن حفظها وفهم معناها، وعمل بمقتضاها، وتدبَّر ما فيها، وغير ذلك من الفضائل العظيمة.

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٢).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧) وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٣٤١).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحبُّ ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﷺ، يا أيها الناس، هذه السورة فضائلها عظيمة وكثيرة، وقد جاء في الأدلة أنها تُقرأ في مواطن عديدة.

ومن مواطنها: أن النبي ﷺ كان يقرؤها في ركعتي الفجر، أي: في راتبة الفجر، كما جاء ذلك في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عند الإمام أحمد(١)، وفي حديث أبي هريرة في «صحيح الإمام مسلم»، أن النبي ﷺ كان يقرأ في راتبة الفجر في الركعة الأولىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، وفي الركعة الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾(٢)، وسميت هاتان السورتان بسورتي الإخلاص، وكان النبي ﷺ يقرأ بهما في راتبة المغرب، كما في مسند الإمام أحمد، من حديث عبد الله بن عمر، وهو حديث صحيح.

وجاء في «صحيح الإمام مسلم» في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حديث حجة الوداع الطويل أن النبي ﷺ لمَّا طاف حول الكعبة المشرفة، طاف حولها سبعًا، ثم اتجه إلىٰ مقام إبراهيم، وقال: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، ثم صلَّىٰ ركعتين خلف المقام، قرأ في الركعة الأولىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) أخرجه أحمد (٥٢١٥)، والترمذي (٤١٧)، وابن ماجه (١١٤٩) وصححه الألباني في «السلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٣٣٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (٧٢٦).

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وقرأ في الركعة الثانية بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾(١).

ومن مواطنها أيضًا: ما جاء عند النسائي من حديث عبد الله بن عباس، ومن حديث أبي بن كعب، وجاء عن عائشة وعن آخرين، أن النبي ﷺ كان يختم صلاة الوتر يقرأ في آخر ركعة منها بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. هذه من مواطنها(٢).

هذه السورة العظيمة حثَّ النبي ﷺ علىٰ قراءتها في الصباح والمساء، تكون حصنًا للمؤمن، ودرعًا له من شياطين الإنس والجن، جاء عند الإمام الترمذي وأبي داود من حديث عبد الله بن خُبيْب، قال عبد الله بن خُبيْب: أصابنا عطش وظلمة فانتظرنا النبي ﷺ؛ ليصلي لنا، فخرج النبي ﷺ فأخذ بيدي، وقال لي: «**قل**»، فسكتُّ، فقال لي: «**قل**»، قال: وما أقول؟ قال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، **قلهن حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفك يومك، تكفك في كل يوم مرتين**»(٣)، اقرأْ هذه السور ثلاث مرات في الصباح والمساء، يحصلْ لك الكفاية والحفظ من الله ﷻ، وما أكثر الذين يصابون بالمس ويصابون بالسحر، ويصابون بكثير من الأمراض من الوساوس والشكوك، وغير ذلك؛ لبعدهم عن ذكر الله ﷻ، وعن مثل هذه السور العظيمة.

وجاء أيضًا من حديث عقبة بن عامر عند الإمام أحمد، قال ﷺ: «**يا عقبة بن**

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٤٦٣)، وابن ماجه (١١٧٣) وصححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن إلىٰ زوائد ابن حبان» (٥٦٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٨٢)، والترمذي (٣٥٧٥)، النسائي (٥٤٢٨) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٠٦).

عامر، أعط من حرمك، واعف عمن ظلمك، وصل من قطعك، يا عقبة بن عامر، ألا أعلِّمك سورًا ما أنزل الله ﷻ في التوراة، ولا في الزبور، ولا في الإنجيل، ولا في القرآن مثلهن، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، **لا يأتي عليك ليلة إلا وقد قرأت بهنَّ»**[(١)]، لم ينزل الله ﷻ لا في «التوراة»، ولا في «الإنجيل»، ولا في «الزبور»، ولا في «القرآن» مثل هذه الثلاث السور العظيمة التي يحث النبي ﷺ عقبة بن عامر أن يقرأهن عند منامه وفي ليلته؛ ليحفظه الله، ويكفيه الله .ﷻ

وجاء في «صحيح الإمام البخاري» من حديث عائشة ﵂، قالت: كان النبي ﷺ إذا أمسىٰ جمع إليه كفَّيه، ثم نفث فيهما، ينفُث في كفَّيه، ثم يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فيمسح بهما ما ظهر من جسده، يبدأ برأسه ووجهه، ثم ما ظهر من جسده، كان يصنع ذلك ثلاث مرات[(٢)]. من يحافظ علىٰ هذا الدعاء وعلىٰ هذا الذكر وعلىٰ هذا العمل؟ هذا كلُّه؛ لتعلم فضل هذه السورة التي تقدمت وهي سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وأما بقية تفسيرها فإلىٰ جمعة قادمة.

وفَّق الله الجميع لما يحب ويرضىٰ، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٥٦٩) وصححه الألباني في «السلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٢٨٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠١٧).



سورة الإخلاص [٢]

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، كان حديثنا سابقًا عن سورة «الإخلاص»، وعن بعض فضائلها ومواضعها، وسبب نزولها.

هذه السورة العظيمة التي يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لم يرد في فضل سورة من سور القرآن مثل ما ورد في فضل هذه السورة»[(١)]، أي من الأدلة

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ٤٣٨).

والأحاديث عن النبي ﷺ؛ ولهذا اعتنىٰ بها العلماء قديمًا وحديثًا، فصُنِّفت فيها المصنفات، وأُلفت فيها المؤلفات الخاصة، ألَّف شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ كتابين في هذه السورة العظيمة، كتاب في تفسيرها، وكتاب في تفاضل القرآن وفي معنىٰ قول النبي ﷺ: «**إن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾** [الإخلاص: ١] **تَعدِل ثلث القرآن**»(١)، وهكذا ألف فيها وفي تفسيرها وأحكامها الإمام الدارقطني مؤلَّفًا، وهكذا ألَّف أبو نعيم الأصبهاني، وهكذا أبو محمد الخلَّال، وهذا يدلك علىٰ عظم هذه السورة، السورة القصيرة المبنىٰ الكبيرة المعنىٰ، حديثنا معكم في هذا اليوم عن بعض معاني هذه السورة ممَّا ذكر أهل التفسير فيها.

يقول الله ﷻ فيها: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١- ٤].

يأمر الله ﷻ في مطلعِها نبيَّه ﷺ، وهو أمر لكل الأمة أن يبيِّن لهم علىٰ الملإ صراحة، وأن يعلنها مدوِّيةً، أنه ليس هناك إله إلا الله، وأنه واحد ﷻ، لا شريك له، ولا مثيل له، ولا نديد له، ولا سميَّ له، ولا كفؤ له.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والأحد في بعض القراءات قرئ بالواحد؛ ولهذا يقول ابن عباس ﷺ وأبو عبيدة معمر بن المثنىٰ: الأحد بمعنىٰ الواحد.

وقال بعض أهل العلم: بل بينهما فرقٌ، فقال الخطابي ﷺ: الواحد في ذاته، الذي لا يضاهيه أحد، والأحد في المعنىٰ: الذي لا يشابهه أحد؛ لأنه كامل في صفاته وأفعاله ﷻ(٢).

ولهذا قال أهل التفسير: لا يُطلق الأحد في باب الإثبات إلا علىٰ الله ﷻ، وهذا

---

(١) أخرجه مسلم (٨١١).

(٢) انظر هذه الأقوال في «زاد المسير»، لابن الجوزي (٤/ ٥٠٦).

غالبًا، لا يُطلق الأحد في الإثبات إلا على الله ﷻ، وذلك في الإثبات أي غالبًا.

أيها المؤمنون، عبادَ الله، في هذه الآية ردٌّ على كل من عبد غيرَ الله ﷻ، وصرف شيئًا من العبادة لغيره ﷻ، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ولهذا يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]، وهكذا يقول الله ﷻ مبينًا أن نبيَّه ﷺ لمَّا جاء يدعو المشركين إلى عبادة الله وحده، وإلى نَبْذِ ما يعبدون من دون الله من الأصنام والأوثان وسائر الأنداد، أن المشركين قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]؛ لأن النبي ﷺ كان يدعوهم، ويُكثر من ذلك، ويقول لهم: «**يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله. تفلحوا**»(١)، إفراد الله ﷻ بالعبادة، إفراده ﷻ بالتوحيد، فلمَّا رأى المشركون ذلك، وأن معنى هذه الكلمة العظيمة أن تُصرف العبادة له، وأن يُعبد سبحانه حق عبادته، وأن يُخلص له في ذلك، وأن تُترك جميع المعبودات، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾.

وفي هذه الآية ردٌّ على غلاة الصوفية الذين يقولون: ذكر العامة: لا إله إلا الله، وذكر الخاصة: أن تردد لفظ الجلالة فتقول: الله، الله. وذكر خاصة الخاصة أن تقول: هُو هُو. ولهذا تجدهم يرددون هذه العبارة في مجالسهم حتى يكررونها، فلا تفرِّق بين أصواتهم وبين أصوات الكلاب في نباحها، فإن الله ﷻ قال في هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ولو كان ذكره بهُو لقال: (قل هُو)، وإنما قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١، ٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: إفراده والإخلاص له ﷻ

---

(١) أخرجه ابن خزيمة (١٥٩)، وابن حبان (٦٥٦٢) وصححه الألباني في «التعليقات الحسان على ابن حبان» (٦٥٢٨).

بالعبادة، فالأحد يدل علىٰ الإخلاص، ويدل علىٰ نَبْذِ الشرك. قال: والصمد يدل علىٰ الاجتماع، وأنه لا يجوز للعباد إلا أن يجتمعوا علىٰ عبادة الله ﷻ[(١)].

والصمد في كلام أهل التفسير جاء علىٰ ألفاظ مختلفة، وهي تحوي معانيَ متقاربة، ولهذا يقول عبد الله بن مسعود كما عند الإمام ابن جرير، قال: الصمد: الذي انتهىٰ سؤدده[(٢)]، أي: الذي بلغ الغاية العليا في السؤدد.

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: الصمد: الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها[(٣)].

وقال الربيع بن أنس: تفسير الصمد ما بعدها من الآيات أي الذي: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤].

قال الإمام ابن كثير: وهو تفسير جيد[(٤)].

وقال الحسن البصري وقتادة: الصمد: هو الباقي بعد خلقه[(٥)].

وقال مجاهد بن جبر وعكرمة والضحاك وجمهور المفسرين: الصمد: الذي لا جوف له[(٦)].

وقال جماعة من أهل العلم، ومنهم الإمام الشافعي: الصمد: الذي لا يأكل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في تفسير هذه السورة: ومعاني هذه التفاسير متقاربة، ولا

---

(١) انظر: «بيان تلبيس الجهمية»، لابن تيمية (٣/ ٤٦١).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٩٢).

(٣) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (١/ ٣٨٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٨).

(٥) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٨).

(٦) تفسير مجاهد (ص٧٦٠).

فرقَ بينها. أو كما قال رحمه الله[(١)].

قال العلامة العثيمين في شرح العقيدة الواسطية: وهذه الألفاظ، أو وهذه التفاسير لا اختلافَ بينها، ولكن نفسره بتفسير جامع، فنقول في تفسير الصمد: هو الكامل في صفاته، الذي افتقرت إليه مخلوقاته، فهي صامدة إليه[(٢)].

وما أعظم هذا المعنىٰ، فالناس مفتقرون إلىٰ الله، ومحتاجون إلىٰ الله ﷻ، وهو الأحد الصمد؛ ولهذا قال الله ﷻ في كتابه الكريم، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر: ١٥، ١٦]، ويقول الله في الحديث القدسي: «**يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أُكسكم** ...»[(٣)] إلىٰ آخر الحديث، وهكذا يقول الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

هذا كله يدل علىٰ أن العباد فقيرون إلىٰ الله، محتاجون إلىٰ الله، محتاجون إلىٰ حفظه ورعايته، وإلىٰ كلايته، ﷻ، وكم في الآيات العظيمة في كتاب الله ﷻ التي فيها البيان من الله ﷻ في حاجة العباد إليه: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ٢١٤).

(٢) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ١٦١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

إذًا هذا هو معنىٰ الصمد: الكامل في صفاته، ﷻ، التي افتقرت إليه جميع مخلوقاته، فهي صامدة إليه.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١، ٢] قال الله: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢] وعرفه بالألف واللام، وقال: ﴿أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ولم يعرفه؛ لأن الله ليس له شريك، وليس له مثيل، وليس له نظير، وأما الصمد فإنه قد يُسمَّىٰ بعض مخلوقاته بصمد، ولكن له الصمود الأعظم، وله الصمود الأكمل، فهو الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع المخلوقات، ولهذا عرَّفه بالألف واللام.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ١-٣]، وهذه الفقرة فيها ردٌّ علىٰ ثلاث طوائف من طوائف المشركين والكفرة، فهي ردٌّ علىٰ المشركين، وردٌّ علىٰ اليهود، وردٌّ علىٰ النصارىٰ، أما المشركون فهم الذي ادعوا أن الملائكة بنات الله، فردَّ الله عليهم بهذه الآية: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨] بيَّن الله ﷻ أن هذا حال المشركين، وقال الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨- ٩٢]، ويقول الله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ﴾ [الأنعام: ١٠١]، ويقول الله ﷻ، قال: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ۝١٥٣ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥٣، ١٥٤]، ويقول الله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «**ليس أحدٌ أصبرَ علىٰ أذًىٰ سمعه من الله، يدَّعون له الولد، ويعافيهم ويرزقهم**»، متفق

عليه(١).

وأما اليهود والنصارىٰ، فإن اليهود ادعوا أن عزيرًا هو ابن الله، والنصارىٰ قالوا: المسيح ابن الله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]، فردَّ عليهم بهذه الآية، فقال سبحانه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

قال بعض المفسرين: لماذا قدَّم الله ﷻ ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ وأخَّر ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾، مع أن المعلوم أنه يولد من غيره ثم يلد هو؟ فلماذا قدم ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ وأخر ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾؟ قال: لأن غاية ما ادعاه المشركون واليهود والنصارىٰ ادعوا له الولد، ولم يدعوا أنه مولود، فكان قولهم غايةً في المنكر وجريمةً عظمىٰ، لم يقل أحد بأعظم مما قالوا، لم يقل أحد بأنه مولود من غيره، وإنما غاية ما قالوا بأنه ذاك قال ؟ ولده الملائكة، وذاك قال: عيسىٰ، وذاك قال: عزير. فكان قولهم أعظمَ فرية وأشدَّ منكر، ولهذا قدَّمه الله ﷻ من باب تقديم الأهم فالأهم.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ١-٣] هكذا يبيِّن الله ﷻ في هذه الآية في بيان صفته ﷻ، ولهذا سُمِّيت هذه السورة بسورة الإخلاص؛ لأنها أخلصت في صفة الرحمن ﷻ، وردَّت قولَ كلِّ المشركين والوثنيين والذين يعبدون غير الله ﷻ، فشملت نوعًا عظيمًا، وهو التوحيد العلمي والتوحيد العملي، وكانت ثلث القرآن؛ لأنها تحدثت عن توحيد الله ﷻ.

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٨) ومسلم (٢٨٠٤).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فالله ﷻ في هذه الآية، أو في هذه السورة كان جلُّها في توحيد الألوهية، وأن الله ﷻ واحد لا شريك له، لا يجوز أن يُشرك معه غيره، ولا أن يُعبد غيره، وأنه ﷻ هو المالك لغيره، والخالق لغيره، والمدبر لغيره، فهو الرب المعبود ﷻ.

ثم بيَّن ﷻ في آخرها بأنه الذي لا يساميه أحد في صفاته العليا، فقال ﷻ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤] ليس له كفؤٌ، ولا نظير، ولا سميٌّ، ولا ندٌّ من خلقه، كيف يكون ذلك والله ﷻ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ: ١١]؟

فالله ﷻ له الأسماء الحسنىٰ، والصفات العلىٰ، كما يليق بجلاله وكماله، لا يماثله أحد من خلقه ﷻ؛ ولهذا قال في هذه الآية: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾، هذا كله في تقرير توحيد الأسماء والصفات، فقرر الله في هذه السورة القصيرة التوحيدَ كلَّه: توحيدَ الربوبية، وتوحيدَ الألوهية، وتوحيدَ الأسماء والصفات.

جاء في «صحيح الإمام البخاري» من حديث أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «**قال الله ﷻ: كذَّبني ابن آدم، وليس له ذلك، وشتمني ابن آدم، وليس له ذلك، قال: فأما تكذيبه إياي قوله: لا أعيده كما خلقته أول مرة. قال: وليست إعادته**

بأهون عليَّ من خلقه أول مرة. وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا. وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم أولد، ولم يكن له كفوًا أحد»(١).

فهذا كله عباد الله تقرير لتوحيد الله ﷻ، فهذه سورة عظيمة؛ ولهذا قال النبي ﷺ بأنها تَعدِل ثلث القرآن؛ لما حوت من المعاني العظيمة، والأحكام السديدة، والفوائد الكثيرة.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله مبيِّنًا عند هذا الحديث، وعند هذه السورة أن القرآن يتفاضل، وهذه مسألة مهمة عليها جماهير أهل العلم من السلف والخلف، فكتاب الله ﷻ فيه فاضل وأفضل، فهو يتفاضل، ولهذا كانت هذه السورة تعدل ثلث القرآن، وكانت أعظم سورة في القرآن هي الفاتحة، كما جاء ذلك في البخاري من حديث أبي رافع سعيد بن المُعلَّىٰ، وكانت أعظم آية في القرآن هي آية الكرسي، كما في «صحيح الإمام مسلم» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، إذًا فالقرآن يتفاضل، وليس ذلك علىٰ سبيل احتقار المفضول، ولكن بعضه أفضل من بعض، وهذا شيء أثبته النبي ﷺ، قال: «**يا أبا سعيد، ألا أعلمك سورة أعظم سورة في القرآن**»، ثم قال له: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] **هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته**»(٢)، وقال لأبي بن كعب: «**أي آية معك أعظم من كتاب الله؟**» فقال: آية الكرسي. قال: «**لِيَهْنَكَ العلمَ أبا المنذر**»(٣)، وفي هذه السورة يقول ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **تعدل ثلث القرآن**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٤) من حديث أبي سعيد بن المعلىٰ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٨١٠).

(٤) أخرجه مسلم (٨١١).

هذه بعض معانيها، ومن نظر في تفسير شيخ الإسلام، وفي مؤلَّفه في بيان أنها تعدل ثلث القرآن يجد مما ذُكر أكثر وأكثر مما ذكر أهل التفسير.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضىٰ، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

سورة الفلق

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، عبادَ الله، حديثنا معكم عن سورة «الفلق»، هذه السورة العظيمة التي يقول الله ﷻ فيها: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١ - ٥].

هذه السورة القصيرة التي جاء في فضلها ومعناها وأحكامها أدلة كثيرة.

هذه السورة يقول النبي ﷺ، كما في صحيح الإمام مسلم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال عليه السلام: «**أنزل الله عز وجل عليَّ سورتان لم يُرَ مثلُهنَّ**: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١]»(١).

وهكذا يقول ﷺ، وهو يوصي عقبة بن عامر رضي الله عنه، كما جاء عند الإمام أبي داود، قال: كنت عند النبي ﷺ، كنت معه قريبًا من الأبواء، فأصابنا ريحٌ شديد، فجعل النبي ﷺ يتعوذ: «**أعوذ برب الفلق، أعوذ برب الناس**»، ثم قال عليه السلام: «**يا عقبة، لم يَتعوَّذ بمثلهن متعوِّذ**»(٢)، هكذا يبيِّن النبي ﷺ عظمَ هذه السورة مع أختها، وهي ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، وتُسمَّىٰ بالمُعوَّذتين.

وجاء عند الإمام النسائي عن عقبة رضي الله عنه، وأكثر أحاديث هذه السورة وفضلها عن عقبة، قال: أتيت النبي ﷺ وهو علىٰ ناقته، قال: فمسكت برجله وقلت: يا رسول الله، علمني سورة هود أو سورة يوسف. فقال عليه السلام: «**ليس شيء أبلغ عند الله**» وفي رواية: «**أعظم عند الله**» «**من سورة**: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾»(٣).

إذًا فهذه سورة لم يُرَ مثلها، وهي سورة لم يُتَعَوَّذْ بمثلها مُتعوِّذ، وهي سورة أبلغ السور عند الله عز وجل، وليس هناك أعظم ولا أبلغ من هذه السورة، وإن كانت سورة الفاتحة هي أفضل سورة في القرآن.

أيها المؤمنون، عبادَ الله، جاء أيضًا عند الإمام أحمد وأبي داود والنسائي: أن

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٤).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٣) وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٣١٦).

(٣) أخرجه أحمد (١٧٣٤١)، والنسائي (٩٥٣) وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٥٢١٧).

النبي ﷺ قال: «**يا عقبة، ألا أعلِّمك ثلاث سور هُنَّ خير ما أنزل في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم؟**». قلت: بلىٰ، فِداك أبي وأمي. فقال النبي ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، **لا تنساهن يا عقبة، لا تمر عليك ليلة إلا قرأتهنَّ، فهن من خير ما أنزل الله ﷻ في كتبه**»(١)، ونستفيد من هذا الحديث أن هذه السورة من السور التي تُقرأ عند النوم، وعند القيام من النوم، وتُقرأ أيضًا عند المساء والصباح.

وقد جاء من حديث عقبة رضي الله عنه أيضًا عند الإمام أحمد أنه قال عليه السلام: «**اقرأ بها** - أي بـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ **إذا نمت وإذا قمت**». «**اقرأ بها إذا نمت وإذا قمت**»(٢).

وقد كان النبي ﷺ كما جاء عند النسائي وغيره عن عقبة، كان النبي ﷺ ربما قرأ بالمعوذتين في صلاة الفجر في السفر(٣). يقرأ بهاتين السورتين في صلاة الفجر؛ لعظمهما، وكان ذلك في السفر، وهذه سنة يُعمل بها في بعض الأحيان في السفر.

وهكذا معاشرَ المؤمنين، يقول عقبة بن عامر رضي الله عنه، كما عند أحمد أيضًا، قال: أمرني النبي ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين دبر كل صلاة(٤). وهذا من فضائلها

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٣٣٤) وحسنه الأرنؤوط في تحقيقه علىٰ المسند (١٧٣٣٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٢٩٦) وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٣٤٩٩).

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٦٢)، وابن خزيمة (٥٣٥) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٨٥)،
وأصل صفة صلاة النبي ﷺ (٢/ ٤٣٦).

(٤) أخرجه أحمد (١٧٤١٧)، وأبو داود (١٥٢٣)، النسائي في «سننه» (١٣٣٦) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٥٩).

ومواضعها، أمرني النبي ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين دبر كل صلاة.

ولعظم هذه السورة فإن النبي ﷺ كان يَرقِي نفسه بها، كما تقدم في سورة الإخلاص من حديث عائشة: أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن ينام، يَنفُث في كفيه، ويقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين، فيمسح بهما رأسه ووجهه، وما ظهر من جسده. قالت عائشة رضي الله عنها: فلما اشتد وجع النبي ﷺ، كنت أقرأ بهن، وأنفث في يده، ثم أمسح علىٰ جسده؛ رجاء بركة النبي ﷺ(١).

وجاء عند الإمام أحمد وأبي داود والنسائي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بسند صحيح، قال: كان النبي ﷺ يتعوذ من أعين الجان وعين الإنسان، فلما أنزل الله ﷻ المعوذتين تعوذ بهما، وترك ما سوىٰ ذلك(٢).

هذا كله يدلُّ علىٰ فضل هاتين السورتين: سورة الفلق وسورة الناس.

واسمع إلىٰ ما ذكر الله ﷻ في هذه السورة، وتفسيرُها يحتاج إلىٰ مقامات، ولكن نختصر في هذا المقام.

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ يأمر الله ﷻ نبيَّه ﷺ أن يعوذ بربه ﷻ، وأن يلتجأ به، وأن يعتصم به ﷻ.

وقد اختلف أهل التفسير في تعريف الفلق، فالذي جاء عن مجاهد والحسن وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو قول جماهير المفسرين: أن المراد بالفلق: الصبح، كما قال الله ﷻ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقال بعض المفسرين: المراد بالفلق: فلق الحبِّ والنوىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٦)، ومسلم (٢١٩٢).

(٢) أخرجه النسائي في «سننه» (٥٤٩٤)، والترمذي (٢٠٥٨)، وابن ماجه (٣٥١١) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٩٠٢).

وقال آخرون: بل المراد به فلق الماء من الجبال والأحجار والصخور.

وهكذا فسَّره غيرهم بغير ذلك، قال الإمام ابن كثير والإمام ابن جرير وهكذا غيرهم من أهل التفسير: الآية تشمل ذلك كلَّه، فالله ﷻ هو رب كل ما ينفلق من الحب والنوىٰ، والإصباح والماء والحيوان والنبات.

فالله ﷻ يأمر نبيَّه ﷺ، وهو أمرٌ لكل الأمة أن تستعيذ بربها ﷻ، ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦]، ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥] فالقُ كلِّ شيء، فمن استعاذ بالله ﷻ، أعاذه، ومن التجأ به ﷻ، حماه.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ثم قال سبحانه: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢]. قال ابن كثير ﷺ: أي: من شر جميع المخلوقات التي جعل الله ﷻ فيها شر، من الجن والإنس، وسائر المخلوقات.

وهذا فيه ردٌّ علىٰ القدرية المعتزلة الذين يقولون: ما خلق الله ﷻ الشرَّ، وإنما خلق الخير، وإبليس رأس الشر، الله ﷻ هو الذي خلقه.

فالله ﷻ يأمرنا في هذه الآية أن نستعيذ من جميع الشرور التي جعلها ﷻ في الجن والإنس، وفي سائر المخلوقات، ومن استعاذ بالله ﷻ من الشر، أعاذه الله ﷻ .

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١، ٢] هذا تعميمٌ، ثم جعل الله ﷻ بعد ذلك التفصيل، بدأ بالاستعاذة من الشر عمومًا، ثم ذكر بعض الشر خصوصًا؛ لشدة ضررها، وعظمها علىٰ العبد، وعاقبتها، قال الله ﷻ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣].

واختلف أهل التفسير في تفسير الغاسق، فجاء عن جماعة منهم أن المراد بالغاسق إذا وقب: هو القمر. كما في مسند الإمام أحمد من حديث عائشة، وهو في

«الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين»، أن النبي ﷺ أخذ بيدها، ثم نظر إلىٰ القمر، وقال: «**يا عائشة، استعيذي بالله من شر هذا، فإنه الغاسق إذا وقب**»(١).

وجاء عن الحسن البصري وقتادة، وغيرهما من أهل التفسير: أن المراد بالغاسق إذا وقب: الليل إذا أقبل.

وقال بعض المفسرين كالزهري: المراد به الشمس إذا غربت.

وقال بعض المفسرين: بل المراد به الجو البارد والهواء البارد، كما قال الله ﷻ: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص: ٥٧، ٥٨].

وهكذا قال بعضهم كمحمد بن كعب القرظي: المراد بالغاسق إذا وقب: نجم الثريا إذا هبط، فإن العرب كانت إذا هبط نجم الثريا، هبطت معه الأمراض والأسقام، وإذا ارتفع ارتفعت(٢).

قال أهل العلم: ولا مانع أن الآية تشمل هذا كله، فإن المراد به الليل، كما أخبر الله ﷻ في آيات أخر، فالليل إذا أقبل من علاماته القمر، ومن علاماته ظهور النجوم، ومن علاماته اشتداد البرد، فإنه يشتد في الليل أكثر من النهار، هذا من علاماته، إذًا فالليل إذا أقبل أمر الله ﷻ العباد أن يستعيذوا بالله ﷻ مما يحصل فيه من الشرور، ففيه تنتشر الأرواح الخبيثة، وفيه تنتشر الشياطين، وفيه تنتشر الوحوش التي تضرُّ العباداً فأمر الله ﷻ بالاستعاذة برب الفلق الذي هو الإصباح، الذي هو النور والضياء، الذي يمحو ظلمة الليل ويذهبها، فأمر الله ﷻ بالاستعاذة من الشر الذي ربما يحصل للعباد في الليل، فإن في الليل يتحرك المتآمرون

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٦٦)، الحاكم (٤٠١١) وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٧٢)، وشيخنا الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٢/ ٥١١).

(٢) انظر هذه الأقوال في «تفسير الطبري» (٢٤/ ٧٠٢، ٧٠٣).

والمجرمون والفسَّاق وسائر البطَّالين، فيحصل في الليل ما لا يحصل في النهار.

قال: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، وهذا تفصيل بعد العموم، وإلَّا فإنه يدخل في قوله ﷻ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحبُّ ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

بعد هذه الآية يقول الله ﷻ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا﴾ أي: أقبل أو جاء، ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] والمراد بالنفاثات في هذه الآية: السواحر اللاتي ينفثن في العُقَدِ بالسحر، أمر الله ﷻ بالاستعاذة من شرِّهنَّ، ليس هذا خاصًّا بالنساء، فإنه يشمل الرجال الذين يتعاطون السحر، ويقعون فيه، ولكن الأغلب والأكثر أن هذا من عمل النساء؛ لضعف عقولهن ودينهن، تتسلَّط عليهن الشياطين. لضرر السحر وعظمه، أمر الله ﷻ أن يستعيذ المؤمن بالله ﷻ، وأن يلتجئ إليه؛ ليسلم من شرور السحر، ومن شرور السحرة، فالنفاثات في العقد يسببن الجرائم العظيمة والمنكرات الكثيرة، فكم من الأرواح التي تُزهَق بسبب السحر والسواحر والسحرة، وكم من الأوصال التي تُقطَّع، وكم من الأسر التي تُفكك، وكم من الأخوة التي تُمزَّق، وكم من الأموال التي تذهب، كل ذلك، وكم من الفتن التي تشتعل، وذلك بسبب السحر والسحرة؛ ولهذا حذر الله ﷻ عباده من هذه الجريمة الشنعاء، والحديث عنها يحتاج إلىٰ خطبة كاملة، وإنما بيَّن الله ﷻ أن هذا شرٌّ مستطير، وعمل خطير، يجب علىٰ المؤمن أن يلتجئ إلىٰ الله ﷻ، وأن يستعيذ به من شر هؤلاء الذين يعيثون في الأرض فسادًا.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾، ثم قال: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]؛ لأن الحاسد إذا حسد يكون ضرره عظيمًا، وربما يصيب من حسده بالعين، والحسد هو أن يتمنىٰ زوال النعم عن الآخرين، ويتمنىٰ أن تنقلب إليه، أو ربما يتمنىٰ زوالها عن الناس، ولو لم يحصل له شيء، هذا كله من الحسد، عنده ضعف بالإيمان بالله ﷻ والرضا بقضاء الله ﷻ وقدره، فربما تطير عينه الحاسدة ونفسه الشريرة، فيصيب الآخرين بالعيون، وكم مرضت من الأجساد، وكم فسدت من العقول بسبب حسد الحاسدين وأعينهم؛ ولهذا كان النبي ﷺ كما في حديث أبي سعيد المتقدم كان يتعوذ من أعين الجان وعين الإنسان، فلما أنزل الله عليه المعوذتين، أخذ بهما، وترك ما سواهما.

فحافظ علىٰ هذه السورة، وحافظ علىٰ سورة الناس، تسلمْ من أعين الحاسدين، حافظ عليها ليلًا ونهارًا، كما قال ﷺ: «**يا عقبة، لا تنسهن، لا تنسهن، ولا تمر عليك ليلة إلا قرأت بهن، وفي الآية الأخرىٰ اقرأ بها عند أن تنام، وعند أن تقوم، إذا قمت، وإذا نمت**»(١)، وأنت تقرأ بهذه السورة التي فيها حصن حصين من رب العالمين، فالق الإصباح والنوىٰ، من شر الأشرار، وكيد الفجار، وضرر الأضرار.

قال الله ﷻ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]، والحديث عن الحسد وعن العين يحتاج له إلىٰ جُمَع، ولكن الله ﷻ جمع في هذه السورة التحذير من الشرور؛ ليسلم العباد من الضرر الحسي، ومن الضرر المعنوي، ولكنَّ كثيرًا من الناس لا يعلمون، كثير من الناس يقرأون هذه السورة، ولو قلت لأحدهم: ما معنىٰ

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٣٣٤) وحسنه الأرنؤوط في تحقيقه علىٰ المسند (١٧٣٣٤).

الفلق؟ لربما ما عرف معناها.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١- ٥]، وقد جعل الله ﷻ علاج السلامة من الحسد والعين في ثلاثة أمور في هذه السورة: الالتجاء إلىٰ الله، والاستعاذة به سبحانه، وهكذا التوكل عليه، ودعاء الله ﷻ أن يدفع عن المؤمن الشرور كلها.

نسأل الله ﷻ التوفيق لما يحب ويرضىٰ، وأن يدفع عنا وعنكم وعن سائر المسلمين الشرور الحسية والمعنوية، والحمد لله رب العالمين.



سورة الناس

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، عبادَ الله، حديثنا معكم عن آخر سورة من سور القرآن، وهي سورة «الناس»، التي يقول الله ﷻ فيها: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٦].

هذه السورة العظيمة مع سورة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] تُسمَّىٰ بالمعوذتين، وقد تقدمت بعض فضائلهما، أنها من خير ما أنزل الله ﷻ في «التوراة» و«الإنجيل» و«الزبور» و«القرآن العظيم»، وأن النبي ﷺ أخبر أنه لم يَتعوَّذ متعوِّذ بمثلها ومثل سورة «الفلق»(١).

ومما تقدم من فضلها أنها تُقرأ في الليل والنهار، فتُقرأ في الصباح والمساء، وتُقرأ عند النوم، وأن النبي ﷺ قرأ بها في صلاة الفجر في بعض أسفاره، وحث ﷺ عقبة بن عامر أن يقرأ بها وبسورة الفلق دُبُرَ كل صلاة، وقد تقدم هذا كله، وأيضًا يتعوذ بهما وينفث علىٰ جسده عند نومه بها، وبسورة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وبسورة الإخلاص.

هذه السورة يقول الله ﷻ فيها: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١].

قال الماوردي ﷺ في تفسيره: «الله ﷻ رب كل شيء، فلماذا خص الناس في هذه السورة؟

والجواب عن هذا من وجهين:

أما الوجه الأول: فهو لفضل الناس ومكانتهم، وتقديمهم علىٰ غيرهم.

وأما الوجه الثاني: فإنه لما أمر الله ﷻ بالتعوذ من شر الناس، بيَّن أنه رب الناس، وأنه خالقهم، وأنه هو الذي يستطيع أن يدفع شرَّهم، ولمَّا كان في الناس ملوك، فإنه قال: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٢]، ولمَّا عبد من الناس غيره من

---

(١) أخرج أبو داود (١٤٦٣) والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٤٥) عن عقبة بن عامر ﷺ، قال: «بينا أنا أسيرُ مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والأبواء؛ إذ غشيتنا ريحٌ وظُلمة شديدة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بـ(أعوذ برب الفلق)، و(أعوذ برب الناس)، ويقول: «**يا عقبةُ، تَعَوَّذْ بهما؛ فما تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بمثلهما**».

المعبودات، قال ﷺ: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٣]»[(١)].

وقد جمع الله ﷻ في هذه السورة صنوفًا من أنواع التوحيد، فقوله ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] فيه توحيد الربوبية، وأن الله ﷻ هو المتفرد بالخلق والملك والتدبير، وأنه علىٰ كل شيء قدير، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٢]، فهو الذي يصرفهم، وهو الذي بيده نواصيهم، ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٣] فيه توحيد الألوهية، وأنه لا يُعبد إلا الله ﷻ، وأن من صرف شيئًا من العبادات لغير الله ﷻ، فقد أشرك به سبحانه، وفي هذا ردٌّ علىٰ بعض أهل البدع كغلاة الصوفية وغيرهم، الذين يقولون: لا يجوز أن يُقسَّم التوحيد، فالتوحيد ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

وقد جعل الله ﷻ هذه الصفات العظيمة التي وصف بها نفسه ﷻ، فقال: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١- ٣]، وأمر الله ﷻ نبيَّه، وهو أمر للأمة أن يتعوذ، أن يلتجئ بمن هذه صفاته، وأن يعتصم به ﷻ من شر الشياطين الذين قد وكَّل الله ﷻ منهم، أي من الجن، بكل عبد واحدًا، لا يفارقه سفرًا ولا حضرًا، ولا ليلًا ولا نهارًا، ولا صحة ولا مرضًا، لا يفارقه، فيسعىٰ في إضلاله وإغوائه، كما جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن الله قد أعانني عليه فأسلم**»[(٢)]، وفي رواية: «**فلا يأمرني إلا بخير**»[(٣)]، وجاء في «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضي الله

---

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون (٦/ ٣٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨١٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨١٤).

تعالىٰ عنها وأرضاها[(١)].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٤] أمر الله ﷻ بالاستعاذة من الشيطان، ووسوسته وشره، وكم تجد من الأدلة التي تبيِّن أن العبد إذا استعاذ بالله واعتصم به ﷻ والتجأ إليه، سلَّمه الله ﷻ من شر شياطين الإنس والجن، قال الله ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وهكذا بيَّن الله ﷻ خطورة الشيطان، ووساوسه، وأن العبد يلتجئ إلىٰ الله، ويستعيذ به منه ومن شره، كما في «الصحيحين» أن النبي ﷺ خرج مع صفية يقلبها إلىٰ دارها في الليل، وقد زارته في معتكفه في ليل رمضان، فمر رجلان من الأنصار، فأسرعا، فقال: «**علىٰ رسلكما، فإنها صفية**»، فقالا: يا رسول الله، سبحان الله. أي لماذا، هل نظن بك ظنًّا؟ سبحان الله. فقال النبي ﷺ: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًّا**»[(٢)]، وفي رواية قال: «**شيئًا**». وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة قال النبي ﷺ: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول له: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتىٰ يقول: من خلق الله؟ فإذا وجد ذلك، فليستعذ بالله، ولينته**»[(٣)]، فربنا جل في علاه يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨]،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

وجاء عند الإمام أحمد عن رجل مبهم من أصحاب النبي ﷺ أنه كان معه علىٰ حماره، فعثر، فقال: تعس الشيطان. فقال النبي ﷺ: «**لا تقل: تعس الشيطان، فإنه يتعاظم حتىٰ يكون مثل البيت، فيقول: بقوتي. ولكن استعذ بالله من شره، أو استعذ بالله منه، فإنه يتصاغر حتىٰ يكون مثل الذباب**»(١)، وجاء عند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «**إذا جلس أحدكم في المسجد، جاءه الشيطان، فأبسَّ به كما يبس أحدكم بدابته** -أي: يقودها بخطامها- قال: **فمنهم المزنوق**، قال: **فترىٰ أحدهم يلوي عنقه لا يذكر الله، وترىٰ الآخر فاتح فاه لا يذكر الله**»(٢). إذًا فإذا ذكر الله ﷻ فرَّ منه الشيطان، وابتعد منه الشيطان، وأعرض عنه الشيطان؛ ولهذا أمر النبي ﷺ بالاستعاذة من شر الشيطان.

وهكذا أمر الله في هذه السورة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١- ٤].

قال أهل التفسير كقتادة ومجاهد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إذا ذكر العبد ربه ﷻ انخنس الشيطان، فإذا سها وغفل وسوس الشيطان، حتىٰ يجثو علىٰ قلب ابن آدم، حتىٰ يجثو علىٰ قلب الإنسان، وقيل له: الخناس؛ لأنه يخنس ويهرب، كما قال الله ﷻ: ﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥](٣).

قال أهل التفسير: هي النجوم يوم أن تظهر ثم تغيب، فكلما أقبل العبد علىٰ ذكر الله ﷻ، انخنس منه الشيطان، وفر وهرب، وكلما غفل عن طاعة الله وعن ذكر

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٥٩١)، أبو داود (٤٩٨٢) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٢٩) من حديث أبي تميمة الهجيمي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٨٣٥١)، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه علىٰ المسند.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٧٠٩، ٧١٠)، و «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٢٦٢).

الله ﷻ، تسلَّط عليه الشيطان حتىٰ ربما يبول في أذنيه، ويعقد علىٰ قافيته، فلا يذكر الله ﷻ، فيقع فيما يغضب الله ﷻ، والانخناس هو الابتعاد، كما قال أبو هريرة: لقيني النبي ﷺ في بعض طرق المدينة، وأنا جُنُبٌ، فانخنست ثم اغتسلت ثم جئت، فقال: «**أين كنت يا أبا هريرة؟**»، قال: كنت جنبًا، فكرهت أن أجالسك علىٰ غير طهارة. قال: «**سبحان الله، إن المؤمن لا ينجس**»(١).

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥) ومسلم (٣٧١).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

في هذه السورة يبيِّن الله ﷻ خطورة الشيطان ووساوسه، وأن العبد لا مفرَّ له إلا أن يلتجئ بربه ﷻ، ويبيِّن الله ﷻ أن الخروج من وساوسه أمره يسير بذكر الله ﷻ، فإن الشيطان ينخنس ويذهب ويغيب ويهرب إذا ذُكر الله ﷻ؛ ولهذا جاء في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال النبي ﷺ: «**إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط، فإذا قُضي التأذين أقبل فوسوس، فإذا ثُوب للصلاة أدبر وله ضُراط، فإذا قُضي التثويب**[1] **أقبل فوسوس للمصلي، فوسوس له حتىٰ لا يدري كم صلىٰ**»[2].

فكلما أكثر العبد من دعاء الله والالتجاء إليه وذكره ﷻ، كلما نجاه الله ﷻ من وساوس الشيطان وكيده وضرره، ولهذا أمر الله بالاستعاذة في هذه السورة العظيمة، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١- ٤] الشيطان وسواس، وقد بيَّن أهل التفسير أن المراد بالوسواس في هذه السورة سواء كان من الإنس أو من الجن ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾

---

(١) التثويب: الإقامة، يعني: إذا انتهت الإقامة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٨)، ومسلم (٣٨٩).

[الأنعام: ١١٢]، بل ذكر الإمام ابن القيم أن وسوسة شيطان الإنس وضرره أعظم من شيطان الجن، فإن شيطان الجن لا تراه، وأما شيطان الإنس فإنه يقابلك ويعاينك، والفرق بينهما أن شيطان الإنس يوسوس في أذنيك، وأما شيطان الجن فلا ترىٰ ذلك، فلهذا يبتعد المؤمن عن شياطين الإنس والجن(١).

قال: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٤، ٥] قال ابن القيم رحمه الله: لِمَ لم يقل الله ﷻ: (الذي يوسوس في قلوب الناس)، وإنما قال: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾؟

قال: لأن الصدر ساحة للقلب، وبيت للقلب، فهو يحل في هذا الصدر، ثم يرد علىٰ ذلك القلب، فيوسوس إليه ويفسده ويؤذيه(٢)؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٤ - ٦].

وقد اختلف أهل التفسير في هذه الآية، ما المراد ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾؟ هل المراد أن الوسواس يكون من الجن لأن الجنة مأخوذة من الجن، وليست الجَنَّة، ومن الخطأ أن تقرأ من الجَنَّة، فلا تستعيذ من الجَنَّة، وإنما تستعيذ من الجِنَّة، فهل الوسواس من الجن؟ وهو كذلك من الناس؟ وهذا الذي تقدم.

وقال بعضهم: بل في الآية تكرار وتوكيد، والمراد من الجِن، والجِن يقال له: الناس، كما قال النبي ﷺ: «**إن ناسًا من الإنس كانوا يعبدون ناسًا من الجن**»(٣)، رواه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

---

(١) انظر: «زاد المعاد في هدي خير العباد»، لابن القيم (٢/ ٥٣٦).

(٢) انظر: «بدائع الفوائد»، لابن القيم (٢/ ٢٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧١٤)، ومسلم (٣٠٣٠).

وفي قول الله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦]، والمعنيان محتملان، وقد أمر النبي ﷺ أبا ذر كما عند الإمام أحمد أنه دخل المسجد فصلىٰ، قال له النبي ﷺ: «**صلِّ**»، فصَلَّىٰ أبو ذر، ثم قال له النبي ﷺ: «**يا أبا ذر، تَعَوَّذ بالله مِن شِرِّ الجن والإنس**»(١)، فدل هذا علىٰ أن الآية تشمل الجن والإنس، فقوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ [الناس: ٦] أي من الجن، ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] أي: وشر الناس، فالناس فيهم شر، والشر موجود في الإنس والجن، جاء عند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عباس أن رجلًا قال: يا رسول الله، إني أهمُّ بالأمر لأن أتحدث به قال: لا أريد أن أتحدث به، لأن أكون كذا وكذا، وفي رواية: لئن أكون حممةً خير من أن أتحدث به. فقال النبي ﷺ: «**الحمد لله الذي ردَّ كيده إلىٰ الوسوسة**»(٢)، أي: أن الشيطان يشوِّش عليه ويوسوس له في معتقده، في إيمانه، في طاعته لربه ﷻ، فيتعاظم ذلك، ولا يريد أن ينطق به، ويجاهد نفسه، فقال النبي ﷺ في رواية أخرىٰ في «صحيح مسلم»: «**ذلك صريح الإيمان**»(٣).

فانظروا معاشر المؤمنين، ما أقصر هذه السورة، وما أعظمها، وما أنفع ما ذكر الله ﷻ فيها في السلامة من الشرور، سواء كانت من شرور الإنس والجن.

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لما يحبُّ ويرضىٰ، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢٨٨)، والنسائي في «سننه» (٥٥٠٧)، والطبراني في «الكبير» (٧٨٧١)، وضعفه الأرنؤوط.

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٩٧)، وأبو داود (٥١١٢)، وابن حبان (١٤٧) وصححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن إلىٰ زوائد ابن حبان» (٤١).

(٣) أخرجه مسلم (١٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



الفهرس

المقدمة ٥
حافظوا علىٰ الصلوات..... ٦
وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله ١٣
ولن ترضىٰ عنك اليهود ولا النصارىٰ ٣٦
الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ٤٣
وما كان لمؤمن أَن يقتل مؤمنا إِلا خطأ ٥١
ضعف البشرية وحاجتهم إلىٰ الله ٦٠
وتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ ٦٨
واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ٧٩
ويمكرون ويمكر الله ٩٣
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ١٠٢
ولا تنازعوا فتفشلوا .. وبيان خطر الحوثي ١١٠
إن عدة الشهور عند الله ١٣٣
ولا تركنوا إلىٰ الذين ظلموا فتمسكم النار ١٤٢
إن الله لا يغير ما بقوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم ١٥٣
فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ١٦١
ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ١٨٠

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ١٩٧
وأذن في الناس بالحج ٢١٤
وإذا مرضت فهو يشفين ٢٢٣
ظهر الفساد في البرِ والبحرِ بما كسبت أيدي الناس ٢٣٢
من المؤمنين رجال ٢٤١
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ٢٥٠
يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ٢٦٢
وبل الغمامة من سورة القيامة ٢٧٨
سورة الانفطار ٢٩٣
لقد خلقنا الإنسان في كبد ٣٠٦
سورة القارعة ٣١٣
سورة التكاثر ٣٢٣
سورة العصر ٣٣٤
سورة الهمزة ٣٤٤
سورة الفيل ٣٥٢
سورة قريش ٣٦١
سورة الماعون ٣٦٩
سورة الكوثر ٣٧٩
سورة الكافرون ٣٨٨
سورة النصر ٣٩٨
سورة المسد ٤٠٧

سورة الإخلاص [١]..... ٤١٦
سورة الإخلاص [٢]..... ٤٢٤
سورة الفلق ٤٣٤
سورة الناس..... ٤٤٤
الفهرس..... ٤٥٣